

﴿ الرحلة الفليارية • بالملكة التونسية ﴾



تأليف الفاضل التحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلسل من كبير لكبير . الأديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للعربية
بلغه الله كل أمنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٣٠
—
١٩١٢

Ibn al-Khujah, Muḥammad

al-Riḥlah al-Falḡiyyāriyah



﴿ صاحب الفخامة ميسوفليار رئيس الجمهورية الفرنسية ﴾

صحيحة	فهرس الرحلة الفليارية بالملكة التونسية
	الخطبة
٢	المقدمة وفيها كلام مستفيض يتعلق بنشأة العلائق السياسية بين فرنسا وتونس
١٩	الباب الاول في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبنزرت واجتماعه بالحضرة العلية واستعراضهما للاساطيل الفرنسية والانكليزية والاطليانية والاسبانيولية
٤٢	الباب الثاني في زيارة فخامته لحاضرة تونس وفيه كلام على زينة العاصمة ومواكب القبول واجتماعه بالمجلس الشرعي وزيارته للحضرة العلية بسراية باردو والمتحف العلوي والمستشفيات والمدارس واستعراض فخامته والحضرة العلية للوفود والجيوش بميدان القصر السعيد وتجول فخامته بجهات الخلاعة من احواز الحاضرة وحضوره موائد الكرام وتقليد لجملة من اوسمة الشرف والامتياز
١٢٦	الباب الثالث في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجم وافتتاح سكة حديد صفاقس وفيه كلام على تاريخ هذا القصر العتيق والاحتفالات التي اقيمت بتلك المناسبة وخصب البلاد الساحلية ووفرة عمرانها واحتفال اهالي سوسة بالحضرة العلية عند رجوعها من الجم
١٤٥	الباب الرابع في الكلام على جهة صفاقس وثروتها وغاية زيارتها ونفاق سوق الادب قديما بعاصمتها وزيارة فخامة مسيوقليار

١-١٨-٤٧ ١٩ ٨٣

صحيفة	بقية فهرس الرحلة الفيلارية بالمملكة التونسية
	لها ولاحوازا وفيه تصريحات عظيمة ناطقة بعمارة تلك الجهة ونشاط اهلها ووفرة ثروتها
١٦٤	الباب الخامس في الكلام على قابس ووحدات النخيل وبر الاعراض ونفزاوة والجهات الصحراوية وعوائد واخلاق اهلها وسمعتها في التاريخ القديم وفي القرون الاولى للهجرة الشريفة وزيارة فخامة الرئيس لقابس ووحداتها ولقصر مدين
١٩١	الباب السادس في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتاوي وزيارة فخامة الرئيس لقفصة ومصانع الفسفاط وفيه كلام على ثروة الجريد وما يبطون ارضها من الكنوز الوفرة
١٠٧	الباب السابع في الكلام على سبيطلة واطلاها وغزوة العبادة وزيارة فخامة الرئيس لجهتها ووقوفه معتبرا فوق آثارها البالية ومعالمها الخالية
٢١٢	الباب الثامن في الكلام على القيروان وآثارها المباركة وشهرتها في العالم الاسلامي وزيارة فخامة الرئيس لمعالمها ومشاهدها واحتفال اهلها احتفالا شائقا بجنبه العالي
٢١١	الباب التاسع في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية وفيه كلام على سمعتها في اسواق الادب العربية

صحيفة	بقية فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية
٢٤٠	الباب العاشر في الكلام على زيارة فخامته للجهات الغربية ولخرابات دقة وعودته من رحلته وقبوله لمراسم الوداع ورجوعه لفرنسا
٢٧٧	الخاتمة وهي فلسفة الرحلة الرئيسية وتحتوي على فصول
٢٧٧	الفصل الاول في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا ولتونس
٢٨٤	الفصل الثاني في الكلام على هدايا الاكرام وشواهد الود والاحترام
٢٨٦	الفصل الثالث في عطايا الكرام
٢٨٧	الفصل الرابع في مصاريف الرحلة الرئيسية
٢٨٩	الفصل الخامس في عرايض التهماني وقصايد المديح
٢٩٧	ذيل يحتوي على اسماء الدوات والاعيان التونسيين المنعم عليهم باوسمة الشرف والامتياز
٣٠٠	عبارة الختم





صحيفة	فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١٠	المقدس المرحوم علي باشا باي
٢١	الدارعة الفرنسية المسماة « الحق »
٢٣	جناب ميسو الابيت الوزير المقيم العام
٢٤	فخامة رئيس الجمهورية والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بميلا بنزرت
٢٥	نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية من البحر الى البر بنزرت
٢٦	فخامة الرئيس يفلد الاوسمة لضباط حامية بنزرت
٣١	الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت
٤٨	موكب فخامة الرئيس يبطح السفارة الفرنسية يوم دخوله لتونس
٤٩	فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته الوزارية
٥٥	جناب الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال بتونس
٥٧	جناب الوزير المفوض ميسوروا الكاتب العام للادارية
٥٨	جناب ميسو بلان الكاتب العام للامور الادارية
٦١	جناب ميسو ديپورت كاهية الوزير اقيم العام
٦٣	قبة بستان الخضراء بحديقة الباندير
٦٤	مدرج الاسود بسراية باردو
٦٦	قاعة التشريرات الكبرى بسراية باردو
٦٧	الحضرة العلية ووزرائها الفخام
٦٨	الحاشية الملوكية

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
٦٩	الصحن الكبير بمتحف باردو
٧٠	الشاعر فرجيل وهو ينظم الشعر
٧١	تمثال ايروس وهو آلهة العشق عند اليونان
٧٢	القسم العربي من المتحف العلوي
٧٢	فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو
٧٤	تختوان الشرف بمضمار استعراض الوفود بالقصر السعيد
٧٦	جموع المريدين ووفود الذاكرين من اهل الطرق
٧٧	جناب امير اللوا السيد محمد الصادق غيلب شيخ المدينة
٧٨	السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة
٨٠	فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من استعراض الوفود بالقصر السعيد
٨١	سراية السفارة الفرنسية بتونس
٩٨	موكب الحضرة العلية بشوارع تونس
١٠١	منظر من بلد جبل المنار
١٠٤	المدرسة الصادقية
١٠٦	التلميذ سي صالح مزالي يخطب امام رئيس الجمهورية بالمدرسة الصادقية
١٠٩	السيد محمد القروي رئيس الخزنة العامة
١٠٩	السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة
١١٠	السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١١١	السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدى
١١١	السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
١١١	المسيو فيتوسي العضو بمجلس الشورى
١١٤	جناب مسيو شارلتي المدير العام للعلوم والمعارف
١١٦	بهو الطاق العلوي بسراية المملكة
١١٨	بطحاء القصباء بتونس
١٢١	راموز مصغر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملوكية
١٢٢	الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية
١٢٣	منظر من موكب الركاب الملوكي خارج الحاضرة
١٣٣	قصر الجم
١٥٠	البطحاء البلدية بصفاقس
١٦٥	ضريح سيدنا ابي لبابه الانصاري بقابس
١٧١	السيد محمد بن خليفه عامل الاعراض
١٧٢	واحة النخيل بقابس
١٧٣	قصر الحلووف على مقربة من قصر مدين
١٧٤	مساكن البدو بقصر مدين
١٧٦	واحة دوز بصحراء نفزاوة
١٧٧	واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة
١٧٧	البرج الحربي بقبلي من عمل نفزاوة
١٧٨	كيف يحرقون الارض بقم تطاوين

صحيفة	بقية فهرس السور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١٧٨	سوق بن قردان
١٧٩	مرسى جرجيس
١٨٠	منظر جهة غمراسن
١٨١	قصر بني بركة
١٨٢	برج الذهبيات
١٨٢	برج الجنان
١٨٤	الشيخ محمد الحشاشي الشريف
١٨٩	فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدنين
١٩١	موكب فخامة الرئيس بين قابس والغريبة
١٩٣	موكب فخامة الرئيس بالمكناسي
١٩٧	موكب اقتبال فخامة الرئيس بقفصة
٢٠١	فخامة الرئيس وحاشيته بالمتلوي
٢٠٢	محلات شركة الفسفاط بالمتلوي
٢٠٦	السيد احمد اللوثو عامل الجريد
٢١٠	فخامة رئيس الجمهورية واقفا على اطلال سبيطلة
٢١٥	استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية بالقيروان
٢١٨	بيت الصلاة بجامع عقبة بن نافع
٢٢٠	مشهد الامام السيوري
٢٢١	باب الجلادين بالقيروان

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسم الواردة في هذا الكتاب
٢٢٢	نهج الحجامين بالقيروان
٢٢٣	مدخل قصباء القيروان
٢٢٣	جامع عقبه بن نافع وصومعته
٢٢٥	المحراب والمنبر بجامع عقبه بن نافع
٢٢٨	ماجل بني الاغلب بالقيروان
٢٢٩	منظر داخلي من زاوية سيدي ابي زمعة البلوي
٢٣٠	منظر خارجي من الزاوية المذكورة
١٣٢	قصر الرباط بسوسة
٢٢٣	ضريح الامام يحيى بن عمر الكناني
٢٣٤	الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسي اليها
٢٣٥	موكب تقليد الاوسمة بسوسة
٢٣٦	السيد البشير صفر عامل سوسة
٢٣٨	موكب فخامة الرئيس عند مبارحته سوسة
٢٤١	فخامة الرئيس متوجها للجهات الغربية
٢٤٢	مدافن قدماء البرابرة بشواط
٢٤٣	قنطرة مجاز الباب
٢٤٥	الجسر الروماني بقريش الواد
٢٤٥	هيكل عطاردين طنقة
٢٤٦	مواجل البرابرة بتوكار
٢٤٧	صومعة جامع تستور

صحيحة — بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب —

منظر من بلد السلوقية وصومعتها	٢٤٨
جامع تبرسق	٢٤٩
السيدة تاج البخت ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجرو بن	٢٥٢
الجامع الاعظم بالكاف	٢٥٤
منظر من بلد سوق الاربعاء	٢٥٥
رسم اصلي من عربان جندوبة	٢٥٥
ضريح روماني بعمل الشحية	٢٥٦
شجرة الفران التي كان اهالي خمير يقدمون اليها التدور	٢٥٧
موكب الخطب بسوق الاربعاء	٢٥٨
جامع سوق الاربعاء	٢٦٣
مساكن اهل الكهوف بريعة	٢٦٤
بلد عين الدراهم	٢٦٥
مقطع المرمر بشمتو	٢٦٧
مدينة باجة	٢٦٩
السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة	٢٧٢
المرقع شانه سيدي المنصف باي	٢٧٥



﴿ الرحلة الفليارية • بالملكة التونسية ﴾



تأليف الفاضل التحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلسل من كبير لكبير . الأديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للعربية
بلغه الله كل أمنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٣٠
—
١٩١٢

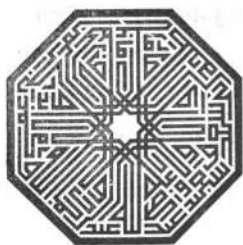


الحمد لله الذي جعل الارض سفرا بديعا يسفر عن اعمال البشر
وآثارهم . وحوادثهم واخبارهم . وكل مملكة منها صحيفة كبرى من ذلك
الكتاب الجليل . تدرس فيها احوال الامم في صعودهم وانحطاطهم
واخلاقهم وعوائدهم جيلا بعد جيل . فانبعثت هم اولي العزم والعقل .
والزمامة والفضل . الى ركوب الاخطار . واقتحام لجج البحار . في جوار
منشآت كالاعلام . لنوال هذا المقصد الهام . وجوب الفدا فدا الشاسعة . والمفاوز
الواسعة . لتقف على تلك الاسفار الجميلة التي خطتها يد الزمان . وتستطلع
من غصونها فنون العرفان . حرصا على تنوير الازهان . وترقية مدارك
الانسان . واكتشافا لما عرض للامم في بداوتهم وحضارتهم . واجتماعهم
ومدنياتهم . من المجد الاثيل . والشرف النبيل . والمعارف المتسعة النطاق .
والعمران الممتد الرواق . وضد ذلك من سقوط وجهالة نزال بالانسان الى
الحضيض . ولم يترك البرق استعدادا للمطر من وميض . والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الذي امر في غير ما آية بالسير في الارض . والسعي في
مناكبها بالطول والعرض . وعلى آله وصحبه الذين كثرت اسفارهم .
وارتسمت في جبهة التاريخ آثارهم . فكانت سيرتهم قدوة صالحة لها اعمال
ناجحة . لهذا وقد دعاني عشق التاريخ وحب تخليد الانوار . وتطويق
صحفه بيض الايادي الغزار . خصوصا ما يتعلق برجال الامة التي لها على

هذه البلاد حماية اسدلت ذيولها . واياها تتابع هطولها . وما يعدل العاقل
 المحنك من قبيل خدمة البلاد . ومنبت الاباء والاجداد . بتدوين الحوادث الهامة .
 التي لها تعلق شديد بالمصالح العامة . ان افرد بكتاب مستقل حادنا تاريخيا
 عظيما . واحتفالا شائقا عميما . بمناسبة زيارة الرجل العظيم . والهام الكريم .
 فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية . مسيو فليار للمملكة التونسية . امثل
 فيه للقاري رحلة جنبه مند بارح باريس . الى ان حل بأخر نقطة من
 المملكة في . وكبه الانيس . وما قبل به من الحفاوة والاجلال . من
 لدن سمو ملكنا المعظم ذي المهابة والجلال . وما اقيمت له من مراسم
 الافراح . وآيات الانبساط والانشرح . ترحابا بالضيف الجليل . في كل اقامة
 ورحيل . بما يبرهن على ان الامة التونسية تعرف الجميل . وتشكر
 الفضل الجزيل . ويشاهد فيه المطالع مناظر من تلك المواكب الرسمية .
 والابنية والاثار التاريخية . وقد شغفت هذا الغرض المهم بما سقته من
 تواريخ بعض الآثار الخالدة للرومان . وتخطيط بعض مشاهير البلدان .
 في عهد الدول الاسلامية . ليكون القاري على بينة من اهمية هذا
 القضية . وان رحلة كرحلة فخامة رئيس الجمهورية لا تخلوا من مغزى
 سياسي عميق . ضرورة انها رحلة اكبر رجل لدولة نصبت على هذا
 البلاد حمايتها . وبواتها عدلها ورعايتها . فيجب على اولي الاباب . من
 مشاهير الكتاب . ان يجعلوها صحيفة من تاريخ البلاد . ولا غرو اذا اطلوا في
 موضوعها النجاد . فدونك ايها القاري صحائف لم تسود الابيض الاعمال . ومآثر
 الرجال وانما قصدت بها خدمة التاريخ والوطن . والله عز اسمه المستعان
 تحريرا في صفر سنة ١٣٣٠

محمد بن الخوجة





﴿ مقدمة ﴾

من المعلوم ان المملكة التونسية في كفالة الحماية الفرنسية منذ ثلاثين سنة وان ملوكها توارثوا ود الجنس الفرنسي خلفا عن سلف سيما في عهد البيت الحسيني السني ففي الدواوين التونسية ما يويد ذلك ويشعر بان تلك العواطف لم ينفرها الشعب بل اخذ منها اهل الطبقات العالية حظهم وفي مقدمتهم اهل العلم والادب اذ ادرك المتسابقون منهم في ميدان الترقيات الفكرية معنى المدنية الفرنسية الصحيحة وامتدحوها نظما ونثرا قديما وحديثا

ومن تتبع اخبار الامم البالية والعهود الخالية يجد هنالك ما لفرانسا منذ ازمان متقدمة من الاقبال على خدمة العلم والادب وهذا ولي لدين ابن خلدون شهد بذلك حيث قال في مقدمة ديوان العبر وتاريخ المبدأ والخبر ما ننقله عنه بحروفه وهو قوله عند التعرض للكلام على العلوم العربية واصنافها ونص محل الحاجة منه قوله : كذلك بلغنا لهذا العهد (اواخر المائة الثامنة) ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنج من ارض رومة وما اليها من العدو الشمالية (فرنسا) نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثرة اه فانت ترى ان هذه الامة التونسية ادركت منذ احقاب بعيدة ما لجارتها قوية الساعد من الامتياز عن بقية الامم النصرانية في خدمة الاداب والعلوم العقلية حتى ان ذلك الاحساس اخذ يتاصل ويتأكد مع ادوار الزمن واختلاف حوادثه السياسية لحد صيرورته كامر مرغوب فيه عند اهل النظر واصحاب

المظاهر والحيشات الرسمية الذين سعت حكومة تونس في تهذيبهم وتدريبهم على المساعي الجسيمة والمشروعات الخطيرة مثل رجالها ووزرائها السابقين واللاحقين بتكليفهم بالاسفار والسفارات لدى حكومة فرنسا للقيام بمهمات الاعمال وتأكيد العلاقات الودية بين الجانبين

واقصى ما امكن العثور عليه في التواريخ التونسية والافرنجية من اخبار علايق فرنسا بتونس ان اول معاهدة انعقدت بين فرنسا وتونس هي التي وقع الاتفاق عليها بين السلطان المنتصر الحفصي والملك فيليب الجسور اثر موت ابيه لويس التاسع الشهير بسانت لويس الذي قدم على عهد الحروب الصليبية لغزو تونس سنة ٦٦٨ ومات بالطاعون وسط اطلال مدينة قرطجنة القديمة حيث اقامت له دولته بعد نحو ستمائة سنة كنيسة باسمه تخليدا لذكرا في هاته الارض التي كتب الله عليها ان تدخل تحت حكم فرنسا لا بتلك الطريقة التي نواها سانت لويس وخاب سعيه فيها ولكن بطريقة المسالة المبنية على تبادل المصالح بينها وبين الامة التي ارخت عليها سدول حمايتها المنية

فبعد ان اخذت البلاد التونسية حظها من السؤدد والعز والقوة والمنعة وتحكمت ازمنا طويلة على البحر المتوسط حينما كان جسمها خصبيا وشرائنها ملانة بدم الحياة بتاصل الثروة والعمران الطافح في ربوعها الزاهر بالتجارة الرابحة وبانوار العلوم التي جعلت لها المقام الاول بين امم العالم الاسلامي اخذ امرها في الاندبار سنة الله في عبادته فتحولت قوتها للضعف ثم للمرض ثم للهرم ثم لمعاناة آلام الفوضى والفاقة والجهل مدى الثلاثة القرون الاخيرة وهي مدة الفترة التي كان فيها لاوروبا يد عاملة بالبلاد التونسية فضربت

عليها بسيطرتها الشديدة الى ان جعلتها كريشة في مهب الريح تائهة بين
 الخوف والرجاء وهذا دورها الاول في علاقتها مع فرنسا وان شئت قلت مع
 دول اوربا جمعا وكان رفع الستار عن الدور الثاني من روايتها التاريخية
 هو احتلال فرنسا للجزائر اثر نهوض اوربا من سباتها العميق الذي دام
 قرونا عديدة فركزت فرنسا بارض افريقيا قدمها ركوز من ينوي الخلود
 والتحققت الولاية الجزائرية بممالكها وجعلتها المحور الذي تدور عليه رحا
 سياستها بافريقيا الشمالية مع مراعاة حقوق الجوار ولكن مع تتبع حركاتها
 وسكناتها بدون توان ولا استدبار وذلك حفظا لناموسها بين الاقوام وصيانة
 لحقوقها من تلاعب الايام وكانت يومئذ علائق فرنسا بتونس مبنية على
 النصح من جهة وعلى اعتبارها ضمن منقطة النفوذ الفرنسي من جهة
 اخرى حيث اصبحت المملكة التونسية بطبيعة موقعها الجغرافي متممة
 لدائرة السياسة الفرنسية بافريقيا الشمالية وآخر العهد بهذا الدور الثاني
 تهيأة اسباب حلول الدور الثالث الذي هو نصب الحماية الفرنسية وما نشأ
 عنها من مشروع المصالحات المادية والادبية بالمملكة التونسية بيدان ما
 قدمت في هذا التمهيد الوجيز يحتاج طبعا لبيان

كنت فيما قبل احسب ان استحكام علائق الوداد بين فرنسا وتونس
 واعتماد الثانية على الاولى في شئونها السياسية كان ابتداءا اثناء دولة
 المرحوم حسين بن محمود باي وهو الامر الذي اشرت له في السنة الخامسة
 من الرزامة التونسية (راجع صحيفة ٤٠) فعثرت بعد ذلك اثناء ابحاثي
 المتواصلة في احوال هذه الديار على ما ينبا بتقديم صلات الود بين الطرفين
 اذ لدينا الان حجة ناطقة باعتماد تونس على فرنسا في نظاماتها الاساسية من

عهد المرحوم الباى علي بن حسين بن علي تركي رابع امير تولى عرش الملك الحسيني بتونس وهذا الحجة هي عبارة عن مكتوب رسمي صدر في سنة ١٧٧٧ (سنة ١١٩١ للهجرة) من لويس السادس عشر ملك فرنسا خاطب به علي باي المذكور بموافقته على جعل ابنه حمودا باشا ولي عهد له تقديما على من كان اسن منه من ذرية آل الحسين واليك عبارة ترجمته عن النص الفرنساوي

فرساليا في ٢٨ افريل سنة ١٧٧٧

ايها المولى العظيم الطائر الصيت

نعلم سموكم بامثال مبعوثكم سليمان آغة لدى حضرتنا لقضاء المأمورية المكلف بها من قبل حضرتكم وقد تلقينا بمظاهر الالتفات والتكريم وتسلمنا منه المكتوب الذي ارسلتموه الينا كما تسلمنا منه الاسارى والخيول والاسود والاكسية التي وجهتموها لبلاطنا الملوكي على وجه الهدية وقد كان قبولنا لما ذكرنا بقلب منشرح وسرور زائد ولاجله اهديكم شكراتي الفايفة عن مقاصدكم الحسنة وليس في نظرنا شيء مستوجب للسرور اكثر من هذه المظاهر الودية والعواطف الشريفة الدالة على تعلقكم بذات حضرتنا وهذه الاحساسات تدلكم على اهتمامنا الصادق بمصالحكم كما تبين عن مرغوبنا في زيادة احكام الصلات بين الفرنساويين والتونسيين وتشهد بحسن التفاتنا واعتبارنا العظيم اليكم فهذه الشعائر نوكدوها لكم اليوم من جديد هذا وقد علمنا كيفية الاسلوب الذي رتبتموه لجعل واثمة الملك بعدكم لابنكم البرنس حمودا واتنا نهنثكم بذلك ونحقق لكم اننا سنكون دائما

مسرورين بكل امر يسركم ويسر ابناء بيتكم والمسؤل من الله ان يشملكم
ايها المولى الكريم بحراسته القدسية

الامضاء لويس السادس عشر

فانت ترى يارعاك الله ما لهذه المخاطبة من الاهمية الكبرى اذ هي
تمس اعظم ركن اساسي بالدولة التونسية ولا شك انها نتيجة تقاليد سياسية
متبعة تقدم تمهيدا قبل عصر علي باي لان علايق الدول تزداد ارتباطا
او فتورا بطريقة التهيئة والتحضير لا بالوسائط الدفعية لان هاته تكون في
الغالب عقيدة وتلك تكون مصحوبة دائما بالنجاح وفي المثال العربي
« مع الثاني السلامة ومع العجلة الندامة »

ثم ان تلك العلائق الودية بين فرنسا وتونس اخذت تتاصل بعد على
التوالي فمن جهة بتقلص ظل السلطة العثمانية بشمال افريقيا ومن جهة اخرى
بنمو نفوذ فرنسا والتفاتها للاستعمار بالشمال الغربي الافريقي حتى انها لما
غزا الملك كارلوس العاشر عمالة الجزائر او ايل سنة ١٢٤٦ بلغ امير تونس
لمعصره وهو حسين بن محمود باي ان بعض المفسدين اشاعوا عليه مقاصد
سيئة نحو الدولة الفرنسية فخطب قنصلها بتونس لدفع ذلك عن نفسه
وصرح له بقوله « قد جهد بعض الناس في ان يؤولوا بتاويل كاذب ما في
قلبي مع اني جاهرت بمقصودي واعتيت باشهاره فلا بد حينئذ ان اصرح
بان مرادي ان استمر مجتنباً عن الفريقين عند الحرب على ان مناي ان يكون
النسر للامة الفرنسية اذ هي اصدق احلاف بلادي واشدهم قوة وعلى
تقدير ان السلطان الاعظم يشهر الحرب على فرنسا لما يقال فاني لا اريد
عن ذلك الحياد ولو جاءني من الدولة العثمانية مائة فرمان يدعوني لمعاكسة

فرنسا حليفتي فاني لا اطيعم لها امرا ولا اسمح لاحد بتلبية نداءها لحمل السلاح ضدها على اني عليم بان خطتي هذه تعرضني لخطر جسيم ولكن اذا نزل ذلك بي اسلم امري للامة الفرنسية وليس احد اشوق مني الى معاقبة عدوها الظالم ذاي الجزائر » اهـ

وهذه السياسة البالغة في الودحد الغاية مع فرنسا هي التي انتهجها كل من تولى مقاليد الملك بعد المرحوم حسين باي فان اخلاء المرحوم مصطفى باي هو اول من تنازل عن التقاليد القديمة التي منها تقبيل الراحاة الملكية عند اقتبال الباي لقناصل اوربا وذلك ارضاء لقنصل فرنسا وكذلك ابنه من بعده احمد باشا فانه كان حليفا للملك لويس فيليب وكان هذا الملك محل اعتمادا ومرجع استشارته ناهيك بما لا قالا به سنة ١٢٦٢ من مظاهر التفضيم والتعظيم كما كان يفعل مع ملوك اوربا عند اقتباله لزيارتهم ولم يصدده في تلك الاونة اعتراض سفير الدولة العثمانية عن اعتبار ضيفه ملكا مستقلا لا يحتاج في قبوله لواسطة لان العلاقات بين فرنسا وتونس انما كان عقدها وتأييدها من اقدم الازمان راسا بدون توسط اية دولة بينهما (راجع الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٣)

ولما مات الامير احمد باي في رمضان ١٢٧١ ورثه في الملك ابن عمه المرحوم محمد باي والد سمو ولي النعم اميرنا الحالي ابقى الله ملكه مدا الايام والليالي وكان على قدم سابقه في مودة فرنسا وزاد في احكام الارتباط بها بالعمل بنصيحتها في تاسيس النظمات وترتيب القوانين المعروفة بعهد الامان اوائل سنة ١٢٧٤ وكان واسطة ذلك الربط السياسي المتين هو المستعرب الدائع الصيت القنصل جنرال ليون روش وهو رجل صاحب حنكة

وتجربة وصفه المورخ الوزير الشيخ احمد ابن ابي الضياف بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » وخدم دولته في بلاد الاسلام ٣٢ عاما قضاه متفانيا بين الشرق والغرب في تأييد شوكة امته بين الاقوام الاسلامية وتلبس مدة بالاسلام وتخلق باخلاق اهله وتعلم لغتهم وكتب فيها وقد وقفت له على جملة رسمها بخطه على لائحة تمهيدية لقانون عهد الامان هذا نصها نقلتها تاييدا لما ذكرنا آنفا واليك هي بعبارتها « صح من كتابه بيده الفانية عبد ربه سبحانه ليون روش قنصل جنرال الامبراتور ومتولي امور فرنسا في عمالة تونس » وقد زاد الشيخ ابن ابي الضياف في وصفه « بانه كان خيرا باصول الملة الاسلامية » ولا يبعد ذلك لان الرجل كان صاحب فطنة عظيمة في الشؤون السياسية مكنته من ممارسة ملوك المسلمين ومن حج البيت الحرام حيث رمى بنفسه في المضارب القرية من المهالك كل ذلك تاييدا لسياسة دولته واعلاء لكلمتها بافريقية الشمالية فكان اول فرساوي خدم المصالح الجنسية بالبلاد الاسلامية خدمة حفظ التاريخ ذكرها وكانت هي الاساس المتين الذي بنيت عليه دعامة هيكل الحماية الحاضرة - هذا ولم تزد الحالة ارسوخا وثباتا على عهد المرحوم محمد الصادق باي فانه افتتح ملكه باداء زيارة الوداد والاحترام للامبراطور نابليون الثالث عند قدومه للجزائر اوائل سنة ١٢٧٧ وكان سفرا لتلك الزيارة بمساعدة اهل الحل والعقد بدولته انظر ما قال في ذلك العلامة المفتي والشاعر المفلح المرحوم الشيخ محمود قبادو الشريف من قصيدة بليغة مخاطبا بها ذلك الامير عند عودته من الجزائر وهذا مطلعها

ربيع مع جبينك قد اطلأ على افق الجزائر فاستهلا
 ومنها مشيرا لزيارة الامبراطور ولحكام رابطة الوداد معه
 رعبت له الجوار وكان حقا عظيما رعبه شرعا وعقلا
 واكدت المودة وهي عهد تضم لفرض عهد السلم نقلا
 وبالله ما اهدأ رايا والطفه مجاملة ونبلا
 وبالله من سعى كفيل بحفظ جوارنا ظعنا وحلا
 ولا برح التزاور مستجدا ولا سيما لاهل الملك وصلا
 سيحمد غبه من ليس يدري ويعلم انه ما كان بطلا

وكان في استحكام روابط الولاء بين الدولة الامبراطورية والدولة
 الصادقية هزة حسد من الامم الاروباوية الاخرى المجاورة للقطر التونسي
 فاخذ رجال سياستها يسمعون جهد المستطيع في حل عرى تلك الروابط
 ولكن دولة فرنسا العلمية بقوتها الوثاقة بسطوتها لم تتحمل تلك المنافسة
 فاخذت تؤيد مشروع سياستها جها بواسطة خارجيتها في اروبا وبواسطة
 نوابها بتونس ومن اقواهم سعيا لذلك قنصاها العام مسيور سلطان الذي ارتقى
 اثر نصب الحماية لخطه وزير مقيم لدى الحكومة التونسية ولذلك لما آن
 اوان الاحتلال الفرنسي كانت المملكة التونسية متاهبة ومتهياة بطبيعة
 الزمان لتلقي مشروع الحماية بامان واطمينان وكان في مقدمة الموافقين
 على قبول الحالة السياسية الجديدة امير البلاد ورجال دولته واهل العام
 وقد اسفر صبح الحماية الفرنسية عن استقرار الراحة وتامين الناس على
 النفس والعرض والمال وبسط وجوه الرفاهية والعمران بسائر الجهات ووافق
 ذلك التحاق صاحب الدولة الصادقية بالدار الاخرة وطلوع هلال الملك

العالوي بصعود شقيقه وولي عهد الامير المرحوم علي باي على عرش اسلافه
الاكرمين في اواسط ذي الحجة ١١٩٩



﴿ المقدس المبرور علي باشا باي ﴾

(وهو اول ملك حسيني تلقى التقليد من الدولة الفرنسية)

وهو ثالث عشر باي من آل المولى حسين بن علي مؤسس ملك البيت
الحسيني السني في عام ١١١٧ وكان ارتقاؤا للملك لما قدمنا في ١٦ حجة
١٢٩٩ وبمجرد انتصابه على عرش اجداده المقدسين اهداه فخامة رئيس
الجمهورية جوقة الشرف الفرنسية وخاطبه بتلغراف نص عبارته
« لما كان مرادنا في هذا الوقت الذي دعيت فيه للولاية عوض اخيكم

سيدي محمد الصادق ان نعطي لسموكم علامة ظاهرة على ما لنا من المودة
والوثوق نحوكم وجهنا لكم الصنف الاكبر من نيشان اللجون دونور
وان وزير الدولة الجمهورية مسيو كمبون يقلد حضرتكم باسمنا هاتم
الرتبة الرفيعة فلتقبلها حضرتكم العلية توثقة لربط الاتصال بين المملكتين
التونسية والفرنسية »

وبائر الولاية تفرغ هذا الامير لاصلاح حال رعيته واجراء التنظيمات اللازمة
ببلادها وافتتح ملكه باصدار عفوه الكريم لعموم العصاة الذين شقوا عصا الطاعة
في وجه الدولة الصادقية عند انتصاب الحماية وآذنههم بالرجوع لوطانهم
ورد عليهم املاهم كما اسقط بقية الغرامة الحرية على اهالي صفاقس الذين
ندموا عما صدر منهم من المجاهرة بعصيان الدولتين الحامية والحماية فتمتع
الكل من حينهم مثل كافة اخوانهم التونسيين بمرحمة الدولتين الحامية والحماية
ودام ملكهم عشرين سنة كانت كلها ايام راحة وهنا وكان من اكبر المساعدين
له على تحسين الاحوال بما يناسب الزمان والمكان وزيره الخطير الشيخ
محمد العزيز بوعتور المتوفى في مستهل المحرم سنة ١٢٢٥

وفي الخامس من ربيع الانور ١٣٢٠ ارتقى المرحوم محمد الهادي باشا
باي لكركسي الملك عوض والد المقدس وعلى عهدا زار فخامة مسيولوبي
الحاضرة التونسية اوائل سنة ١٣٢١ واقام بها ثلاثة ايام كانت كلها بواسم
بواسم وبارحها بعد ان ابقى بين اهلهما الذكر الجميل ودعى اميرها لزيارته
بباريز فرد له الزيارة في صائفة العام التالي وكان اقبال مسيولوبي لسيدي
محمد الهادي باشا باي باكمل مظاهر الاجلال والتعظيم واحضره بجانبه
في موسم عيد الجمهورية واستعرض الجيش الفرنسي تحت انظاره وبالغ

والدولة الفرنسية في اكرامه بما انطق لسان الامير المرحوم بالشكر الجميل
ودام ملك سيدي محمد الهادي باي اربعة سنين والتحق بربه ليلة اليوم
التاسع عشر من ربيع الانور سنة ١٣٢٤ وفي مساء اليوم المذكور تلقى
مولانا الامير الحالي التقليد الملكي وارتقى على عرش اسلافه الاكبرمين
قبل البيعة من رعاياه الصادقين المنزلين منه منزلة الابناء المطيعين وابتهجت
لولايته البلاد وانشرت لذلك قلوب الجموع والافراد واليك خطاب تنصيب
سمو العالي بلسان عمدة الدولة الجمهورية بتونس

يامولاي المعظم

بناء على مغيب جناب الوزير المقيم العام قد كلفت بان اترجم لحضرتكم
العلية عن شعائر الاسف الشديد الذي الم بالدولة الجمهورية لوفاته سيدي
محمد الهادي باي وقد كان سموه كوالده الجليل اصدق مساعد للحكومة
الفرنسية هذا وقد مر ربع قرن على ما بين الامة الحامية وتونس من
الارتباط المحكم تحققت اثناولا سعادة الايالة ونمت خيراتها وكذلك سيكون
ملك سموكم موسوما بالسعد وال عمران - وبالنسج على منوال اسلافكم في
التعلق بفرنسا سيتم بمساعدة حضرتكم مشروع العدالة والتعدن والتقدم
المناسب الذي قاموا به والذي هو عنوان الامارة في نظركم العالي

واني اقلد حضرتكم الولاية في هذا الجمع المشهود باسم الدولة الفرنسية
والتمس من سموكم ان تقبلوا تهنئاتي الدانية وفي هذا المقام يروق لي ان
اوكد لمقامكم ان حضرتكم العلية سيكون لها في جناب الوزير المقيم العام
خير مساعد على القيام بالولاية الجليلة التي آل امرها اليكم لحسن حفظ
المملكة التونسية

وقد اجاب سمو الامير عن تلك التصريحات العالية بالخطاب الجليل
الاتي نصه

ياجناب المعتمد السفير

لقد تأثرت تأثيرا حسنا من الاحساسات التي اعرب لنا جنابكم عنها بالنيابة
عن الدولة الفخيمة الفرنسية وارغب منكم ان تبلغوا لها عني تشكراتي
الخاصة وان تحققوا لها وثوقي بفرنسا حسبما هو غير خفي على علم جنابكم
وساقنفي بصدق نية وحسن طوية اعمال المرحومين ابن عمنا وعمنا واستعين
الله في بلوغ المرام في ذلك وارجوا سبحانه وتعالى ان يوفقني الى تسديد
مقاصدي مع الاستعانة المستمرة بعمدة الدولة الجمهورية الفخيمة على
ما فيه نمو الخير والسعادة والتقدم المادي والادبي للايالة التونسية اه

وهذا الجواب الشريف يدل على ما لسمو صاحبه من علو المدارك
وسلامة المقاصد وطهارة النية وحب الخير لمملكته واهلها فلذلك جاءت
مقاصد سموه موافقة بكل معاني الكلمة للمشروع الخيري الذي انتهجته
فرانسا بتونس وجريا على قاعدة هذا الود الراسخ اعرب فخامة مسيو فليار
رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي في اوائل العام الفارط عن مرغوبه
في زيارة المملكة التونسية التي كان زارها اواخر المحرم سنة ١٣٢١
في صحبة سلفه الموقر جناب مسيولوبي رئيس الجمهورية السابق على عهد
المرحوم سيدي محمد الهادي باي وتحفظ لها على ذكرى الوداد والمجاملة
شان النفوس الكريمة كما تقدمت الاشارة لذلك فتالت الدولة الفرنسية
باجمعها مرغوب رئيسها الهمام بعلايم البشر والاحترام واخذت من شهر مارس
الموافق لاول ربيعي عام ١٣٢٩ في تحضير برنامج هذا الزيارة السعيدة

بمشاركتة جناب الوزير مسيو الابنيت المقيم العام بالحاضرة ولما استهل ربيع الاخر الموافق لشهر افريل من السنة الفارطة كانت وزارة الخارجية ووزارتا الحرية والبحرية بفرنسا قد اخذت التاهبات اللازمة لانجاز الرحلة الرئيسية بالعمالة التونسية وباتحاد مع مدير التشريفات عينت الدولة يوم ١٨ افريل ١٩١١ فاتحة زيارته للديار التونسية

وقبل ان نام باخبار هذه الرحلة التي كانت موسومة بالخيرات الوفيرة لما تخلصها من نزول الغيث الجزيل بعد الضما الطويل ناسب ان نبتي اولابترين جيدها بترجمة مسيو فليار حتى تكون اخبارها مستوفاة من كل الوجوه ومعلوم ان هذا الرئيس الاكبر من الرجال الذين حنكتهم التجربة بممارسته الطويلة لاسياسة العمومية بفرنسا فهو شيخ الدولة وعظيمها الموقر بسائر بلاد العالم المتمدن لانه الروح المتجسدة من فرنسا والممثل لامتها قاطبة لدى جميع دول الدنيا

اما ترجمة فخامته فهو مسيو ارمان فليار ولد في ٦ نوفمبر سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ للهجرة) وقد دخل ميدان العمل بصفة افولت ببلد نيراك من المقاطعة المذكورة وولي عضوا بلديا بها سنة ١٨٦٨ ثم شيخ مدينة في سنة ١٨٧١ وولي العضوية بالمجلس العمومي بالمقاطعة المذكورة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٦ . وفي ٢٠ فيفري سنة ١٨٧٦ انتخب نائبا بمجلس الامة فكان واحدا من الثلاثمائة والثلاثة وستين نائبا وجدد انتخابه في سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٨١ وسنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٩ وفي تلك الاثناء ولي كاهية لوزير الداخلية والديانات في سنة ١٨٨٠ وكاهية لرئيس المجلس البلدي سنة ١٨٨٢ ثم وزيرا للداخلية سنة ١٨٨٢ و١٨٨٣ في وزارة

المسيو دوكلير وكان مسيو جول غريفي رئيس الجمهورية السابق كلفه بتأليف وزارة الفلها وتولى فيها زمام الخارجية ثم تولى في عدة وزارات زمام المعارف من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٥ فزمام الداخلية في سنة ١٨٨٧ فزمام العدلية من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٨٨ فزمام المعارف والديانات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٠ فزمام العدلية من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٨٩٢ دخل جنبه مجلس الشيوخ يوم ٨ جوان سنة ١٨٩٠ وجدد انتخابه للعضوية به يوم ٤ جانفي سنة ١٨٩٧ ثم ولي رئيسا لمجلس الشيوخ يوم ٣ مارس سنة ١٨٩٩ وبقي بهذا المنصب العالي الى يوم ١٣ فيفري سنة ١٩٠٦ وعندئذ استقال من رئاسة مجلس الشيوخ لتولي رئاسة الجمهورية التي انتخب لها في اجتماع فرساي يوم ١٩ جانفي سنة ١٩٠٦

هذا وقد آن بنا الاوان ان نتكلم على محل الحاجة من هذا التأليف فنقول مقتبسا مما ياتي من الجريدة الرسمية للدولة الفرنسية ومن الاوراق الرسمية وما سمعته من المصادر الثقات وشاهدته بالعين وحضرته بالذات

تحرك ركاب فخامة مسيو فليار من باريس مساء السبت خامس عشر افريل ١٩١١ وكان في معيته من الوزراء ورجال الدولة الفرنسية كل من جناب مسيو دلوكاسي وزير البحرية وجناب مسيو بامس وزير الفلاحة وجناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالوسطة والتلغراف وجناب الوزير السابق مسيو كوشري العضو بدار الندوة وجناب مسيو رمندو باش كاتب رئاسة الجمهورية وجناب الوزير المفوض مسيو مولار مدير التشريعات الرئيسية وجناب مسيو فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر

الرئاسة والقبطان البحري لوجي والكلونيل هلوت من معيني فخامة الرئيس ونجله
 مسيو اندري فليار وغيرهم من رجال الحاشية الرئيسية اما جناب وزير الخارجية
 فانه حال دون قدومه مع فخامة الرئيس تلبذ سحب المسألة المغربية يومئذ
 باوروبا وكان من مرغوبه ان يرافق الجناب الرئيسي في رحلته فلما عرض
 له ذلك العارض ارسل من باريس تلغرافا لجناب الوزير المقيم العام يقول
 فيه انه بمزيد الاسف لا يستطيع مصاحبة فخامة رئيس الجمهورية اثناء
 رحلته بالملكة التونسية لوقوع هذه الرحلة في زمن لا يمكنه فيه الابتعاد
 عن الوزارة الخارجية ولذلك فانه يرغب من جناب الوزير المقيم ان ينهي
 اعتذاره لمقام الحضرة العلية

هذا وكان ارتحال جناب الرئيس ومن معه في رتل خاص سار بهم قاصدا
 نغرتولون على طريق مرسيليا بعد ان تلقى فخامته مراسم المواعدة
 والاحترام من وزراء الدولة ورجالها وقد وصل الرتل الرئيسي لمرسيليا
 ضحوة نهار الاحد الموالي لليلة السفر فتقدم للسلام على فخامة الرئيس
 الجنرال اندري قائد مرسيليا العسكري وحيث لم يتقرر في برنامج الرحلة
 اجرا موكب قبل الوصول لطولون اكتفى فخامة الرئيس برد السلام على
 الحاضرين من عربته واقلع القطار بعد حين قاصدا طولون وكان الطقس
 جميلا والجواهايا بصحو الربيع فتسابق الناس لموقف السكة الحديدية
 واخذوا يهتفون بالدعاء لمقام الرئيس وللجمهورية واذاك نزل فخامته لقاعة
 الاستقبال بالمحطة التي كانت مزينة بالاكسية والرياش والبيارق الفرنسية ومن
 فنلقى مراسم السلام والاحترام من شيخ المدينة ومن حاكمها البحري ومن
 الجنرال قائد الفيلق الخامس عشر ومن عاملها واعضاء البرلمان الحاضرين

الحاضرين بها وبانفصال موكب القبول خرج فخامته من موقف السكة الحديد فصدحت لديه الموسيقى بالنشيد الوطني واطلقت القلاع مائة طلقة وطلقة مدفعية اشعارا بالسلام عليه واذاك تقدم فخامته نحو جبهة المعسكر الفرنسي وامتعرض الجيوش الضاربة هنالك وتكرم ببعض الاوسمة من درجات مختلفة على بعض الضباط والعساكر ثم توجه للقطور ومن بعدا قصد سراية المجلس البلدي بطولون وكانت رباع المدينة وشوارعها مزدانة بالرايات وبالكاليل والناس في جدل وهيام لشدة فرحهم بالرئيس الموقر والمحبوب فحيلا عند دخوله للسرايا البلدية شيخ مدينة طولون وخطب لديه خطبا حماسيا اشار فيه لتوقد نيران الغيرة والحمية في قلوب الفرنسيين وتعلقهم تعلقا وثيقا بالنظامات الجمهورية التي يستمتعون دونها فاعجب فخامة الرئيس بهذا الخطاب الوطني المبرهن على تمكن النظام الجمهوري من المهج والقلوب وقال ان في جعل طولون مركزا افتتاحيا لسياحته الافريقية معنى لطيفا يرمي لما لفرنسا من العناية بهذا الثغر المنيع العزيز باساطيله ذات القوة والبأس

وبعد ان بارح فخامته المجلس البلدي قصد ساحل المرسى فركب على ظهر نسافة حرية بصحبة وزارته وحاشيته وقصد الدارعة المسماة « الحق » واذاك كانت كل السفن الراسية بعمال الشجر من حرية وتجارية تخفق على اعاليها رايات الزينة والافراح وعند ما وطأت قدمه متن تلك الدارعة اخفق لئمندها فوق عمودها الاعلى راية رئيس الجمهورية وهذا الراية الخاصة بفخامة متولي الرئاسة هي الراية المثلثة الالوان بعينها سوى ان فوقها بالقلم الغليظ وباحرف ذهبية رمزا يشير لاسم صاحب الرئاسة

وادی نوتيتها السلام لجناحه واذاك تكرم فخامته فقلد الكمندان المدكور
وسام الكمندور من اللجيون دونور وانعم على بعض ضباط الدارعة باوسمة
من درجات مختلفة ثم امر فخامته بالاقلاع والسفر فسارت الدارعة قاصدة
ميلا بنزت مخفورة باسطول ضخيم سار حسب النظام الاتي ففي المقدمة
على اليمين والشمال الدوارع الاتية :

الوطن - الديمقراطية - رينان - العدالة - الحرية - سوفرين

وفي الوسط : الدارعة الرئيسية

ومن خلف الدوارع الاتية :

البيادي - التريور - البهاوان - الفارس - البلطة - القانص

اما المدرعة الرئيسية فكانت لامرلة الكمندان سان بير المستشار البحري
سابقا بسفارة فرنسا في رومة وهي ذات اربعة مدافع من اعظم طراز وبها
من النوتية ٧٤٢ بحريا وقوتها تبلغ الى ١٨٠٠٠ حصان

هذا وكان سير الاسطول بفخامته بحساب ١٧ ميلا بحريا في الساعة
فقضى في البحر ليلة سابع عشر ابريل ويومها كانت البحر في اول السير
هادئا والهواء عاليا ثم اعقب ذلك حدوث عاصفة شديدة في الليلة الثانية
التي اسفر صباحها عن وصول فخامته بسلام



الباب الاول

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبنزرت واستعراض الاساطيل بها

وهو اليوم الاول من رحلة فخامته (١٨ افريل ١٩١١)

قبل ان نتكلم على تفاصيل تلك الزيارة يجدر بنا ان ننقل للقاري نبذة من اخبار بنزرت وما كانت عليه في العهد القديم ليتمكن للمطالع ان يناظر بين ماضيها وحاضرها فمدينة بنزرت جاء ذكرها في معجم البلدان بهذا اللفظ الذي هو اسمها المعروف لهدنا هذا

ولم ندر لما ذا رسمها الشيخ محمد يرم في رحلته صفوة الاعتبار بلفظ « بني زرت » فكانه توهم انتسابها لقبيلة او شبه ذلك كقولنا بني خلاد وبني حسان اما كلمة بنزرت فمحرقة عن لفظ « هيبوزارتوس » الذي هو اسمها في ايام الرومان وهي انجرت لهم من الفينيقيين قبل زماننا هذا بما يقرب من الفي عام وكانت يومئذ من ازهر ثغور الاستعمار الروماني بافريقيا وبعد ان اخذ الرومان دورهم من العز والودد وتولى امرهم الادبار سنة الله التي لا تتحول عاث البرابرة فيها بالنهب والفساد وساعدهم على اتمام تدميرها امة الوندال الذين توالى هجماتهم على شمال افريقيا بعيد المسيح فكانت بنزرت في القرن الرابع قبل الهجرة سائرة مع تيار الانحطاط وهكذا وجدها العرب عند قدومهم لفتح افريقيا بل وهكذا بقيت قرونا طوالا الى ان ورد عليها الاندلس من جالية عام ٩٠٠ للهجرة فحركوا رماها ونفخوا روح الحياة في ربوعها الدارسة واحداثوا فيها المصانع والغروس وعمروها بالبناءات ناهيك انهم اسسوا بها حومة تعرف ليومنا هذا باسم

« حومة الاندلس » الواقعة في قلب المدينة كما فعل اهل الجالية الاخيرة منهم بتونس على عهد يوسف داي (اوائل القرن الحادي عشر للهجرة)
وفي القرون الوسطى كانت بنزرت مكمنا لاهل اللصوصية من قرصان البحر ولها في هذا الباب شئتان مع اساطيل البندقية التي كثيرا ما رمتها بالقنابل اخذا بالثار

ولبنزرت اهمية بحرية عظمى يقال ان موقعها البحري من اهم البواعث على انتصاب الحماية الفرنسية بتونس لذلك كان هذا الثغر المنيع محط انظار الدوائر العسكرية الفرنسية من حين بسط اجنحة الحماية على هذا الديار فقد انفتحت فرنسا على استحكام ثغر بنزرت من المال ما دونه كنوز قارون واهتمت بهذا المرسى الاهتمام الذي جعل اليوم بنزرت في طليعة المراسي الحربية الاولى على لوحة الوجود باقرار كل موجود وفي صدر الحماية كان سكان بنزرت نحو خمسة الاف نسمة فبلغوا اليوم خمس مرات اضعاف ذلك وهذا بقطع النظر عن مدينة فريفييل المتولدة عنها والواقعة على بحيرتها بالقرب منها حيث مناخ اليد العاملة البحرية والحربية الفرنسية وقد اخذت مدينة فريفييل من سرعة التقدم ما جعلها على صغر سننها مغمورة بالعمران ناهيك ان عدد سكانها يربو اليوم على العشرة الاف نفس

لاجرم ان مثل هذا التقدم الواضح المويده لسطوة فرنسا بين الامم هو الذي جعل بنزرت مما يقام لها ويقعد في دواوين الحكومة الفرنسية وكان ابنا جيلنا الحاضر لم يزالوا على ذكر من الخطوة التي نالتها هذا المدينة لثمان سنوات فارطمة عند تشرفها بزيارة فخامة رئيس الجمهورية

السابق فكيف بها وقد نمتي تقدمها وتكاملت عدتها حتى صار ثغرها امنع
من عقاب الجوى بذلك عليه التصريحات العظيمة التي هي عنوان السياسة
الفرنساوية من جهة مصالح فرنسا الوطنية التي فلا بها فخامة رئيس
الجمهورية عند قدومه للعمالمة التونسية كما سترلا قريبا

اما وصول الاسطول الرئيسي لميلا بنزرت فكان بكرة يوم الثلاثاء
ثامن عشر افريل ١٩١١



الدارعة الرئيسية المسماة « الحق »

وكان دخول الاسطول لبحيرة المرسى على الساعة السابعة صباحا
مصحوبا بمظاهر المهابة والاجلال فحيته في الحال الاساطيل الفرنسية
والانكليزية والاطليانية والاسبانيولية التي سيأتي ذكرها وهتف نوتية جميعها
بالسلام واطلقت المدافع من المعامل والثكنات ومن الاساطيل المذكورة
واذاك تهب فخامة الرئيس لقبول سمو الحضرة العلية التي تقدم مجيئها
لبنزرت بكرة ذلك اليوم في رتل خصوصي مصحوبة بالوزراء الفخام
وبرجال الدولتين الحامية والمحمية وعندئذ ركب سمو الامير ونجله
البرنس سيدي المنصف باي وجناب الوزير المقيم العام وجناب الوزير
الاكبر وجناب وزير القلم وكبار رجال الحاشية الملكية الطرادة الحرية

المسمات « هالبارد » وسارت بهم تحت الراية الحسينية نحو الدارعة
الرئيسية وعند صعود سموها اليها اخفق كمنذاتها بجانب الراية الرئيسية
البيرق الحسيني واذك ادت الدارعة الحرية الراسية قريبا من هنالك
مراسم السلام لمقامه الملوكي باطلاق احدى وعشرين طلقة مدفعية وعند
ارتقاء سموها للدارعة الرئيسية تلقاها براس المدرج جناب مسيو مولار مدير
التشريفات ورجال الحاشية الرئيسية وتقدموا بسموها نحو قاعة الاستقبال
حيث كان فخامة الرئيس في انتظاره وحوله وزراء وكان مسيو فليار بكسوة
التشريف الكبرى وسمو سيدنا محمد الناصر باي بملابس الاعياد وعلى راسه
التاج الوهاج وصدره موشعا بالشرائط الاكبر الفرنساوي وبرقبته نشان
آل البيت الحسيني فلما دخل على فخامة الرئيس تلقاها جنابه بمظاهر
التعظيم والتكريم وبعد ان تصافحا مصافحة الكرام حيتته الحضرة العلية
بالعبارات الاتية تلقاها فخامته بمظاهر الشكر الجميل - قال -

اني اعد هذا اليوم من اسعد اوقاتي واني احقق لفخامتكم ان سروري
اصبح عظيما بقدم جنابكم لزيارة هذه الديار التي في دنف حماية فرنسا
المنبعة

واني اقدم لفخامتكم عبارات التهنية القلبية وارجو من الله ان تكون
رحلكم مشمولة بالراحة ومقرونة بالسرور

ثم تعرف كل من جنابها بحاشية صاحبه فقدمت الحضرة العلية
لفخامة الرئيس نجلها سيدي المنصف باي ووزيرها الاكبر ووزيرها
للعلم وقدم فخامته لسموها وزير البحرية ووزير الفلاحة والكاهية
الوزيرى للبوسطة والتلغراف وباش كاتب الرئاسة الجمهورية وبقية رجال

معيته ثم بعد ذلك جلس سموهما فوق دسيتين توأمين فخيمين وتبادلا عبارات الوداد الراسخ بما دل على تمكن صلات الوفاق واستحكام روابط الالفة بين العنصرين المتحايين

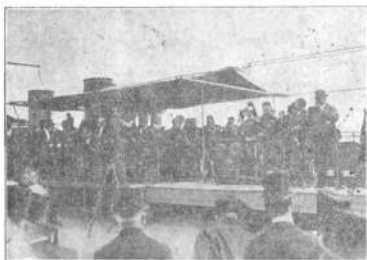
وكان جناب الوزير المقيم اثناء ذلك محل التفات فخامة الرئيس فحيلا جنابه تحية الوداد وشكر همته عن ملازمته لمركزه العالي بالرغم عن الرزء العظيم الذي ألم به قبل ذلك يوم اذ فقد اخلا بفرنسا



جناب مسيو الابنتيت الوزير المقيم العام

ثم على اثر ذلك قدم على الباخرة الرئيسية الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي مصحوبا باركان حربه فادى لفخامة الرئيس زيارة الاكرام والاحترام وعلى اثره قدم الامير اوبري قائد الاسطول الطلياني مصحوبا باركان حربه وادى لفخامته مثل تلك المراسم ثم على اثره قدم القبطان ماركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية وادى لفخامته نظير تلك الواجبات وكان لزيارة هؤلاء القواد الثلاث احسن وقع في النفوس لما قاموا به نحو

فخامة الرئيس من مظاهر التوقير والتعظيم ثم بعد ان قدم فخامة الرئيس روساء الاساطيل الثلاث واحدا بعد واحد للحضرة العلية انتقل وسموها على الساعة الثامنة للطراوة المسماة « الهرج » من اسطول بنزرت واستعرضا عموم الاساطيل الفرنسية والاجنبية المتجمعة هنالك

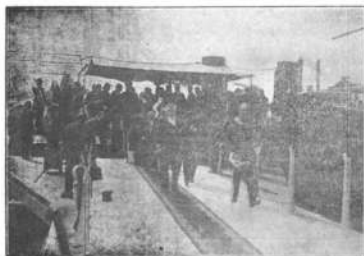


فخامة الرئيس والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بميناء بنزرت فكان منظر ذلك في آن واحد بديعا ورهيبا لما تحكيه تلك المظاهر النارية من معاني القوة وسلامة الاوطان وفي تلك الاثناء كانت المدافع تبرز وترعد بما يخيّل انها قد قامت القيامة والموسيقى تترنم باناشيد الفخار والنوتية يهتفون بالدعاء

ثم بعد استعراض الاساطيل ركب فخامة الرئيس بوزرائه وحاشيته زورقا حريبا وتوجه لرد الزيارة للاميرالات قواد الاساطيل الاجنبية فابتدا اولاً بالاسطول الانكليزي حيث ارتقى للباخرة الاميرالية المسماة « سوفتزور » وزار الاميرال بوالمفود باسطوله من قبل دولة بريطانية

العظمى ومن بعده زار الاسطول الطلياني حيث تلقاه على متن الدارعة « بنديتوبرين » الاميرال اوبري الموفود باسطوله من قبل دولة ايطاليا ثم ختم زيارة السفن الاجنبية بزيارة الدارعة « كتلونيا » الموفودة بقيادة القبطان ماركيس للسلام عليه من قبل دولة اسبانيا وبهاته المناسبة احسن فخامته بوسامات الشرف لضباط تلك الاساطيل فللاميرال الانكليزي بالصف الاول من اللجيون دونور ولن سولا باوسمة من الدرجتين الثالثة والرابعة اما الاميرال الطلياني فحيث كان محرزا من قبل على الصف الاول الفرنسي فقد اهداه فخامة الرئيس وعاء ثمينا من الفيروز يمثل شكل المرأة « المصلية » التي رسمتها يد المعلم كاربو النقاش المشهور

وبعدئذ عاد فخامة الرئيس من زيارة الاساطيل الاجنبية فيركب والحضرة العلية ووزراهما رحاشيتهما الطراد « الهرج » التي تقدم ذكرها وساروا نحو جبهة البر للنزول بينزرت



نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية الى البر

فنزل فخامته والحضرة العلية على نعمات النشيد الوطني الفرنسي
وكان في استقبالهما كافة اهل الخل والعقد ولدى نزول فخامته البرادسل
جنابه رسائل برقية للملوك انكلتيرة وايطاليا واسبانيا في التشكر انهم عن
مشاركة اساطيلهم في الاحتفال بفخامته بمناسبة قدومه للبلاد التونسية مما
يؤيد علائق الوداد بين دولهم والدولة الجمهورية ولا شك ان في قدوم
تلك الاساطيل في الاوقات الحاضرة معنى سياسيا دقيقا لانه صادف اول
مرة شاركت فيها اساطيل تلك الدول بالحضور رسميا في مظاهرات
فرنساوية بالميلاد التونسية

ثم تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامة الرئيس باولئك الدوات ومشى
لموكب نحو جهة العساكر التي حشدت هنالك لاداء مراسم السلام والاحترام
في تعرضها لفخامته ثم انعم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة على الكولونيل
دونال قائد الطبجية وبوسمة من الرتبة الرابعة على من دونه من ضباط البر والبحر



فخامة الرئيس يقلد الاوسمة لضباط حامية بنزرت

وكان المقام جليلا لكونه عسكريا بحثا ترنمت خلاله مويسقى الجيش
 باناشيد الفخار وانشودة المرسلiaz الوطنية التي ما سمعها احد فيه نفس
 تتحرك بين جنبيه إلا وداخله العجب وتحركت فيه دواعي الحمية وهذه
 الانشودة التي نظمها احد الوطنيين من الضباط الفرنسيين واسمها
 « روجي دلايزل » في سنة ١٧٩٢ كادت ان تكون اشهر من نار على علم
 حتى انها قد اصبحت في زماننا هذا انشودة العالم المتمدن باجمعه ولا شك ان كل
 واقف على اخبار الدول واحاديث الملل ام يزل على ذكر من ان خلع السلطان
 عبد الحميد خان وقيام السلطان محمد خان الخامس كان على نعمات هذا النشيد
 بلسان حزب الاحرار من الامة العثمانية وقد اعتنى المرحوم رفاعه باشا الطهطاوي
 المتوفى سنة ١٢٩٠ بترجمة هذه الانشودة ورسمها في رحلته المشهورة وانا
 نقلها عنه هنا اتماما للفائدة لان ذكرها سيتكرر مرارا بهذه الرحلة ودونكم انصبا

فهيا يا بني الاوطان هيا فوقت فخاركم لكم تهما
 اقيموا الراية العظمى سويا وشنوا غارة الهيجا مليا
 عليكم بالسلاح اياها الى ونظم صفوفكم مثل اللاالي
 وخوضوا في دماء اولى الوبال فهم اعداؤكم في كل حال
 وجورهم غدا فيكم جليا بنا خوضوا دماء اولى الوبال
 اما تصفون اصوات العساكر كوحش قاطع البيداء كاسر
 وخبث طوية الفرق الفواجر ذبيح بنيكم بظبى البواتر
 ولا يبقون فيكم قط حيا
 (عليكم الى آخر الايات الثلاث)

فماذا تبغى منا الجنود وهم همج واخلاط عبيد
 كذا اهل الخيانة والوغود كذا ملك بغي لن يسودوا
تعصبهم لنا لم يجد شيا
 (عليكم الى اخره)

لمن جعلوا السلاسل والقيود واغلالا واطواقا حديدا
 لاهل فرسة ليروا عبيدا وليس مرامهم هذا جديدا
 اما هذا عجيب يا اخيا
 (عليكم الى آخره)

وكيف يسوغ ان نرضى رعاا من الاغراب ينفون ارتفاعا
 ويجري شرعهم فينا شراعا واندا لا لديهم لا تراعى
 رعايا بل تكب على المحيا
 (عليكم الى آخره)

فسلم يا سلام من المذله فما نرضى بان نبقي اذله
 وباسرنا وقتيتنا اجله فريق بالدرهم قد تولد
 فكيف وقدرنا اضحى عليا
 (عليكم الى آخره)

الهي كيف يقهرنا ملوك بسبل العدل ليس لهم سلوك
 واندا للاستعباد حيكوا وما في الفخر يشركنا شريك
 ولا احد به ابد حريا
 (عليكم الى آخره)

قفل لهم ايا اهل المظالم وارباب الجرائم والمـ ثم
 اما تخشون من تلك المحارم كذا اهل الخيانة للمكارم
 وظلمهم لقد بلغ الثريا
 (عليكم الى آخره)

احلوا الخوف نحوكم اماما وخلوا العدل عندكم اماما
 ونقضكم لموطنكم ذماما به تجزؤن ذلا وانتقاما
 وتكتسبون عند القوم خزيا
 (عليكم الى آخره)

فهاكم قد تعسرت الاهالي وسارت كلها نحو القتال
 لتقتحم المهالك لا تبالي اذا ما مات ليث في النزال
 تولد ارضنا شبلا صيبا
 (عليكم الى آخره)

صغير القوم منا والكبير يحب قتالكم فرحا يطير
 نحاربكم وليس لكم نصير وليس لحربنا اصلا نظير
 وحاشا فحولنا يلقون عيا
 (عليكم الى آخره)

لنا وطن به همنا غراما به تقوى عزائمنا دواما
 نعمانه ونخشى ان يضامنا وناخذ ثاره ممن تعامى
 وجاروان يكن ملكا عتيا
 (عليكم الى آخره)

لنا حرية في الكون تسمو تزيد اذا الحروب بدت وتنمو
تمنع عن بنيها ما بهم بها ثمرات نصرتهم تتم
على نعم المثاني والحميا
(عليكم الى آخرة)

تموت عداتها موتا شنيعا اذا ما ابصروا عزا منيعا
يحوز حماتهما مجددا رفيعا فويل للذي يبني الرجوعا
لرق يكتسى خطأ وغيا
(عليكم الى آخرة)

سندخل سلك ارباب الجهاد كاسلاف لهم طول الايادي
ونحونحوهم في كل ناد ونقفو فضلهم في كل واد
ونبلغ في العلى شأوا قصيا
(عليكم الى آخرة)

نؤمل ان نكون لهم فداء وكل فتى بفخر النصرباء
وان لا بعدهم نبقى مساء اذا لم تنتقم لهم العداء
وياخذ ثارهم من كان حيا
(عليكم الى آخرة)

ولنرجع لحديث رئيس الجمهورية فنقول ان فخامته والحضرة العلية
واهل الموكب جميعا ساروا بعد على القدم بين سموط العساكر قاصدين دار
المراقبة المدنية بينزرت حيث تلقى فخامته مراسم التهئة والسلام من متوظفي
الادارات واساتذة التعليم ومن الهيئات الرسمية والمجلس الشرعي واعيان

النزلاء والاهالي وكانت دار المراقبة وشوارع المدينة تدرى عليها رايات الزينة والوجول باسمة والقلوب فرحة مسرورة بحيث انه لما خرج فخامته والحضرة العلية من موكب القبول وسار ركابهما العالي نحو قاعة غذا الفطور بقمرق المرسى كانت الازقة والبطاح تتماوج بالخلايق والناس في جموع مولفة قد جاءوا من كل حذب ينسلون



الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت

ومما زاد ذلك المنظر بهجة وحسنا تقاطر جموع المريدين اهالي طرق الذكر من بنزرت والاعمال القريبة منها وكذلك عمد العربان وشيوخ احيائهم وفرسان قبائلهم فكان لاجتماعهم في صعيد واحد بصباحية الوجد وبخيالة النظام في ذلك الوسط المختلط اختلاط الحابل بالنابل منظر يحاكي يوم الحشر والنشر

وكانت قاعة الفطور مغطاة بالبسط الرفيعة ومجالاة بالبيارق الفرنسية والتونسية والانكليزية والاطليانية والاسبانيولية ومتوجة بالاسلحة من كل نوع

والمائدة مزينة بالزهور والرياحين وبالأواني الفخاوية من نوع الخزف التونسي فجلس فخامة الرئيس بصدارة المقام وجلس المقام الملوكي على يمينه فالاميرال اوبري قائد الاسطول الطلياني فجناب مسيو بامس وزير الفلاحة فجناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالوسط والتلغراف فالسيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت فجناب مسيو لوشري الوزير الاسبق فالبرنس سيدي المنصف باي فجناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر فجناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط فجناب مسيو بركلي قنصل جنرال انلكيترا بتونس

وجلس ليسار فخامة الرئيس جناب الاميرال بو قائد الاسطول الانكليزي فجناب مسيو دلكاسي وزير البحرية فالقبطان ماركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية فجناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام فمسيو انوكاهية المجلس البلدي بنزرت فجناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم فمسيو سيري كاتب مجلس الشوري فجناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا بتونس فجناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا بالحاضرة ببقية الذوات فمكاتبو الصحف الباريسية المصاحبون للركاب الرئيسيين فاصحاب الجرائد الفرنسية والطليانية بتونس فمدير جريدة الزهرة اليومية ببقية الاعيان بحيث بلغ عدد الجميع نحو ثلاثمائة حضروا كلهم تلك المائدة الانيقة باستدعاء من المجلس البلدي بنزرت

وفي ختام الفطور استوى كاهية المجلس البلدي واقفا ونطق بخطاب حي فيه فخامة الرئيس وهنالا بالقدوم واقتبس من حضوره باسطول ضخم في ميلا بنزرت الدلالة على ما لفرنسا من العناية بهذا الثغر ثم استمنح من

فخامته استعمال وساطته الكريمة لدى جناب الوزير المقيم ليفسح المجال للتجارة بمرسى بنزرت وختم كلامه بالثناء على همة مسيو دلكاسي وزير البحر الذي ما انفك نصيرا لشعب بنزرت المنيع ثم شرب نخب فخامة الرئيس والحضرة العلية فصفق له الحاضرون

وتالا في الخطابة رئيس الحجرية التجارية بينزرت فاعرب عن تحمس وطنيته وغيرته وعما لمجلس التجارة من الرغائب والاماني والفت نظر مسيو فليار لاهمية موقع بنزرت من جهة التجارة القاضية بانشاء حوض خاص لوسق الفحم المستخرج من مقاطع الوزنة بالجزائر الندي يومل تحويل استصداره من الميلا الجزائرية للميلا البنزرتية ثم ختم خطابه بالدعاء للجمهورية ورئيسها بالسعادة والاعزاز وقام بعدا مسيو سيري كاتب مجلس الشورى والقي الخطاب البليغ الاتي ملخصه

افتتح مسيو سيري خطابه بالاعراب عن شعار الفيرة والنخوة الوطنية التي شملت كافة الفرنسيين بالعمالة التونسية بمناسبة قدوم فخامة رئيس الجمهورية الذي هو راس الامة الفرنسية الحرة والمثل في اعين العالم المتمدن لشهامة ومجد الشعب الفرنسي

ثم تخلص لاسداً مزيد الشكر لجناب الوزرا واعضا البرلمان ورجال الصحافة الفرنسية الذين شاركوا كل بما في طاقته على تأييد السيادة الفرنسية بالعمالة التونسية وعلى تحقيق سعادتها ونشر اعلام التمدين فوق ربوعها

ثم عرف الخطيب بما آل اليه امر بنزرت التي اصبحت ثغرها منيعا وصالحا
لايواضخ اسطول في العالم كما يستدل ذلك من حضور الاسطولين
الانكليزي والاطلياني بجانب الاسطول الفرنسي لاداء مراسم الاحترام
لفخامة رئيس الجمهورية

ثم قال ما معناه ان فرنسا احيت هذه الارض بفضل نشاط معمرها
فاصبحت جبهاتها تزخر بالخير كالبحور واصبح العرب اهلها في سعة من
الرزق يعيشون تحت جناح الامان والعافية

ثم اشار لارتقاء موارد الزراعة فقال ان الشجرة المباركة قد مدت
اجنحتها فيما بين سوسة وصفاقس بحيث انه لا يلبث غير زمن قليل حتى
تصبح تلك الجهات مغطاة بظلالها الوريث وهذا زيادة على ما قامت به
دولة الحماية من تمهيد السبل ومد سكك الحديد وفتح المراسي لتسهيل
التاجر واستثمار كنوز الارض التي منها مناجم الفسفاط الواقعة بعمل قفصة
ثم قال وبغاية جناب الوزير المقيم العام محل اعزاز كافة المعمرين قد

انتشر التعليم كما تم تاسيس جمعيات الاحتياط الزراعية التي اشتد بها ساعد
الاهالي والتي انتقدتهم من اضرار المجاعة والربى وهذا فضلا عما منحهم
الدولة من التخفيض في ضريبة المجبى على التدريج وانتقل بعد ذلك
لل كلام على احتياج المملكة لقرض مالي فاستعطف من مراحم فخامة الرئيس
ومن وزراء الدولة الجمهورية واعضاء البرلمان الحاضرين ان يمدوا يد
المساعدة لانجاح هذا القرض الذي وافقت عليه لجنة الميزانية بهمة الوزير
المقيم العام اثناء اقامته الاخيرة بباريس

وفي الختام شرب الخطيب نخب فضامة الرئيس ودعا له ولفرنسا
بالسعادة وال عمران

واخيرا نهض فضامة رئيس الجمهورية فاستوى الحاضرون وقوا
والقى الخطاب العظيم الاتي نصه
سادتي

انه ليسرني جدا اهداء المملكة التونسية سلام الاخوة من قبل فرنسا كما
يلذ لي جدا انهاء الذكر الحسن من قبل الدولة الجمهورية لسمو سيدي
محمد الناصر باي واني لسعيد الحظ برفع كاسي على سلامة حضرته العلية
داعيا من صميم الفؤاد بالسعادة لسموه ولبيت الحسيني

سادتي

انكم على علم من مقدار الاهتمام البالغ الذي نتبع به ارتقاء حمايتنا من
ورا' البحر الفاصل بيننا واني لا اغرب على احد اذا قلت لكم ان ذلك الارتقاء
المتوالي عودنا على الاعتقاد بانه في هذا الصقع من ارض افريقيا حيث كان
مقر السيادة الرومانية في غابر الزمان ومناخ مدينتها التي اضاءت بنورها
اطراف المعمور قد احينا بمساعدة مواطنينا ابناء العنصر الاهلي بعد انطواء
قرون عديدة طريق السلوك بهذا القطر نحو مدارج الثروة التي ستمو بها
قوة جميعنا لما سيعاظم بها مجدنا بين امم البحر المتوسط

وان الاشغال العظيمة التي قامت بها الحماية بمدخل بحيرة بنزرت
ليست بالقليلة الاهمية في جانب الخطوة الفسيحة التي مشيناها للامام افليس
لنا في هذا الحين نفسه شاهد عدل على ذلك في مشهد هذا الاحتفال بهذا
الشعر البسيم الذي هو كشف طلائع المدينة والذي هو محل العناية بفضل

مشاركة ما كنيه على الخدمة في سبيل مستقبله الحسن - فلنا بالذي نسي
هذا الاستقبال الباهر الذي واجهتنا به بنزرت واني اشكر لمعتمدها البلدي
الذي خطب الان بين يدي ارق خطاب لما اثنى على كفاة اهاليها
الجديرين كمعتمدهم المذكور بكامل العناية وادعو للجميع بخير

وانه ليروق لي تدكر زيارتي اليكم سنة ١٩٠٣ في صحبة سلفي المعظم
ولاجله فان رئيس مجلس التجارة الحريص على مصالحكم التي هي في المعنى
مصالحننا قد صادف المرمى اذ اشار في خطابه البليغ للتصريحات التي وقعت
في ذلك العهد وهي تصريحات نراها قد اثمرت عيانا بفضل اجتهاد اولئك
الشجعان الذين غرسوا شجرة عظمتنا الاقتصادية والبحرية بهذه الارض
المختارة فاولئك الرجال ومن اعقبهم في العمل قاموا دائما بواجب الدمة
وعليه فاقدا بتصريحات كاتب مجلس الشورى الفرنسي الذي مجد
ذكرهم ا لون سعيد الحظ بتوجيه عبارات الامتنان بالنيابة عن الامة
لكافة المعمرين والاهالي المفتخرين بتعاظمهم بفرنسا

سادتي

قد حصل لي ابتهاج عظيم من حسن القبول الذي حييتموني به
فكان ارواحنا قد امتزجت بارواحكم او كان نفخا من روح الجمهورية
بعث لضفتي البحر المتوسط ليجعل اخلاصنا رسيخا لشرائع وتعاليم ومقاصد
وطننا العزيز العظيم واني اراكم قد ادر كنتم ان الغرض من رحلتي هذه
اليكم ليس هو الاكتفاء بالتفسيح وبنعيم السياحة بل القصد منه القيام بعمل
افع لكم والينا - نعم اني جئت لارى واسمع واحفظ ما سيقال لي

وان الوزراء اعضاء الدولة الفرنسية جاءوا ايضا لهذا الغرض نفسا
فمردنا ان نستطلع الاحوال بانفسنا وان نماسكم بالدات لنسمع مباشرة من
افواهكم ما هي احتياجاتكم وما هي رغائبكم وجوابنا عنها سيكون
ليس بالمواعيد الفارغة لانه لنا اليقين بان زيارتنا هذه سينتج عنها الخير
لمشروع الحماية الذي قد نما واثروكم من تقلبات في طريق الاصلاح
قد حصلت هنا في ظل رايتنا اثناء هذه الثلاثين سنة

هذا وبالجمع بين بحيرة بنزرت والبحر الكبير قد اصبح في طوعكم
ان تمكنوا عند الحاجة اقوى السفن الحربية من الالتجاء لمهرب مستعصم
كهذا او من مساعدتها على اي اصلاح بهذا المعامل البحرية المستكملة
النصاب

واني اهني نفسي معكم بقبول زيارة السفن الحربية الجميلة التي
اوفدها ثلاث دول عظمى احبة لياهمكم الزاهية حدوا احد اساطيلنا العظيمة
ونعني بها تلك المدرعات التي رضيت غيرتي الوطنية بالسلام على اعلامها
المظفرة اثناء الاستعراض البهيج الذي وقع تحت نظري في هذا الصباح
فادلة الاعمال المحمودّة التي نشأت عن الحماية قد اصبحت تقوت
الحصن بسائر جهات المملكة ومن ذا الذي في وسعه ان ينكر المحسوسات
فالفرنساويون الذين كانوا في عدد سبعمائة ايام معاهدة باردو قد تجاوزوا
اليوم الاربعين الفا ومساحة اراضي الزراعة التي اتسم نطاقها بفضل
احياء الارض الموات اصبحت تربو على ثلاثة ملايين هكتارا وقد كان
الهكتار من الارض في سنة ١٨٨١ يتراوح بين خمسة فرنك وخمسة عشر
فرنكا فصار اليوم يتراوح بين المائة والخمسين والثلاثمائة واصبحت قيمة

الرباع في المدن مما يملكه الفرنسيون تبلغ على التقريب الى مائتين وعشرة ملايين وفي مدينة تونس حيث نحل هذا المساء قد بلغت البناءات التي وقع تشييدها في السنين الاخيرة الى نسبة بناية جديدة في كل يوم ومن حيث الكنوز المعدنية قد منحت الدولة من تأسيس الحماية الى اليوم ٤٢ مقطعا معدنيا يستخرج منها بنسبة خمسمائة الف طنلاطة من الحديد والتوتية والرصاص مقابل مليون وثلاثمائة الف طنلاطة من الفسفاط

وقد امتدت الطرقات لسائر الجهات فحل حولها العمران والثروة واصبح طولها لا يقل عن اربعة آلاف ميل بعد ان كان اربعة اميال لا غير في سنة ١٨٨١ وهي عبارة عن الطريق الواقع بين باردو وتونس وبلغ طول شريط السكة الحديد الى الف وستمائة ميل تسير فوقها الارمال الان واما قريب سيرتفع هذا العدد الى الفي ميل

وخاتمة القول في هذا الباب فتح اربعة مراسي عظيمة تامة العدة تتجاوز حركة تجارتها مليوني طنلاطة

وقد كان نمو الحركة التجارية على التدرج والتوالي فبعد ان كانت بنسبة ٧٦ مليونا من الفرنكات في سنة ١٨٨٤ صارت بنسبة ٢٢٣ مليونا ونصف المليون في سنة ١٩٠٩ ينوب منها المتاجر الفرنسية وحدها ١١٩ مليونا من الفرنكات اي على نسبة ٥٤ في المائة من المجموع وذلك بعد ان كانت حصة فرنسا في سنة ١٨٨٤ على نسبة ٣٥ في المائة وقيمة متاجرها نيف وستة وعشرون مليونا لا غير

ولقد كان في الوسع الاكتفاء بهذا النتائج لو كانت حياة الامم متوقفة على مجرد استثمار مواردها الاقتصادية وحدها الا ان هنالك قوات وموارد اخرى معنوية من المتأكد استخدامها قبل كل شئ لتدعيم هيكل الحماية على اساس متين

ان الحماية لم تهمل شيئا من الامور التي تحوم حول مديد المساعدة لكافة المستظلين برايتها من جميع الملل والنحل فقد اعانتهم على التعليم لتثقيف افهامهم وعلى معرفة واجباتهم لاتباع طريق الرشاد وعلى اعلاء مداركهم لتوطيد عرى الوفاق بين بني الانسان

وفي هذا المقام يلزم اسداء الشكر لمدارس التعليم ولاساتذتها الجديرين من كل وجهة بوثوق الاباء والامهات لانهم لم يبخلوا باوقاتهم ولم يرضوا بعنايتهم ولا باجتهدهم للقيام باموريتهم الشريفة ذات المصاعب الكثيرة كما يلزم الثناء ايضا على مشروعات الاعانة العمومية والمستشفيات ونظامات التعاون والاحتياط والقروض الزراعية وبعبارة افصح يلزم ان نمجد كل صنيع من شأنه ان يطرد عن هذا القطر المصائب التي تالم منها جسده في الماضي كالجوع والربا والوباء

والخلاصة ان هذا النور المتزايد الذي اشرق على هذا القطر انما هو بفضل ذكاء فرانس الكريمة فلذلك يسوغ لنا جميعا الابتهاج بما قد حصل ومن العدل ينبغي ان نلهج بشكر سمو الحضرة العلية عن مساعدتها العالية لمشروعاتنا في كل حين كيف لا وفضائلها وحبها لصنائع الخير وصدقتها لقرىنا وجيل ميلها لنواب الجمهورية وتعضيدها اياهم لم يحم الشك حولها قط زيادة على ما لسموا من علو المثال الذي جعله قدوة تعلم الناس مثالا

كيف يعتني امير في قصره بالوقوف بنفسه على تربية وتعليم اطفاله
 هذا ولا يسوغ ان ننسى ايضا ما هنالك من المشاركة الحسنة التي قام
 بها النزلاء الاجانب وهي مشاركة ناطقة بشواهد تعلقهم بهذا الايالة وبالهياة
 القابضة على ازمة امورها فلنتشكر عن ذلك لرجال الجالية المالطية ولرجال
 الجالية الطليانية القوية والقديرة التي عملت كثيرا في سبيل النهضة
 الاقتصادية والتي بحسن سلوك ابنائها قد زادت في توثيق عرى الوداد بين
 فرنسا وايطاليا

فهذه الحقائق المؤثرة تبشر بالبلوغ لاسمى المقاصد الوطنية ولذلك ارفع
 كاسي على سلامة الديار التونسية واشربه باقتضار على سعادة عصرها الحاضر
 وبامان على مستقبلها الحسن كما اشربه تشريفا وتكريما للملوك المحترمين
 الذين اوفدوا نوابا للسلام علي بميلا بنزرت اعرابا عن ودادهم العالي نحو
 فرنسا التي يزداد اعتبارها لهذا المظاهر الودادية لكونها سادرة من اولئك
 الملوك القابضين على مستقبل اممهم العظام والساهرين كفرنسا نفسها على
 تايد السلام العام وعلى خدمة الانسانية

وبعد انتهاء الخطاب الرئيسي اديرت فناجين القهوة على الحاضرين
 وكانت الساعة الواحدة اذذاك بعد الزوال فقام فخامة الرئيس والحضرة
 العلية وركبا عربة الطبخية وركب المدعون عربات اخرى وسار الموكب
 بين هتاف جموع لا تحصى الى المرسى قرب فخامة الرئيس والحضرة العلية
 ووزرا وهما ورجال حاشيتهما الطراذة المسماة « الهرج » الالفة الذكر
 وقصدا دار الصناعة بسيدي عبد الله الواقعة بداخل بحيرة بنزرت على بعد
 اثني عشرة ميلا من المدينة فتلاقهما الاميرال كوف قائد اسطول بنزرت

ورحب بقدميهما وسار في خدمة ركبهما على معنى افادتهما بما احتوت عليه
 الترسخانة من الدخائر والمصانع والمعامل المدفعية والعدة التي بها اصبح
 بنزرت مرسى حريبا بحريا امنع من عقاب الجو وكانت الحضرة العلية
 تظهر اذاك مزيد اهتمامها بسماع تلك الافادات الفنية كما اظهرت كامل
 عنايتها عند مشاهدة عرض الاساطيل التي تقدم ذكرها وكان الحوض
 المعد لصنع وقذف النسافات الغواصة محل اعجاب سموها وباستيفاء زيارة
 محلات الترسخانة عاد الموكب قاصدا البرفادت طائفة من العساكر البحرية
 مراسم السلام وصدحت موسيقاهم بالجان « النوبة » الخاصة بها وعزفت
 دفوفها وطبولها واذاك نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية والوزراء وبقية
 الذوات على مقربة من محطة السكة الحديد بتيوجة وركبوا في نحو الساعة
 الثانية ونصف بعد الزوال قطارا خصوصيا سار بهم قاصدا الحاضرة التونسية
 ولما وصل الرتل لماطر وقف الموكب هنيهة ريثما تلقى فخامة الرئيس
 مراسم السلام والاحترام من عامل المكان ومن شيوخ وعمد الاهالي ومن
 اعيان المعمرين وكان اذاك موقف السكة يتماوج بافواج الاهالي يتقدمهم
 جموع المريدين واعلام زواياهم تخفق فوق رؤسهم ومحلات المحطة مزدانة
 بالرايات والاكاليل على ابدع اسلوب فابتهج فخامة الرئيس لاحتفال
 الجميع بمقدمه وشكر بالخصوص معمرى عمل ماطر وقال انه سيصدق بالثناء
 على كدهم وجدهم عند عودته لفرنسا فهتف القوم حينئذ بالدعاء لفخامته
 وبعد ان تلقى مراسم الاحترام من اعيان الاجانب بماطر ثم من اعيان
 الطائفة الاسرائلية ركب الرتل فتحرك قطارا وجد في السير الى ان بلغ حاضرة
 تونس على الساعة الخامسة مساء

الباب الثاني

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية للحاضرة التونسية

(اصيل يوم الثلاثاء ١٨ من افريل سنة ١٩١١ ويوم الاربعاء ١٩ منه)
 قبل قدوم فخامته للعاصمة المحروسة كانت الحاضرة التونسية قد
 اخذت اهبتها لاستقباله بما يليق بسامي مقامه وبما يناسب فخامة الملك
 الحسيني ويشهد بتعلق الدولة المحمية بالامة الحامية فتجلت يومئذ حاضرة
 تونس لزائرها الكريم في اجمل مظاهر الزينة ولبست من الحلي والحلى كل غال
 وثمين وكانت الاعلام الفرنسية والتونسية والاجنبية خافقة على اعاليها
 وسكانها في جذل وهيام لفرط ما حصل لهم من الفرح بالرئيس الهمام
 ولا بدع فاهالي هذا البلاد لهم سمعة حسنة منذ القديم في ضروب القرا
 والتكريم

وانجازا لذلك المرغوب اتخذ المجلس البلدي الوسائل الكافية لتحقيق
 راحة السكان ووفود المتفرجين المتالفة اعدادهم من الوف عديدة سيما
 من جهة مرور العامة والعربات بشوارع وانهاج تونس فاصدر جناب شيخ
 المدينة ورئيس المجلس البلدي قرارا في ترتيب السير مدلة اقامة فخامة
 الرئيس الكريم بالحاضرة وهذا نصه بعبارة

نحن امير اللواء محمد الصادق غيلب رئيس المجلس البلدي بتونس

قرنا ما ياتي

الفصل الاول - لايسوغُ مرور الترموايات وانواع العربات في الايام
وبالجهات الاتي بيانها

يوم الثلاثاء ١٨ افريل ١٩١١ - ساحة المحطة ونهج الصادقية ونهج
انكلترا ونهج ايطاليا وشارع فرنسا وساحة السفارة العامة ونهج هولاندا
وشارع جول فري وشارع باريس وذلك من الساعة الرابعة الى السادسة مساءً
يوم الاربعاء ١٩ افريل - ساحة السفارة العامة وشارع جول فري
وشارع باريس وشارع مدريد والطريق الذي بين باردو والقصر السعيد
وساحة ونهج باب سعدون ونهج الحلفا وشارع لندرة وذلك من الساعة
الثامنة صباحا الى الزوال مساءً

في اليوم المذكور - ساحة السفارة ونهج الصادقية ونهج الجزيرة
وشارع باب الجديد وشارع باب منارلا وساحة القصبه من الساعة السابعة
الى الساعة الحادية عشر مساءً

يوم الخميس ٢٠ - ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة
المحطة من الساعة السادسة الى الساعة السابعة صباحا

يوم الثلاثاء ٢٥ افريل - ساحة المحطة ونهج الصادقية وساحة السفارة
العامة بين الساعة السادسة والساعة السابعة مساءً

يوم الاربعاء ٢٦ افريل - ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة
المحطة بين الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة والساعة ٨ و ٣٠ دقيقة مساءً

الفصل الثاني - لايسوغُ ايضا مرور المشاة بوسط ولا بجوانب الانهاج
والشوارع المذكورة آنفا في الاوقات المبينة

الفصل الثالث - لكوميسارات واعوان البوابس ايام ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ افريل ان يحجروا مرور التراموايات والعربات والمشاة بالجهات التي يقتضي نظرهم اخلاؤها لحفظ النظام والامن العام

الفصل الرابع - في جميع الانهاج والطرق العمومية وفي الايام والساعات المذكورة آتفا يحجر امام الدكاكين وخصوصا القهاوي وضع الموائد والكراسي والابناك والعربات وغير ذلك من الاشياء التي من شأنها ان تعطل المرور العام كما يحجر التعلق بالاشجار وان يوضع بالشرافات او بحافات السطوح اشياء من شأنها ان تجرح المارين وكذا نشر الثياب او غيرها ولا يسوغ ايضا رمي ورق الكونفيتي ولا شرائط الكاغد ولا باقات الزهور او غير ذلك ولا اطلاق الشماريخ

الفصل الخامس - رتبة الكوميسارات واعوان القوة العامة مكلفون كل فيما يخصه بتنفيذ هذا القرار

تونس في ١٥ افريل سنة ١٩١١

الامضاء - محمد الصادق غيلب

كما ان دولة الحماية اتخذت من جهتها الاحتياطات والتاھبات اللازمة لانجاز مواكب الرحلة الرئيسية بكل ما يناسب فخامة ضيف الامة التونسية وساعدتها على تحقيق ذلك المرغوب كتابة الدولة العامة فاصدرت لادارات الحاضرة وحكامها وللمراقبين والعمال منشورات مستوفاة البسط لرسم خطة كل منهم ومن ذلك برنامج بالقلم العربي في بيان كليات وجزئيات

الرحلة المذكورة وزعته على اعيان الحاضرة والعمالة وهو البرنامج الذي
 شرحناه وبسطناه فتكون منه هذا التاليف واليك نص المکتوب المتعلق
 بالفرض الذي وضع لاجله

تونس في ١٦ افريل ١٩١١

سيدي الوزير المقيم العام

اني اتشرف بان اقدم لجنابكم تذكارا لزيارة فخامة رئيس الجمهورية
 عشرينسخ ضمنها اثنين على ورق جميل من البرنامج العربي للافراح
 العمومية التي ستقوم بها المملكة التونسية اكراما لصاحب الفخامة سيدي
 رئيس الجمهورية المعظم

ونعرفكم ان هذا البرنامج الذي ستتولى الكتابة العامة توزيعه
 مجاناً على الهيئات الاهلية ووجوه واعيان المسلمين يدكر قراءاً بما هو متعلق
 في الازدهان من الوفاق الذي لم ينفك متواصلاً بين الفرنسيين والتونسيين
 وحينئذ فالقصد من وضعه هو تلقين الامة الاسلامية بما هي متهيأة اليها
 للغاية يعني الاحتفال والاستظهار بشعائر الاخلاص نحو فرنسا اثناء زيارة
 فخامة مسيو فيليار لحاضرة تونس ولمدن العمالة

امّا تحرير هذا البرنامج المستكمل من كل الوجوه فقد اوكلت امره
 للسيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالادارة العامة
 وتفضلوا يا جناب الوزير الخ

الامضاء - بلان

هذا وعند : ول فخامة الرئيس والحضرة العلية من القطار كان في انتظارهما بمحطة السكة الجنوبية رجال الدولتين الحامية والمحمية فالمجلس البلدي يتقدمه رئيسه وكاهيتاه فروساء الادارات وكواهيهم فعالمل احواز الحاضرة فالعمد والاعيان من سائر الطبقات واذاك شرف فخامته والحضرة العلية قاعة الاستقبال بالمحطة وكانت آية في الزينة والتنميق وبمجرد استواء فخامته والحضرة العلية بصدارة المقام اطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة اشعارا بالسلام على فخامته وفي تلك الاثناء تلقى مقامهما العالي مراسم السلام والاحترام من كافة الحاضرين ثم تقدم مسيو بروسست احد كاهيتي المجلس البلدي وهنا فخامته بالخطاب الاتي

يا فخامة الرئيس

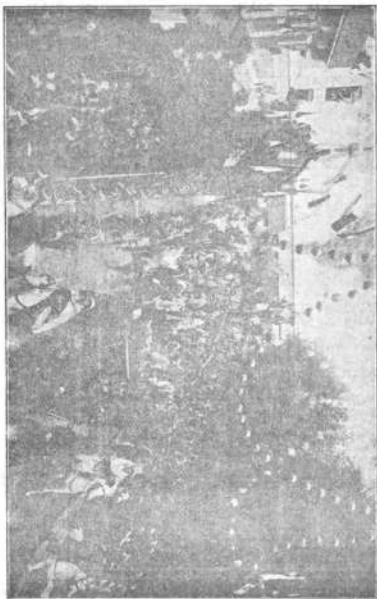
ان حاضرة تونس تهنيكم بالقدوم المبارك واهلها يشكرون لفخامتكم عن تشريفكم اياها بالزيارة ولقد حينناكم لسنوات فارطمة اذ جئتمونا وانتم رئيس مجلس الشيوخ فبقي لذلك باذهاننا اجل ذكرى والان نغتنم هذه الفرصة للاعراب لفخامتكم باسم الفرنسيين سكان العمالة جميعا عمالنا من التعلق والاخلاص بالدولة الجمهورية التي بالرغم عن ابتعادنا على ارضها بقينا من ابر بنيتها - هذا وستطلعون بانفسكم على المجهودات التي توخيناها لترقية وعمران هذا القطر الذي مدت عليه فرنسا جناح حمايتها فاجابه فخامة الرئيس بعبارات الاستحسان وشكر سعيه

هذا وحيث كان مسيو بروسست الكاهية المشار اليه وجناب شيخ

المدينة السيد محمد الصادق غلب رئيس المجلس البلدي من المحرزين من قبل على اوسمة عالية في اللجئون دونور ولم يكن الكاهية الاخر مسيو دومرق مميزا بالوسام المد كور فقد استحضرة فخامة الرئيس في ذلك الموكب والبسه وسام الشرف من الدرجة الرابعة

ثم انتظم الموكب وخرج من المحطة فركب فخامة الرئيس والحضرة العلية عربة الرئاسة الجمهورية التي هي من طراز دومون وكان يجرها اربعة من اجياد خيول عساكر الطبية وجلس امامهما جناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام و جناب مسيو رمنديو الباش كاتب بقصر الرئاسة وركب في العربة الثانية والثالثة وزراء الدولتين وركب بقية الدوات والمديرون ورجال الحاشيتين ببقية العربات وسار الموكب في ابته واجلاله بين سموط المساكر مخفورا بالعساكر الخيالة وبصبايحية الاوجاق وكانت مراسم السلام يودها الجيش ابتداء من طابور عساكر الزواف وانتهاء بفرقة عساكر العسة الموصونة وكانت المويستى تترنم بنشيد المرسلين ثم بالسلام الملوكي الحسيني وهكذا سار الموكب مخترقا للالوف المتالفة من المتفرجين والهاتفين من كل الملل والنحل على ممر الركاب العالي يبطحاء السكة الحديد فنهج الصادقية فنهج انككتيرة فنهج ايطاليا حيث مناح الزينة فشارع فرنسا الرحيب النضير فساحة السفارة الفرنسية ولدى حلوله وسط الساحة ترنم تلاميذ المدارس وكانوا متجمعين هنالك في زهاء الالفى تلميذ بانشودة حماسية من نظم الاستاذ شانيفير في تهنئة الضيف الكريم والرئيس الفخيم وفي الحث على التعاضد والتاخي والتوادد بين الاقوام مما سيقى له ذكر على كثر الشهور والاعوام

موكب فخامة الرئيس بطحان السفارة الفرنسية يوم دخوله المدينة تونس



ولما دخل الرئيس لدار السفارة تواضع فخامته مع الحضرة العلية فعاد سهوها في رتل خصوصي لقصر المرسى وتاهب جناب مسيو فليار لقبول مراسم التهنئة والاحترام من اهل الحل والعقد ومن اعيان الحاضرة التونسية . وحينئذ انتظم موكب القبول فكان واسطة عقد لفخامة الرئيس وحوله وزراءه ورجال حاشيته



جنگ مسيو دلاکھی
وزیر البحرية



جنگ مسيو رندو
باش کاتب رماة الجمهورية



جنگ مسيو مولار
مدير الترفعات

واذاك تقدم للسلام عليه المشايخ اهل المجلس الشرعي بالمدھين
وبعد ان صافحهم فخامته مصافحة الكرام التي فضيلة شيخ الاسلام على
مسامحة الخطاب الاتي اداه الى الفرساية في الحال جناب مسيو بلان
الكاتب العام للامور الادارية

يا فخامة الرئيس

قدمنا اليكم نحن شيوخ المجلس الشرعي تدعوننا داعية واحدة ويجمعنا
غرض متحد وهو ابداء شواهد الاخلاص في الترحيب بمقدمكم الفاخر
والاحتفال بزيارتكم السامية التي يحق لي ولهم بصفقتنا نوابا عن الشريعة
الاسلامية ان نعلق عليها كل امل في دوام احترام شعائنا الدينية ورعاية
العوائد المبنية عليها المقتضيين اقتضاء اوليا زيادة توثيق واحكام روابط
التعاقد والاتحاد بين دولة الجمهورية الفخيمة ودولت سمو اميرنا المعظم
ونمو الكفالة الصادقة بمساعدة القطر واهله كما هو الامر الذي كتبته
على نفسها دولة الجمهورية السامية وحفظ لها فيه الذكر الحسن ولم يزل
قول عظمائها بيننا وعملهم في سبيله الهام يؤيد احدهما الاخر ومن المؤكد
ان زيارتكم هاته للقطر التونسي تجدد وتحيي في قلوبنا ما لنا من الامان
في دولة الجمهورية التي ينوب عنها فخامتكم والوثوق بولايتها اي احياء
وتجديد وحصول بحول الله على مفيد

فاجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

اني لمبتھج من شواهد الاخلاص التي صرحتم بها الينا باسمكم وبالنيابة
عن اهل المجلس الشرعي وليكن جنابكم على يقين من ان الجمهورية

الفرنسية تستمر سائرة كما في الماضي على قاعدة احترام عوائدكم
وشعائركم الدينية وعلى زيادة احكام الروابط الناتجة عنها بين الدولتين
بفضل المساعدة على ترقية هذه المملكة من الوجهتين الحسية والمعنوية
وان الاهتمام بمصالح وعقائد الامة الاسلامية الذي برهن عليه جناب
الوزير المقيم العام في كل المناسبات هو اوثق كفيل ووضح تأكيد
يمكنني تقديمه اليكم

وان فطنتكم العالية ورايكم الصائب سينتج عنهما بلا ريب المعونة
التي لا انفس منها للمشروع الذي نحن بصدد
فتلقى الشيوخ تلك التصريحات النفيسة بمظاهر الشكر وانصرفوا
بكل توادد ووقار

قال في الجريدة الرسمية للدولة الجمهورية (العدد المورخ في ٢٠
افريل ١٩١١) يصف هيئة المجلس الشرعي عند قدومهم على فخامة
الرئيس « والمجلس الشرعي عبارة عن محكمة موسسة على قواعد القرآن
(الشريف) يرأسها شيخ الاسلام الذي هو الامام الديني لمسلمي العمالة
التونسية وكانت رؤس اهل المجلس متوجهة بمعائم ضخمة واطلست من
الكشمير العالي وعلى هامتهم برانيس بيض وجوخ حريرية من افخر ما يكون »
هذا وعلى اثر خروج الشيوخ من السفارة ابتدا موكب القبول
الرمي للهيآت النظامية فتلقى فخامته اولاً مراسم التهئة والاحترام من
توظفي السفارة الفرنسية والمراقبة المدنية بتونس ثم قدم له جناب
الوزير المقيم الهيات الاتية على الترتيب الاتي

قناصل الدول بتونس

الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال

المأمورية المالية الفرنسية بتونس

مجلس الشورى

العدلية الفرنسية

حجرة التجارة

حجرة الفلاحة

اركان الحرب بجيش الاحتلال

ضباط الجيوش

الكتابة العامة للامور العدلية

الكتابة العامة للامور الادارية

ادارة المال العامة

ادارة الاشغال العامة

ادارة الفلاحة والتجارة

ادارة البوسطة والتايراف

ادارة العلوم والمعارف

وفي اثناء اقتبال فخامته للهيئات المذكورة القيت على مسامعه عدة
خطب وتهنئات قناصل الدول هنوا بالقدوم فردا فردا واعربوا لفخامته
عن كامل احترامهم للدولة الجمهورية وقد اثنى فخامته عليهم وصافحهم

مصافحة ودية ومجلس الشورى بقسميه الفرنساوي والاهلي عند تقديم
مراسم ولائه واحترامه القى كآتبه الفرنساوي خطابا في الاعراب عن تعلق
رفقائه بام الوطن وعن اخلاصهم في خدمة المصالح العامة وعن رغائب
المجلس التي ترمي الى طلب التوسيع في نطاق نفوذه ليكون قائما بواجباته
نحو الفكر العام الفرنساوي وقد اجابه فخامة الرئيس بالثناء على غيرلة
الاعضاء الفرنسيين واهتمامهم بمصالح البلاد التونسية ثم قلد في ذلك
الموكب احد الاعضاء وهو الدكتور مسيودماس وسام الشرف الفرنساوي
كما ان رجال العدلية الفرنسية عند تقديم مراسم احترامهم القى
عميدهم جناب القانوني مسيودوماس رئيس المحكمة الفرنسية بتونس على
مسامع فخامة الرئيس خطابا نفيسا اشار فيه لاتفاق غريب وهو مرور ٢٨
عاما لا تزيد ولا تنقص على ما بين تاريخ تاسيس العدلية الفرنسية بتونس
وحفلة هذا اليوم كما اشار لنشأتها في هذا الديار بمساعدة الدول الاروباوية
التي تنازلت لفرنسا عن محاكمها القنصلية وبتكرم سمو باي تونس الذي
تنازل لها عن جزء عظيم من سلطته الحكومية بما دل على صدق مودته نحو
الدولة الفرنسية وقد اجابه فخامة الرئيس بانه ممن خدم العدلية وشب
وشاب في حبا فقد خدمها بصفة وكيل وساسها بصفة وزير

ولما امثل رئيس حجرة التجارة بين يدا عرض على مامع فخامته
اماني ورغائب التجار الفرنسيين واكد له عناية العنصر الفرنساوي بالعنصر
الاهلي وتدريبه على الكد والعمل وفقا لمرغوب الدولة الفرنسية التي
حكمت بسياسة التشريك في هذا الديار وقد اجابه فخامة الرئيس شاكرا

له عن هذا الفهم المصيب لمعنى الحماية التي تقتضي طبعاً بتوادر الغنصرين
وبمثل هذه العبارات صرح بعد ذلك لرئيس حجرة الفلاحة جواباً عما
أكد في خطابه من أن المعمرين الفلاحين بالعمالة بعثوا روح حياة جديدة
في جسم الفلاحة الأهلية وتداركوا بذلك أعراب البوادي من المجاعة والفقر
فقال له فخامة الرئيس عبارات تقرب من معنى الحديث الشريف القائل « ارحم
من في الأرض يرحمك من في السماء » وزاد على ذلك ما معناه أن في
تحسين حالة الأمة المحمية زيادة شرف للأمة الحامية

ثم تقدم للسلام على فخامته ضباط جيش الاحتلال وفي مقدمتهم
جناب الجنرال بستور قائد الجيش العمومي



جناب الجنرال بستور

قائد جيش الاحتلال ووزير الحرب بالدولة التونسية

ولما امتثلوا لدى فخامته القى الجنرال المذكور على مسامع فخامته خطابا نفيسا قال فيه « ان العساكر وان كان من واجبهم السكوت الا ان قلوبهم في هذه المناسبة السعيدة ترتجف سرورا ولئن كان غيرهم من الناس يشتهون الحرية واستقلالية الدات فهم دائما عبيد متفانون في حب الدفاع عن الاوطان لذلك نلتبس من فخامتكم نيابة عن جيش الاحتلال قبول مراسم ولائنا للدولة الجمهورية وشعائر احترامنا واخلاصنا لدايتكم الموقرة » وقد اجابه فخامة مسيو فيليار بقوله « اراني دائما سعيدا بملاقاتي للضباط الفرنسيين وليس من الافادة ان نظري هنا هؤلاء الضباط الغيورين لان قيمة الضباط الفرنسيين معلومة لدى الجميع وليس في جيش فرنسا ضابط يحمل شعار خطته ويتمنطق بسيفه وهو غير عليم بما عليه من الواجبات نحو الوطن وفي ظني بل وفي املي ان لا نحتاج لاجراخ ذلك السيف من غمده لكن معرفتنا بقيمته تحقق لنا الفوز اذا اضطررنا لاستعماله يوما ما هذا وان اخلاصكم ايها الضباط قد اثلج صدري وان وجود الجنرال بستور الذي نعرفه في طليعتكم يحملني على القول بانه على قدر اهل العزم تأتي العزائم فلتقبلوا جميعا خالص ودادي بالنيابة عن الدولة الفرنسية التي تتصورونها في شخصي الآن »

ولما تلقى فخامته مراسم التهنئة من الادارات العمومية اثنى بالخصوص على جناب الوزير المفوض مسيوروا الكاتب العام للامور العدلية وحادثه مذكرا اياها باجتماعه به لثمان سنوات فارطة



جناب مسيورا الوزير المفوض

والكاتب العام للامور العدلية

كما اثنى فخامته ثناء حسنا على جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية الذي اتقن العربية ومارس
الامور الاهلية في مدة قصيرة ووجه مثل ذلك الثناء لجناب مسيو فلوري
الكاهية بالكتابة العامة والساعد الايمن لجناب الكتاتين العامين



جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية

واذ كان فخامته مارا بصفر وساء الادارات والاقسام والاقلام بالكتابة العامة
انحنى امامه الحاضرون فجالملهم بعبارات لطيفة وصافح كلا من مسيو فيو
مدير العدلية ومسيو برلان مدير الانطكخانة ومسيو لوتوف رئيس قسم
المجالس البلدية والحكيم ثيخان مدير الصحة البحرية والقبطان دافير مدير
السجون ومسيو ركلو معتمد القسم الاول والسيد محمد القروي رئيس الخزنة
العامة والسيد محمد بن الخوجه رئيس قسم المحاسبات والسيد علي بن
مصطفى رئيس القسم الاول والسيد خليل بوحاجب رئيس البحث والسيد

الشاذلي صفر رئيس جمعية الاوقاف وبقية الدوات واستعلم في تلك المناسبة من مسيو فيو مدير الاقسام العدلية احوال المجالس الافاقية والنوازل الجنائية واحسن فخامته لجناحه بعيد ذلك بالصف الاول من نيشان العلوم كما سمع بعد باذن صاغية الافادات التي قررها لديه مسيو مرلان مدير الانطكخانه فيما يتعلق بالتماثل القديمة التي استخرجها المتحف العلوي من عمق اربعين ميتر في عرض البحر بساحل المهدية وهي عبارة عن آثار تاريخية ثمينة جدا تتصل بزمان البعثة المسيحية وكانت فيما يقال محمولة بسفينة يونانية ففرقت هي والسفينة لنحو الفي سنة فارطة واخيرا عشر عليها صيادو النشاف واعلموا بها الدولة التونسية فأجرت الغواصين على اخراجها وزينت به متحف باردو الذي سيأتي الكلام عليه في محله

ولما تقدم له في ذلك المجلس اي عند قبوله للإدارات الربيعي جبرح حاخام باشي تونس وهو شيخ هرم اطل على ما وراء التسمين حياء فخامته وتكرم بمصافحته فتلقى الحاخام باشي تلك المجاملة بالشكر العميق وقبل راحة فخامته

ولما تلقى فخامته الادارة المالية قلد بيدها لمسيو دوبرديو دفتر دار الاملاك العقارية وشقيق مدير المال وسام اللجيون دونور بين مظاهر الاستحسان العام وعند انفصال موكب القبول ظهر فخامته براس المدرج امام الباب فمر تحت انظاره اعضاء الجمعيات الادبية والموسيقية والرياضية وكانوا نحو الاربعين جمعية وكلهم برائاتهم وشعارهم الخاص بهم ومن مجلتهم الجمعية الطليانية الغربلدية اي المنتسبة للقائد غاربلدي البطل المشهور المجاهد في سبيل الوحدة الطليانية والضابط كان بجيش المرحوم حسين باي بن محمود باي

اما اعيان الجزائريين من سكان الحاضرة فقد اعربوا من صبيحة ذلك اليوم للسفارة العامة عن اخلاصهم وتعلقهم بالدولة الفرنسية واهدى رجال الطائفة الوهرانية عنوانا على ذلك الشعور مقطعا مزادانا بالزهور برسم فخامة الرئيس كتبوا عليه بالخط الممولا بالذهب العبارة الآتية « هدية من الجزائريين ابناء الطائفة الوهرانية »

هذا وبانفصال استعراض فخامة مسيو فليار للجمعيات المشار اليها رجع فخامته لداخل السفارة ثم بعد ان استراح ردها من الزمن اعد جنبه مادبة خصوصية استدعى للعشاء بها وزراءه ورجال حاشيته وجناب الوزير المقيم وكاهيته

وبعد العشاء اعد فخامته ليلة انس ومنادمة كانت على غاية الاشراف والازدهار حضرها البرنس سيدي المنصف باي ووزراء الحضرة العلية والوزراء الفرنسيون والاميرال الانكليزي وضباط اسطوله والمستشار البحري بسفارة انكلتيرة في باريس والاميرالان الفرنسيان وضباط الاسطول الرئيسي واسطول بنزرت والدارعة الاسبنيولية ومدير الادارات وبقية الذوات وعقيلات اكابر المامورين والاعيان كما حضرها مكاتبو الجرائد الفرنسية الذين قدموا من فرانس بنية مراقبة الركاب الرئيسي في رحلته التونسية وكانوا نحو الثلاثين صحافيا ولم يتخلف عن هذه الليلة الآنسة إلا جناب الوزير المقيم بداعي الحداد الذي لم به لوفاة اخيه طيب الذكر فلذلك استناب كاهيته بالسفارة لاستقبال الزائرين



جناب مسيو ديپورت
كاهية الوزير المقيم العام

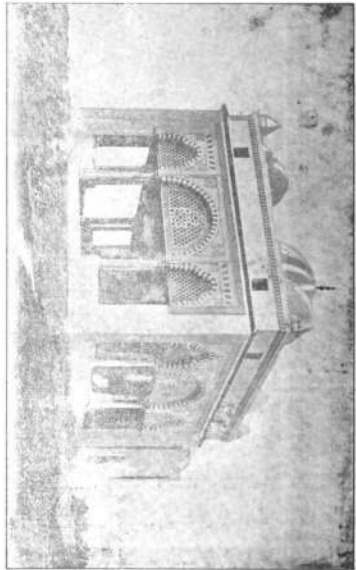
ثم ان فضامة الرئيس طاف على قاعات القبول حيث تجاذب اطراف
الحديث مع الحاضرين وبعد ان شرف مائدة السماط وادع زائريه ودخل
بيت النوم وبعيد ذلك بقليل بارح الزائرون دار السفارة وعلائم السرور
والبشر بادية على وجوه الجميع

وفي تلك الاننا كانت احيا العاصمة التونسية وبطاحها وشوارعها
تنللا باشعة الانوار الكهربائية بما قام به المجلس البلدي من ضروب الزينة
والاسراج سيما باسواق التجارة الاهلية التي اسرجت بنحو ثلاثين الف مصباح
وكانت مغازات التجار في تلك الليلة وفي الليلة بعدها محط رحال الزائرين
من سائر الطبقات سيما مغازات التجارين الشهيرين السيد علي البربوشي

والسيد احمد جمال الدين اصبح اسمهما بالمواصم والمعارض الاربواوية
اشهر من نار على علم ومعلوم ان اسواق الحاضرة لها شهرة تاريخية بعيدة
لأنها تمثل العاصمة التونسية على عهد القرون الخالية لان بعضها احدث في
ايام الدولة الحفصية والبعض الآخر وقع انشاءه على عهد الدولة المرادية
اما مظاهر الاحتفال والاحتفاء التي قامت بها ذات الحاضرة العلية نحو
فخامة الضيف الكريم والرئيس العظيم فحدث عن البحر ولا حرج ويكفي
في الكلام على ذلك ان نقول ان سمو الملك المعظم اعرب لفخامة الرئيس
عن امياله القلبية وعن مرغوبه لرد الزيارة لفخامته بباريس في العام الجاري
وانه بعد ان يقيم ضيفا رسميا على الدولة الجمهورية مدة يومين او ثلاثة
يطيل مقامه بالعاصمة الفرنسية اياما اخرى بصفة غير رسمية لاستطلاع
امورها وزيارة معاهدها ومشاهدة معالمها ولتسريح الطرف في رياض
تلك المدينة عروس مدائن العالم المتمدن بأسره

وقد كان لهذا التصريحات والانفاس العالية احسن وقع لدى فخامة
الرئيس ومما زادله ودا واعجابا بصفات المولى الامير ان جاء في مرغوبه هذا
معاني لطيفة لان الحاضرة العلية لم ترحل قبل من مملكتها التونسية
هذا ولما بزغت شمس يوم الأربعاء ١٩ افريل ١٩١١ يعني اليوم
الثاني من قدوم فخامة الرئيس الهمام للحاضرة كانت مدينة تونس قد
اخذت تاهباتها للاحتفال والاحتفاء بالضيف الكريم والرئيس الفخيم ففي
الساعة السابعة صباحا اصطف فرسان الالوجاق وعساكر الخيالة بيطحاء
السفارة العامة وتولى اعوان البوليس حفظ الراحة وانتظم الموكب الرئيسي
المهيّب فخرج جناب مسيو فليدار من السفارة على الساعة الثامنة مصحوبا

بوزرائه ورجال حاشيته، واذاك صدحت الموسيقى بنشيد المرسلين
 وقرعت الطبول وادى العساكر السلام فامتطى فخامته عربته الراسية
 الجمهورية وركب الوزراء وبقية اهل الموكب عرباتهم وسار ركبهم
 مخفورا بالعساكر وعلى يمين العربته الجنرال قائد جيش الاحتلال راكبا
 جواده وقصد سراية باردو المعمور مارا في طريقه على شارع باريس البهيج
 الموصل لبستان الخضراء



قبة بستان الخضراء ذات النقوش العربية الجميلة

ومن هنالك سار الموكب مارا بالشوارع التي وراء اسوار الحاضرة
 فطريق باردو لجهة باب ابي سعدون وكان ذلك بنية رد الزيارة للحضرة
 العلية واذاك كان سموها العالي في انتظار فخامته لاستقباله في موكب فاخر
 انتظم عقدها بقاعة الاستقبال الكبرى بدار الملك باردو المعمور



مدرج الاسود بسراية باردو

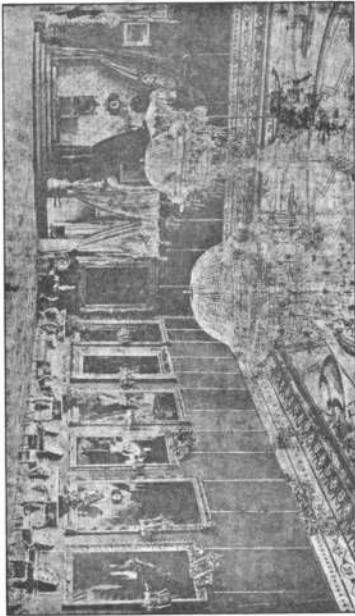
وفي نحو الساعة الثامنة ونصف وصل ركابه لباردو فادت له
 السلام العساكر التونسية وكانوا مصطفين حول السرايات تحت امرّة مدير
 وزارة الحرب الكلونيل دنجلير الحازم النشيط فتقدم فخامته نحو السرايا
 حيث استقبله على الرصيف سمو البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال
 الحضرة العلية وارتقى بفخامته مدرج الاسود واذاك صدحت الموسيقى

الملوكية بالسلام لفخامته وادت له عساكر العسة المصونة تحية العظما
والملوك وكان في مروره يلاحظ حسن اتساق القصر بجمال اعمدة
المرمر الصقيل من النوعين الاسود والابيض القائمة عليها محلات السرايا
اما باردو فكان موجودا في المائة الثامنة على عهد سلاطين الدولة
الحفصية وكان مناخ منزهاتهم وفيما يظهر ان اسمه محرف عن كلمة
« برادو » الاسبانية التي معناها « الفردوس » ولما الت الدولة لنوبة
المراديين زادوا حسنا وتفخيما وسلك الالحسين بن على مسلكهم في
عهد دولتهم واختصوا لسكنى انفسهم ثم اقتصروا على سكناء في
الشتاء ويرحلون عند لسواني مصيفهم زمن القيظ وبالطبع كان دار
ملكهم ومقر دواوين حكومتهم

هذا ولما دخل فخامة الرئيس سراية باردو وارتقى مدرجها
الداخلي وجد في انتظار فخامته براس المدرج سمو الحضرة الملكية
بالبسة الاعياد الكبرى واذاك تقدم له المولى الامير وتصافح معه
باليدنين الاثنيتين ورحب بقدومه واكرم نزله وبعد ان تبادل
مقامهما من جديد عبات الوداد العالي جلسا فوق دسطين توأمين
ملكين فخامته لليمين وسموا اليسار

وكان امراء البيت الحسيني محدقين بالمقامين الكريمين والوزراء
ورجال الدولتين وقوا والناس كانا على رؤسهم الطير اجالا وتعظيما
واذاك خاطب المولى الامير فخامة الرئيس بقوله

قاعة التبرعات الكبرى بدار الملك بارود المعمور

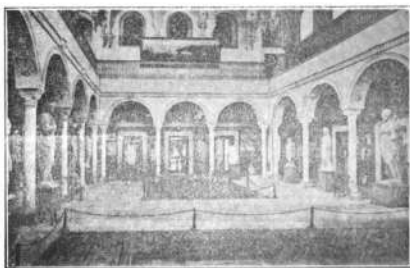


« ان فخامتكم على علم من تعلقي وصدقتي نحو الامة الفرنسية
 فانا اقترح على جنابكم ان تعتبروا ذاتكم الكريمة كواحد من اهل بيتي
 وان تقبلوا بتلك الصفة نيشان البيت الحسيني »
 ثم قلده بيده شعار ذلك الوسام الرفيع الشان وتلقى من فخامته عبارات
 الشكر والامتنان

(iv)



وبعدئذ بارح فخامته السرايا الملكية بين مظاهر الاجلال والتعظيم
 والتحية العسكرية وقصد دار المتحف العلوي الواقعة على خطوات من
 السرايا وهي اي دار المتحف من اجل وافخر الدور العربية بناها المرحوم
 محمد باي وبالع في تنميتها لحد الابداع والتحق بربه قبل ان يسكنها
 فاتخذها اخولا محمد الصادق باي دارا لحريمه وتكرم بها من بعدا اخوهما
 المرحوم علي باي فرخص في سنة ١٣٠٥ بان ينصب بها المتحف العلوي
 المنسوب اليه وهو صنيع جليل حفظ التاريخ ذكره لهذا الامير
 دخل فخامته المتحف مع وزرائه وحاشيته والوزير المقيم العام والوزير
 المفوض الكاتب العام للامور العدلية وبقية الدوات



الصحن الكبير بمتحف باردو

وزاريوت المحل بالتمعن والنظر وكان دليل القوم في تلك الزيارة
 مسيو مرلان مدير الانطكخانة بتونس فاستفاد فخامته من هذه الزيارة كثيرا

وابتهج لتلك الثروة الانثوية التاريخية التي اكتسبها المتحف العلوي في ظل
الحماية الفرنسية

وبعد ان تأمل فخامته طويلا من التمثال المصنوع من الفسيفسالات
الشاعر اللاتيني فرجيل الذي كان يعيش في القرن الثامن قبل الهجرة
حال نظمه وكتابته لقصيدته الحماسية المسماة « ايناييد » وهي قصيدة ملأت
شهرتها اسواق الادب باروبا نظمها صاحبها بمطلب من الامبراطور اغسطس
الذي ولد على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام



صورة الشاعر فرجيل وهو ينظم شعره

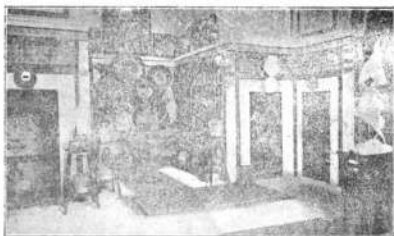
ثم توجه للقسم المحفوظة به الاثار العتيقة والتمائيل المعدنية من نوع
الشهباني وهو ضرب من النحاس الاحمر في لون القلزم



تمثال ايروس وهو آلهة العشق عند اليونان

(من التماثيل المعدنية التي عثر عليها ببحر المهدية)

وكان العثور على تلك التماثيل بطريق الصدفة في سنة ١٩٠٨ حيث اكتشفها جماعة من الفواصين لصيد النشاف في عمق اربعين ميتر فوق استخراجها من السفينة الاتينية التي غرقت بها في مبادي التاريخ المسيحي على نحو ستة اميال من ساحل المهدية ومن بعد ذلك تأمل فخامته من نقوش الفسيفساء البديعة والتماثيل المرمرية وواعية الخزف القرطاجية ومن مجموعة مصابيح وفوانيس عزيزة النظر تكاد تكون يتيمة في عالم الاثار والفنون الجميلة ثم نظر فخامته بعين الاعتبار لسطل خاص بالتعميد على عهد الامم الخالية ومر بالقسم العربي من المتحف مما يسميه العامة دار العجايب وهذا القسم يشغل دار المرحوم محمد باي التي كانت تسكنها زوجته من آل يريم



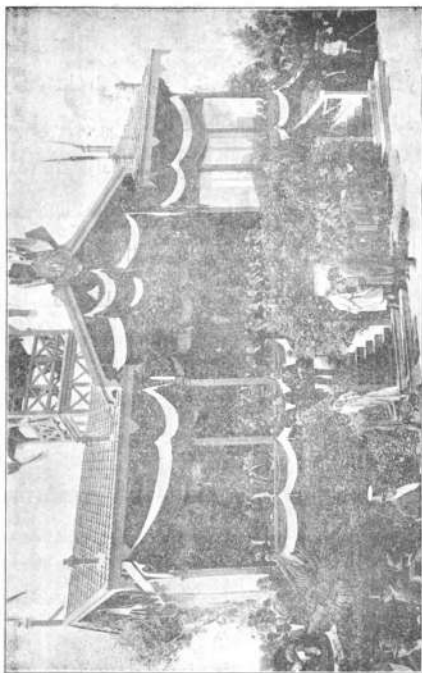
القسم العربي من المتحف العلوي
ثم بارح المتحف لاهجا بالثناء على عناية مديرة ومعجبا بوفرة
ثروتها الاثرية



فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو
بعد زيارة مسيو فليار للمتحف العلوي

واذاك تلاقي فخامته مع المقام الملوكي واستطيا جميعا العربية الرئيسية
فركب خلفها امراء البيت الحسيني كما ركب وزراء الدولتين وبقية
الدوات وانتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر قاصدا مضمار السباق
الواقع على مقربة من برطال القصر السعيد لاستعراض وفود الاهالي
وحامية تونس ولدى الوصول لساحة الاستعراض نزل فخامة الرئيس
والحضرة العلية فادت الجنود لهما السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد
الفرنساوي وبالسلام الملوكي ثم صعدا بموكبهما لتختوان الشرف
وجلسا بصدارة المقام





مختون الشريف بمضمار استعراض الوفود بالقصر السعيد

وإذاك علت ضجة لعنان السماء وهتف الحاضرون وقرعت الطبول
ودقت الدفوف والمزامير العسكرية وجردت السيوف من أغمدتها فكان

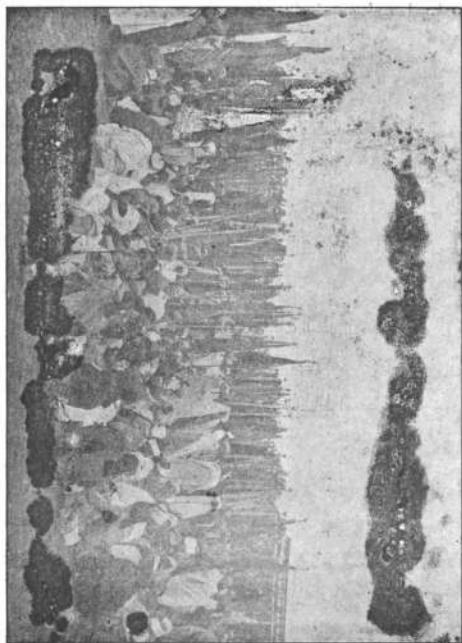
لتلك المنظر المزدوج بقعقة السلاح وبطين المدافع من المهابة ما جعل المقام مهيبا رهيبا

ولما اخذ الحاضرون مواقفهم وجلس المتفرجون والمتفرجات بمحافل السباق وفوق العشرة آلاف كرسي المعدة لهم وبرحاب المضمار وابطحتهم التي تسابقوا اليها من كل حذب ينسلون كان الناس اذاك يحاكون معرضا بشريا لاتعرف هذه البلاد حصول مثله فوق اديمها قبل ذلك اليوم اذ قدر بعض العلماء الاحصائيين جموع اولئك الخلائق بنحو مائة الف نفس وهو بلا ريب شئ يشبه الحشر والنشر

وممن حضى بالجلوس في تختوان الشرف البطل المشهور الجنرال بايو قائد الفيلق التاسع عشر الضارب بالجزائر كما حظى بمثل ذلك الاميرال بو قائد الاسطول الانكليزي واركان حربه وضباط الاسطول الفرنسيون

اما الجنود التي حضرت للاستعراض فهي عبارة عن ثلاثة طواير من عساكر التريور وطابورين من عساكر الزواف وطابور من العساكر الخفيف وفرقة من الخيالة وثلاث فرق مدفعية فكانوا في الجملة ستة الاف جندي يزداد عليهم نحو الاربعمائة من عساكر العسة المصونة

وكان التختوان منمقا مزركشا ومزدانا بالاعلام والابسطة الحريرية والرياش الفاخرة على اجل شكل يخطر بالبال وكان الى يسار التختوان نحو الالف رجل من مشايخ وقباء وشواش وسقاية واخوان ومريدي الطرق القادرية والشاذلية والعيساوية والتجانية والرحمانية وغيرها وبين ايديهم مباخرهم ورشاشاتهم



﴿ جموع المريدین ووفود الدا کرین من اهل الطرق الربانیة ﴾
 وسناجق زواياهم وطبولهم ونفراهم وبقية الالات الخاصة بهم فكان
 لمجموعهم منظر في يابه غريب وقد تجمع خدوهم خلائق لا تحصى من

اعيان اهالي الحاضرة يتقدمهم امناء الحرف والصنائع ومشايخ الارباب
تحت رئاسة شيخ المدينة امير اللواء السيد الصادق غلب



السيد محمد الصادق غلب

شيخ المدينة

كما تجمع بالقرب منهم عدة الاف من اهالي عمل احواز الحاضرة
وطبرية والجديدة والمحمدية والمرناقية وغيرها يتقدمهم خلفاوتهم
ومشائخهم وعمدهم تحت رئاسة عاملهم السيد مصطفى دنقزلي الذي
نعم عليه فخامة الرئيس في مساء ذلك اليوم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة
كما سيرى القاري ذلك بموكب المدرسة الصادقية الاتي قريبا



السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة

ووقف فيما يلي جموع الاهالي اعيان الجزائريين والوهرانيين والمزاينين والاسرائيليين واذاك وقع افتتاح الموكب بتقليد فخامة الرئيس عدة اوسمة من درجات مختلفة لضباط الجيش الفرنسي على رؤوس الاشهاد وكان فخلتمته يقبل كل ضابط ممتاز ويهنيء على اثر ذلك بالوسام الذي استحققه ثم وقع الشروع في الاستعراض فمر في طليعة القوم وفود الحاضرة يتقدمهم شيخ المدينة واعقبهم في المرور عامل الاحواز يتبعه وفود عمله ثم جموع طرق الدكر يتقدمهم الشريف السيد محمد البشري شيخ مشايخ الطريقة رجبية ثم جموع الطوائف الجزائرية ثم اعيان الطائفة الاسرائيلية وكان كلما مروا بتحتوان الشرف هتف رجاله بالدعاء لفخامة الرئيس وللحضرة العلية

وكان جناب الرئيس مظهرا في تلك الآونة مزيد انشراحه لما قام به
اولئك الوفود من شعائر الولاء والاحترام ومما زاد انشراحا حضور جموع
الطرق على الهيئة والنظام والالات الخاصة بهم التي تقدمت الاشارة اليها
وفي تلك الاثناء قدم من الحاضرة باجنحة الطير على طريق الجو
مسيوبوني راكبا طيارته وسابحا على صفحات الفضاء الاوسع فحل
وسط سماء المضمار وجعل يصعد وينزل حتى يكاد يمس الارض ثم يفر
الى علوشاهق طائرا من هنا وهناك وطائفا على سطح الجو حول تلك
الخلائق التي اعجبت جميعا بجسارته ومن اجسر ايسر
وعلى الساعة العاشرة ونصف اخذ الجنرال يستور في استعراض جيوشه
فكان هذا البطل المشهور راكبا لفرس كميت من الصافيات الجياد فمر
امام التختوان حيث ادى السلام بسيفه للمقامين العظمين ثم مرت عساكر
الزواف فالتريس فالتريور وكانت المويسقى العسكرية تشف اذاك الاسماع
ثم مرت عساكر السعة المصونة يتقدمها انفار المويسقى الملكية ويتلوها
عساكر الطبجية التونسية وختم الاستعراض العسكري بمرور الخيالة حيث
حملوا في سيرهم حملة الفرسان الشجعان وكان الموكب بالفاحدة من البهجة
والجمال لصفاء الجو واعتدال الربيع وكانت ارياح الفخار تحمل من بعيد
روايح الزهور والرياحين من البساتين الواقعة على مقربة من مضمار السباق
ولوايح البشر بادية على وجه الحاضرين حتى ان الحضرة العلية لم تتمالك
عن التصريح باعجابها لبهجة ذلك الاستعراض ولمهارة الجسور ابي جناح
بوفي الذي راق طيرلا واخذلا وردلا في الهواء باعين كل الحاضرين

هكذا وقد وجه فخامة الرئيس في نهاية الاستعراض مكتوبا للجنرال
بستور في الثناء على الجيش الذي استعرض امامه ونصحه
فاريقي العزيز

ان الاستعراض البهيج الذي حضرته الآن مع الحضرة العلية سيبقى
ذكرا منقوشا بذهني ذلك ان بهاء طلعة العساكر التي قامت به وصراحت
استعدادهم دليل على صفاتهم الحربية السامية فلا غرو ان جاءوا على قدم
ضباطهم المختارين والمتأمرين عليهم وعلى اهبة متواصلة للقيام بالواجب
والدفاع عن الراية التي تظلمهم وعليه فالمرغوب منكم ان تبلغوهم تهنئاتي
الفايقة وان تقبلوا اتم يا فاريقي العزيز شعائر عواظفي النبيلة
الامضاء - فليار



فخامة الرئيس والحضرة العلية
خارجان من استعراض الوفود بميدان القصر السعيد

ثم انفصل الموكب وعاد الركاب الرئيسي الملوكي في ابته قاصدا تونس
ولدى مروره بقصر باردو رجعت الحضرة العلية ووزرائها وحاشيتها للسرايا
الملكية بعد ان تصافحت مصافحة الكرام مع جناب الرئيس
اما ركاب فخامته فقد عاد للسفارة الفرنسية مخترقا للصفوف بين
هتاف الالوف



سراية السفارة العامة الفرنسية بتونس

واعقب ذلك رجوع الخلايق الذين حشدوا بالمضمار للفرجة والاستعراض
فعادوا للحاضرة ولاحوا زها على طريق السكة الحديد حيث رتبت لهم
شركة بون فاملة ارتالاسارت على التوالي لارجاعهم لتونس ومن هذه الارتال
ما كان الركوب فيه مجانا وخاصا بالفود الاهلية وجموع الطرق والمريدين
وعند زوال ذلك اليوم اعد فخامة رئيس الجمهورية مادبة كبرى
بقصر السفارة الفرنسية اكراما لسمو الحضرة العلية حضرها بالاستدعاء
كافة الوزراء والدوات والاعيان فجلس بصدارة المائدة من احدى جهتيها

فخامة الرئيس وقابله بصدارة الجهة الاخرى سمو الحضرة الملكية وجلس
الى يمين فخامة الرئيس

جناب الجنرال بوقائد الاسطول الانكليزي
جناب مسيو كوشي وزير الاسبق
جناب الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال
جناب البرنس سيدي المنصف باي
جناب مسيورا الوزير المفوض والكاتب العام للعديلية
جناب مسيورا نونا كيس قنصل اليونان
جناب مسيو ديورت كاهية السفارة الفرنسية
جناب م. يمولو رئيس البعثة المالية
جناب مسيودا فاج مدير الاشغال العامة
جناب الكونيل سولي
القبطان البحري ريكل
السيد محمد الفوراتي كاتب القسم الاهلي من مجلس الشورى
القبطان البحري موتيز
مسيو دوفو العضو بمجلس الشورى
اليتان دوفان فولدين من ضباط البحر
الكونيل هيلو من رجال الحاشية الرئيسية
القبطان جوان معين المقيم العام
القبطان اركس
مسيو دلكاسي نجل وزير البحر

مسيو اندري فليار نجل فخامة رئيس الجمهورية
 وجلس الى يسار فخامة الرئيس
 جناب مسيو دلکاسي وزير البحر
 جناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام
 جناب القبطان مركيس لَمندان الدارعة الاسبنيولية
 جناب مسيو رمندوباش كاتب قصر الرئاسة
 جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم
 جناب الجنرال تروملت من امراء جيش الاحتلال
 جناب الكونت لوكوليتي
 جناب مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنسية بتونس
 جناب الكولنيل ريفرتيكات
 جناب مسيو بربرات مدير البوسطة والتلغراف
 جناب الكولنيل توبان
 جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة
 جناب مسيو كرانصي كاهية ادارة المال
 القبطان البحري فان لوجي
 جناب مسيو دوجان الكاتب الثاني بالسفارة
 جناب السيد احمد السني صاحب الطابع
 جناب الفريق فلنسي مدير التشريعات
 جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة
 جناب السيد مصطفى دنغزلي عامل الاحواز

الملازم البحري معين قائد الاسطول الفرنسي بالبحر المتوسط
مسيو ثيولو

اما الحضرة العلية فجلس عن يمينها

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب الاميرال ييلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط

جناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا

جناب مسيو بيركلي قنصل جنرال انكلتيرة

جناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا

جناب الاميرال كاشار

جناب القبطان البحري هوار من ضباط الاسطول الانكليزي

جناب مسيو تريالات مدير شركة بون قائمة

جناب مسيو مولا مدير التشريعات الرئيسية

جناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف

مسيو فاتيل

مسيو بروست كاهية المجلس البلدي

مسيو فيسي كاهية وكيل الجمهورية

مسيو بونيون

مسيو ريفيل

الضابط البحري ثاني معيني الاميرال الانكليزي

مسيو مارك فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر الرئاسة

القبطان بوا معين المقيم العام

وجلس عن يسار سموها

جناب مسيو شومي الكاهية الوزيرى بالبوسطة والتاخراف

جناب الجنرال بايو قائد الفيلق التاسع عشر بالجزاير

جناب الجنرال شايي من امراء جيش الاحتلال

جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب الاميرال لوكوف قائد اسطول بنزرت

جناب مسيو فان شر بنزل تيم

جناب مسيو مورو

جناب مسيو مونيس نجل رئيس الوزارة بفرنسا

جناب الكونت فون هردنبرغ قنصل جنرال المانيا

جناب مسيو سيرى كاتب مجلس الشورى

جناب الكولنيل دلا بويار

جناب مسيو بلان الكاتب العام

جناب مسيو بوسنيار

جناب مسيو مير المراقب المدني بتونس

جناب امير اللوا السيد الصادق غيلب شيخ المدينة

جناب مسيو سان روماس

جناب الحكيم ديكار طبيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكولنيل فيز من ضباط الحاشية الرئيسية

جناب الكمندان تيسون

جناب مسيو يوباش كاتب السفارة الفرنسية

جناب مسيولاكور كيت

وكان مجلس الطعام بالغاً للنهاية في الموانسة والمنادمة وموسوما بشعائر الوداد ومظاهر السرور وكانت المائدة بدعة في الحسن والجمال مزدانة بالرياحين وصحونها واوعيتها من تحائف معامل الخزف بسيفر ذات الشهرة المطبقة باروبا وكان الملاقي والشوك والسكاكين من الفضة وهذه الادوات التي هي من مستملكات رئاسة الجمهورية جلبت كلهما من باريس للمبالغة في مكارمة الحضرة العلية وبقية المعزومين للفظور وفي آخره القى المقام الملوكي بلسان جناب وزير القلم الخطاب العظيم الاتي نصه

اني اعد نفسي اليوم سعيد الحظ بالتمكن من الاعراب لفخامتكم عن السرور البليغ الذي دخلني والذي تشاركني فيه امتي بمناسبة اقبالنا بهذه الارض التونسية للجناب المفخم رئيس الجمهورية الفرنسية ذلك الرجل العظيم والموقر الذي يمثل بافخر اسلوب الامة النبيلة الحامية

هذا وقد ارادت فخامتكم ان تقيم بهذا القطر شاهدا لانزاع فيه على العناية التي ما برحت الدولة الفرنسية منذ ثلاثين سنة تبديها نحو هذا الديار وتعضد بها سيرها في سبيل الرقي والمدينة

وان جنابكم الذي سيتجول باطراف هذا الايالة وسيتقدم في رحلته لجهاتها القاصية الواقعة على ابواب الصحرا سيمكنه اثناء حلول فخامتكم بين اظهر الاقوام التونسية المتعلقين بارضهم والمتحدين في حب وطنهم بالرغم عن اختلاف عناصرهم مشاهدة التقدم العظيم الذي حصل بعد انتصاب الحماية الفرنسية

وان فرانس التي لم يسمح راياها السديد وخبرتها الكبيرة بمعاكسة
نهوض الامة المحمية قد احدثت على نفسها توسيع نطاق قوتها الاقتصادية
والعقلية بواسطة اجراءات تدريجية لاصلاحيات وضعت بعد تأمل دقيق
وقد كانت الغاية المحمودلة الناتجة عن ذلك المسلك الرشيد اوضح شاهد على
ان تلك المجهودات وذلك الثاني كانت مكلفة بالنجاح الباهر
وان بيتنا الحسيني يرى من الشرف مشاركته بالقلب في هذا
المشروع العظيم

اما انا فيروق لي ان امنح مساعدتي بدون استثناء لعمدة الدولة
الجمهورية الذي هو محل اعزازي واتتهز هذا الفرصة الثمينة لنكرر مباشرة
لفخامة رئيس الدولة الفرنسية عهد الصداقة والاخلاص التي كنت
صرحت بها اجنابكم عند جاوسي على كرسي الملك الحسيني
ولما فرغ سمو الملك المعظم من خطابه نهض جناب الوزير المقيم العام
والقى ترجمته الى اللغة الفرنسية ثم قال
يا سيدي رئيس الجمهورية

اني سعيد الحظ بما لقيته على مسامعكم من ترجمة عبارات التحية
والتهنئة التي خاطبتكم بها الحاضرة العلية ولا شك ان شعائر الصداقة
والاخلاص التي برهن عنها سموها لجديرة بامتثالي حيث كنت انا المعتمد
للدولة الجمهورية لدى مقامه العالي

ان الحاضرة العلية لم تضن علينا ابدا بمساعدتها التي هي ثمرة راياها
المستنيرة وان اتساع مكارمها القلبية لا يضاهيها إلا مقدار حبها في العدل
والانصاف وهذه المناقب الغريزية املاها على سموها مجرد حب للخير

ومساعدته من تلقاء نفسه على تعضيد مشروعاتنا بما عندنا من السلطة العالية والمطاعة لتأييد صنيع التقدمات المادية والادبية بهذا الديار التونسية وقد امكن بفضل تلك الاعانة الاستمرار بدون مصادمة ولكن بغير عجز على المشروع الطويل النديل الذي وقع القيام به في ظل الدولة الفرنسية تحت نظر وزرائها للخارجية ذوي الراي السديد بواسطة امثلا في في خطة السفارة بتونس الذين من اعظمهم قدرا آخرهم عهدا ذلك الذي امكبه ان يستخلص من خلال تجربته السياسية التي دامت ربع قرن القاعدة التي من شأنها تخويل دولة الحماية كامل سطوتها ونعمتها ولياقتها وكم من حسنات يمكننا اليوم ذكرها زيادة على تلك التي كان صرح بها في هذا الدار نفسها جناب مسيو بيشون الوزير المقيم كان بين يدي فخامة مسيو لوبي رئيس الجمهورية السابق عند زيارته لتونس في سنة ١٩٠٣ فالمراسي البحرية اخذت حظها من التوسيع والطرق العامة والسكك الحديدية تطاول شريطها بفضل ما توقعنا له من استعمال اموالنا على ما يرضي مجلس الامة الفرنسي

والحق يقال ان الفضل في انجاز هذا الترقى العاجل انما هو ثمرة الاتحاد البالغ حدة الحاصل بين متوظفينا الذين هم من خيرة المأمورين لان رؤساء ادارتنا ممن تقبطننا فيهم اغنى الدول ذات الطموح الكبير نحو المعالي ونواب المعمرين الفرنسيين بالمجالس البلدية وبالحجرات الانتخابية وبمجلس الشورى بل وهذا الجمعية بقسمها قد برهنوا انشاء شهر نوفمبر الفارط على جههم في الاعمال النافعة ذات الخيرات الوفيرة وعلى مزيد تعلقهم

ووفقهم وهو الامر الذي اشار له مسيو سيري كاتب القسم الفرنسي بمجلد الشورى في خطابه بينزت ذلك الخطاب الذي تمحض غيرا ووطنية

هذا وقد شاهدت فخامتكم بالامس قيمة المجهودات الفرنسية في حوزة الدفاع عن الاوطان اما الجهات التي مربها ركابكم بعد مبارحته لثغر بينزت المنيع والجهات التي ستشرفونها بحضوركم بعد فانها تنادي بلسان آخر وبمعاني اخرى ناطقة بتوفيق الجنس الفرنسي وجدارته باحيا واعلاء ييارق السلام فوق هذه الربوع الرومانية فالفرنسيون اصلحو على التوالي كل ما افسدته يد الهمجية في الاجيال الخالية وقد اصبحوا بفضل مثافتهم على العمل مثافنة تكاد تكون عنادا على مقدرة من تدليل نواصى العزلة ومن التغلب على تأثير الحوادث الجوية مع سلوكهم باهالي هذا القطر مسلكا محمودا حيث توافرت في البلاد الخيرات وامتدت الطرقات وسهلت القطارات الحديدية على السكان وسائل النقل والبيع والشرا بحيث ان العنصر الاهلي قد انفك قيد سباته واستسلامه لانه سارت فيه عدوى روح العمل فآل امره لتحسين حالته المادية

والعمارات الزراعية الفرنسية المزدانة بالبساتين البديعة والحدائق النضرة قد عمل المحراث في اعماق ارضها ما جعلها راموزا وحديثا لذيذا فالمعمرون قد احبوا الارض وقطعوا الصخور وازالوا الادغال النباتية التي سمحت ببقائها سذاجة اهالي العصور القديمة لذلك اصبحوا متغلبين على الزمان يمثلون معنى الاقتدار على بلوغ المراد ولاجله سيكون حصد اعمالنا خصبيا طافحا بالخيرات الشاملة لكافة هذا القطر فجزاء تلك

المجهودات المتولدة بفرنسا الزراعية التي اشتد ساعدها بالكد والجهد وانتظمت
احوالها بفضل التكاتف والتعاون هو ان الدولة تصرح بوجوب العناية
الحثيثة تلقاء تلك المساعي الناشطة

وكما ان الكنوز المعدنية ظهرت ثمارها سريعا كذلك يلزم امداد
اراضي الزراعة بالامور الفنية الصالحة لها وفي هذا المقام فان من اؤكد اعمالنا
تعصيد المصالح الخاصة بهذا الجانب على معنى توسيع نطاقها واكمال نصابه
واذا كانت المثافنة على العمل والشهامة كافتين لاقامة الادلة فان لنا
في سنيع الفرنسيين الضاريين بهذا الديار ما يغني عن البحث لايجاد
وسائط اخرى لتنشيط الهمم المتقاعسة - نعم ان درس الاشياء بالتجربة
يستدعي زمانا طويلا ولذلك يلزم مخاطبة الناس من ابناء جيلنا الحاضر
ثم الذين سيكونون رجال الاستقبال بان نشرح لهم ما هي اعمالنا بهذا
القطر وما هو وجه وجودنا فيه والذي يظهر لي انه قد اتى الزمان الذي
سيمكنهم من فهم كلامنا لان مقصدنا لا يحوم حول الاستحواذ على الناس
بطرق القهر لردهم عن معتقداتهم وحملهم على التمهذب بفلسفتنا وعلى تقدير
ن تسامحنا لم يحكم علينا باحترام كل ما يمس باعمال القلوب فان لنا في
ترقيتنا العلمية ما يكفي للدلالة على ببطء السير في تقلبات ادوارها ولا
شك اننا ممن يفتخر بقوته العلمية ولا يرضى إلا السير على قواعدنا وحينئذ
فلا نبتغي من العنصر الاهلي إلا مجرد اعتناقه لمذهب الاقتصاد لان المزاخمة
الاروباوية التي تنشأ عنها خيرات كثيرة هي ايضا ذات اخطار لا تنكر
فاليد العاملة والالات الاروباوية ربما تنذر المتقاعسين والمتقاعدين عن

السير في سبيلها باخراجهم عن جادة الحضارة واذاك يفوتهم ادراك القافل، وليس مرادنا ان تكون دية الترقيات العامة هي رجوع الضعيف بالخيبة لأن السياسة التي ترمي لمصادرة العنصر الاهلي قد انطوت ايامها وعلى تقدير ان البعض لم يزل عاملا بها فان تلك احلام زمان مضى واسلوب انقضى لاجرم انه ليس مقصودنا تاسيس السيادة الفرنسية فيما وراء البحور بالحروب الصليبية وبامتلاك الرقاب لان فرنسا الجمهورية باعتمادها على سطوتها وعلى حقوقها تابى الضغط والحق على الناس ولا تسمح لاعوانها المومنين على سلطتها بان ينسوا ما على الامه الحامية من الوجبات

وليس لفرنسا الجمهورية ساحة افسح مما لها من النشاط والعناية بالتربية الاقتصادية فلذلك نفتخر اليوم يا فخامة الرئيس بعرض مقدمات عملنا على نظركم السديد

سلطنا بالتعليم مسلك محاذاة ضروريات الحياة فجعلنا مشروعنا رابطا للمدرسة بالحياة ارتباط الحياة بالمدرسة كما اسسنا دراسة الصنائع والفلاحة بمشاركة جميع القوات الحية في هذه البلاد فذلك هو مقدمة اعمالنا يا حضرة الرئيس الفخيم

ومنسير على خطة مساعدة العنصر الاهلي واقناعه واعانته على مقاومة الاخطار المبيدة التي هي عثرة في سبيله فاطبانا واعواننا للصحة ومستشفياتنا التي يديرها متوظفون فرنساويون انقطعوا بصفة عجيبة لخدمة الانسانية

اصبحوا من الد الخصوم للامراض الفاتكة بالضعفاء والمساكين وجميعياتنا
الاحتياطية والتعاونية اصبحت بيد العنصر المذكور كسلاح للمقاومة والفرار
من ايتين مرتبتين قديمتين وهما الربا والجوع

وقد نتج عن هذا المسلك صيرورة المشاركة في العمل منهجاً سياسياً
بعد ان كانت حبراً على ورق وصار اسلوبها قاعدة اديبة لانخشي معها
شيئاً وباعثاً على احتقار السخريات

وعندنا في هذا المقام شاهد عدل وهو البرهان الساطع الذي جاءت
به الحضرة العلية عند اجتماع العساكر الفرنسية والتونسية في صعيد
واحد واقتالهم كتفا لكثف بالمغرب الاقصى في سبيل المدينة تحت العلم
المثلث ولا شك ان صنيعهم قد افصح على شيء دونه الطاعة ودونه الشجاعة
التي شربوا لبنها من ثدي واحد اذ هو يرمز لما لنا من حسن الاستقبال في
ارض فرنسا الافريقية

واني التمس من فخامتكم ياسيندي الرئيس ان تاذنوا لي عند ختم
خطابي هذا بان اعرب لجنابكم عما للمملكة التونسية من الامتنان اليكم
لما تحفظتم لها من الذكري المزدوجة بالعناية من حين زيارتكم القصيرة
التي شرفتم بها الحاضرة لثمان سنوات فارطة

وان القطر التونسي عبارة عن مملكة صغيرة جدا واغاب سكانها
فقره لذلك كانت مظاهر اقبالهم لفخامتكم مقرونة بالاحتشام فجنابكم
لا يرى في رحلته هذا فخامة المواسم الاروباوية الا انه لما كانت هذا

الديار في ذنف حماية الدولة الفرنسية التي يمثل جنابكم امتهما قاطبة كما
يمثل علو لعبها وانتصارها للضعيف ووثوقها بسلامة المستقبل الانساني قد
مهدت فخامتكم المصاعب والمتاعب من كل نوع وجئتم الينا لزيارة هذه
البلاد والارتحال حتى الى الجهات التي لم ترث نصيبها من المدنية لتقول
لساكنيها في هذا الوقت الذي تم فيه سير الارتال الحديدية باهم اصقاعها
ان الدكا العلمي الفرنسي لا ينفك ساهرا على مصالحها اما القطر التونسي
فسيكون مفتخرا بالتشريك بين اسم جنابكم واسم طيب الذكر (جول فري)
ورسمها معا في جبين واجهة احدى مدارسنا الكبرى التي حكم نجاحها
العاجل بانقسامها لمدرستين

وان المملكة التونسية تتحد معي بشراشر قلبها في هذا الوقت الذي
حانت فيه نوبتي لرفع كاسي نيابة عن المعمرين الفرنسيين شاربا بكل
احترام على سلامة فخامة رئيس الجمهورية

وعند ختام هذا الخطاب الانيق قام فخامة رئيس الجمهورية ونطق
بالخطاب العظيم الاتي نصه

انه ليروق لي جدا ان اشكر لحضرتكم العلية عن العبارات التي
خاطبتموني بها وان الدولة الجمهورية تقبل بارتياح شعائر الصداقة
والمودة التي افصحتم عنها كميثاق جديد وعزيز يبرهن عن الامان العظيم
الروسخ الذي يجمع البيت الحسيني السني والامة التونسية بالامة الحامية
الفرنسية

هذا وقد ترجم سموكم عما له من الاعتبار نحو المشروع العظيم الذي
قامت به فرنسا ولذلك فان الدولة الجمهورية بما لها من الشعور والرغبة

في القيام بما عليها من الحقوق نحو هذا القطر الذي سلكت به سبيل الرقي والمدنية قد قدمت لصاحب المملكة التونسية في هذه الثلاثين سنة عربون الاخلاص الذي لا تنحل عراه وبرهنت عن حسن نيتها وصلوحية حمايتها فالمملكة التونسية قد اصبحت سائرة تحت كنف الدولة الفرنسية في سبيل التقدم المتوافر الخيرات وسعيدة بفضل آل العلم والعدل التي وقع بثها في ارجاء البلاد قاصبها وذانيها

ولاشك ان تلك النتائج الباهرة والجازمة هي ثمرة المساعدة الكاملة التي منحها سموكم وسلفه المقدس لعمدة الدولة الفرنسية بتونس وان اهتمام حضرتكم بسعادة رعاياكم التي ملكتم قلوبهم بالاحسان يمكن سموكم من الاعتماد على مساعدة الامة الحامية للاستمرار على السير بالاقوام التونسية في مدارج الاصلاح والتحسين

ساذتي - ليس لنا بعد مرور ثلاثين سنة على مشروع الحماية الذي انتم امثل واخلص الناس اليه ان نقيم الدليل على لياقة اسلوبه وعلى فوائد تأثيره انما المراد ان نوكد على كل حال بان السياسة الجلية والصريحة التي فتحت فرنسا بابها في تونس لم يحم حولها تغيير قط وانها لجديرة بان تفتخر بهذا الرسوخ الموافق لمبادئها ومقاصدها

انا لم نجى لهذلا البلاد لاجلا امة اجنبية احتلت من القديم ارضا خدت دورها من العظمة والانحطاط او لحمل اهلها على التمهذب بغير عقائدهم فقد راي الناس ان مشروعنا مبنلا ليس السيف وانما مبنلا السلام لذلك كنا نجتهد اليوم في توزيع المنافع بطريقة عادلة بين جميع الناس

وفي توفير نصيب من خيرات المدينة للاقوام التي لم تدركها قبل او لم تتوفر لديها عواملها وان هي اصبحت اليوم مشاربه لتلقف ثمارها فمن ذا الذي ينكر الان ما حصل من احياء الارض الموات وجعلها صالحة للانمار ومن اقامة الآلات المتقنة للحرث مقام آلات اخنى عليها الدهر ومن تعويض المزارع الرحال بالمزارع القار الذي يسهر على سلامة مزارعه بعين الحارس الفيور على كنوزها ومن مد طرق المواصلات لكل جهة ومن نصب سكك الحديد للجمع بين تلك الجهات ولتنمية علائقها مع بعضها ومن فتح المراسي للتجارة مع الامم الاخرى واستدرا الاموال بالبيع والشرا معها ومن ذا الذي ينكر ايضا ان من البحر الى تخوم الصحرا قد اصبحت البلاد تزخر بالخير كالبحر بعد ان كان الفقر حليفها والجوع اليقها مدة قرون متعاقبة

ان هذا المشروع الذي سيخلد في بطن التاريخ اسم طيب الذكر جول فري لجدير بتجريك شاهية امة عظمت ولقد قامت به فرنسا بشجاعة عظيمة كما سلكت به مسلك التبصر والثبات واستعانت عليه بحكمتها وتوكيل الامور لافوقاتها لانه بدون الاتسكال على الزمان لا يتم شي متين ومستديم

فرنسا والحالة هذا لها امان في قوة هذه العبرة وفي سلطان الحق مما يحماها على الاستمرار في السير بالناس نحو مدارك العرفان سيرا تقدر الاجيال القابلة منافع العميمة

ومن الوهم ان يظن ان مجرد حكم اداري او قرار ترتيبى تحصل به المساواة بين الناس ولكن لما كان تفاوتهم في الدرجات بحكم الاقدار فعلى اهل المنازل العالية ان يتعطفوا نحو اهل الطبقات التي دونهم وان يمدوا لهم يد المساعدة ليكون ترفهم عليهم مبنيا على مجرد الاحسان الذي ينجر منهم لتلك الطبقات وفي هذا المقام يازم ان يكون مجهودنا منصرفا دائما نحو تقريب العنصر الاهلي من عنصر الاستعمار

فالاهلي كان وبقي محل عنايتنا على الدوام ومن الواجب في كل حال ان لا يفشل احد في استعمال الشدة نحو كنعوبية الناس لحماهم على الخضوع للقوانين والطاعة للحكومة ولكن هناك امرين لا يجوز نسيانهما تلقاء الخضوع الاختياري وهما الرفق الجالب للنفس والعدل الجالب للامان عند ما يدوق المرء لذته او يشاهد شعشة نوره

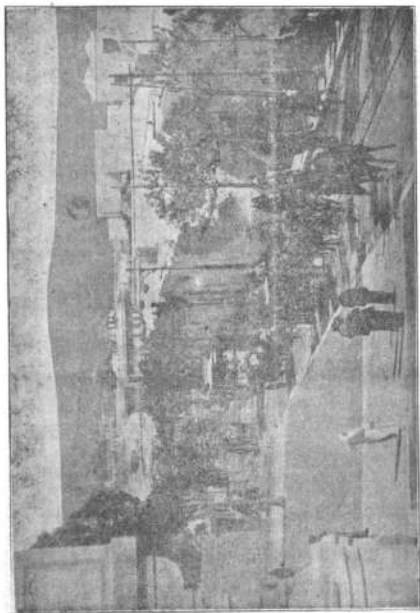
فهذا هو مسلك ادارة الحماية التي هي على بينة من خطتها ومن واجباتها في مشروع مدينتها بهذا القطر وهذا هو رأي اعوانها من ارفعهم شأنًا لاقلامهم مقاما حيثما كانوا بخطة دولية بل وهذا هو الذي يحكم به على كل من يجيد عن الطريق السوي ذلك الرجل العظيم اندي بيده زمام الحماية ومقاليد الامر والمحرز على كامل ثقة دولة الجمهورية وهو نفس مفهوم مجلس الشوري على ما حققه لي امس بينزرت احد كتبته في خطاب بليغ ولا شك ان هذا المجلس المختار حيث ملتمى اهل المدارك والاراء المتوافقة مع اهل الخبرة والمواهب الصالحة لا يعبا بالمتاعب في خدمة البلاد

لان استقلالته واخلاصه في مصلحة المجموع يعطيان لارايه ولرغائبه قوة
 لا محيد عن اعتبارها في ميزان المصالح العالية التي تهتم البلاد والعباد فلكافة
 الذين شاركوا في المشروع العظيم الذي نحن بصدد اهدي ثناء وهناء
 دولة الجمهورية كما اهديهما للمعمرين الفرنسيين والتونسيين والاجانب
 من كل الطبقات الاجتماعية لان نشاطهم ومسايرتهم على العمل بالرغم عن
 المصاعب المتنوعة التي يلاقونها هما راس الثروة ولان العواطف التي نبديها
 لهم تحرك فينا داعية الافتخار بالحمية الجنسية حيث نشاهد مساعدتهم على
 تدعيم هيكل الحماية في ظل الراية الفرنسية ذلك الامر الذي ينادي
 بتعظيم شانهم في مستقبل الازمان

وان ائتلاف العنصرين الفرنسي والتونسي بهذا الموضع التي
 تجددت بهجتها امام انظارنا في هذا الثلاثين سنة لم يكن بالقيم تلقاء
 غيرتنا الوطنية التي يحق لها ان تشرح لتعارف الجيلين على صعيد واحد
 في مدارسنا حيث تعلموا التعاضد وعقدوا عليه الخناصر ويا للفرح يوم راينا
 نحن تسابق ابنا تونس من كل الاجناس والعناصر لمزاحمة عساكرنا في ميدان
 الشجاعة والنزال بالمغرب الأقصى يقاثلون معهم ككتفا لكتف في مواطن
 كان الشرف حليفها

وفي الختام ارفع كاسي شاربا على سعادة المملكة التونسية ومساازجا
 الدعاء بالخير للمعمرين وللأهالي جميعا وداعيا بالعز للحماية وببنجاح مستقبلها
 وبختام هذا الخطاب العظيم صدحت المويستقى بالنشيد الفرنسي

ثم بالسلام الملوكي ثم بعد ان دارت فناجين القهوة والمرطبات على الحاضرين
 انفصل الموكب فتوادم فخامة الرئيس والحضرة العلية وعاد الركاب الملوكي
 لسراية القصباء



موكب الحضرة العلية بشوارع تونس

واما فخامة الرئيس فقد ركب مع وزرائه وبعض حاشيته عربات سيارة
 وخرج بصفة غير رسمية على الساعة الثالثة لزيارة المناظر والمواقع الجميلة
 بجهات قرطجنة وجبل المنار والمرسى فحل ركابها اولاً بقرطجنة حيث زار
 متحف كنيسة سان لويس وكان في استقباله هنالك الرهبان من طغمة الآباء
 البيض يتقدمهم كبير الدير دلاتر وهو من علماء الارخيلوخيا اي طبقات
 الارض ووكيل المتحف المذكور فكان بالطبع دليل فخامته في تلك الزيارة
 التي شاهد اثناءها تلك الكنوز الثرية المستخرجة من بطون ارض قرطجنة
 نفسها بفضل المثافة والحزم والثبات الذي ابداه اولئك الآباء البيض من
 حين تاسيس طغمتهم بعناية الكردينال لافيغري الى هذا اليوم فاستفاد
 فخامة الزائر الكريم من مجموعة تلك الاثار التي امكن بواسطتها ضبط
 سائر اطوار المدينيات التي اجتازتها مدينة قرطجنة حول العصور

ومعلوم ان قرطجنة بنيت على عهد الرومان ودمرت اولاً قبل الاسلام
 ثم ثانياً عند الفتح العربي وبقيت على حالة الخراب نحو اثني عشر قرناً
 ثم اقامت فرنسا فوق اطلالها كنيسة على عهد المرحوم حسين باي احياء
 لذكر الملك سان لويس الذي جاء لغزو تونس على عهد الدولة الحفصية
 اي قبل عصرنا هذا باكثر من ٦٥٠ سنة

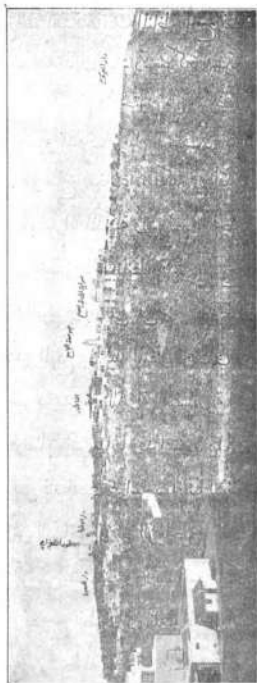
واخيراً احيائها الوزير مصطفى خزندار اواسط القرن الفاتح اذ اقام
 بها مركزاً للاصطياف وازدادت شهرتها واتسعت عمارتها بعد الحماية باقامة
 المباني الجميلة والمنتزهات والبساتين النظرة التي منها دوار الشط وصلنبح
 ودرمش وسانت مونيك الخ

هذا وبعد زيارة قرطجنة توجه الركاب الرئيسى قاصدا جبل النار
حيث مناخ خلاعة اهل تونس فارتقى الى البلد من الطريق الجديد ونزل قرب
سراية جناب مسيو بلان كاتب الدولة العام المظلة على شاطي كرسى الصلاح
واذاك تحدثت فخامته مع جناب الوزير المقيم عن اهمية ذلك الموقع العزيز
النظير وسرح طرف الطرف في هاتيك المناظر الجميلة وكانت البلدة عندئذ
لا بسة ثوب الافراح ومجلسها البلدي وقاضيهما الشرعى وشيخ زاويتها على
قدم وساق احتفاله بالزائر الكريم والرئيس الفخيم وفيما كان فخامته قادما
اليها مرتحت انظارا بالطريق جم غفير من جموع طرق الذكر والمريدين
يتقدمهم شيخ شيوخ الطريقة الرحمانية

اما جبل النار فهو لما قدمنا مناخ خلاعة اهل تونس واقدم مراكز
الاصطياف نشا اثناء المائة السابعة وموقعه وحيد في بابه سمعنا من السواحين
الثقات الذين طافوا بلاد البحر المتوسط في الطول والعرض ان جمال موقعه
لم تر العينان قط نظيرة ببلاد اخرى فهو حينئذ الفاضل وما سواه المفضول
والى حسن منارته يشير الاستاذ الاكبر شيخ شيوخ مولانا الشيخ سالم
بوحاجب بارك الله في انفاسه

وبالناظور اشعار بجود لاف به مقام ابى سعيد





منظر من بلد جبل النار بأحوال تونس

ثم بعد التمتع بمشاهدة هاتيك المناظر بارح فخامة الرئيس جبل المنار
 وقصد المرسى فانتظم عندئذك بإدارة شركة السكة الكهربائية موكب
 جميل تلقى اثنائه مراسم السلام والاحترام من متوظفي الشركة ثم انعم
 فخامته على مديرها مسيو بلدوف بوسام الشرف وعاد للتفريح في اجراء هذا
 البلد الجميل الذي هو مناخ الخلاعة الملكية في القديم وفي الحديث وبعد
 ان اجتاز ركابه العالي بالسرايا الملكية واشرف من جهة قهوة الصفصاف على
 ساحل البحر واعجب بحسن ذلك المنظر الذي انشرح له اي انشراح قصد
 ركابه سراية السفارة الفرنسية التي هي محل اصطيف جناب المقيم العام
 وهذه السرايا الوحيدة الموقع الجميلة المنظر كانت في الاصل من السرايات
 الملكية فاهداها المرحوم محمد باي للدولة الفرنسية اكراما لجيبه مسيو
 ليون روش قنصل فرنسا بتونس سابقا وقد اعتنت بها دولة الحماية على عهد
 وزارة مسيو ملي بتونس فاصلحت غراسه بساتينها الانيقة وحسنت عمارتها
 لدرجة جعلتها عروس البساتين ومجمع الرياحين

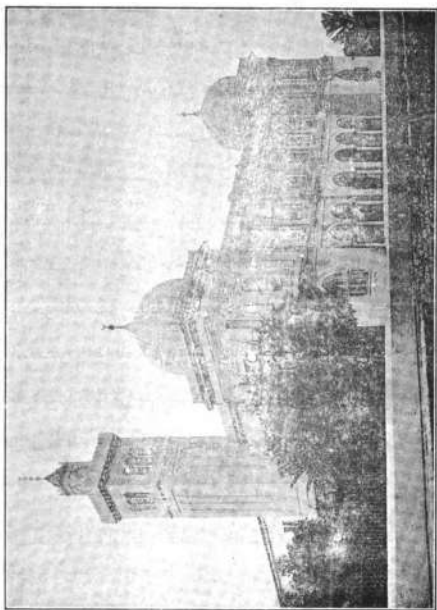
وكان فخامة الرئيس عند مروره ببساتين المكان يستنشق رايحة
 الزهر وهواء الربيع ويسرح الطرف في تلك المناظر البديعة - قال الشيخ
 الباجي المسعودي من موشحة له

يا شاطبي المرسى السلا م عليك يا نزهة العيون

هذا وبعد ان زار فخامته قصر السفارة بالمرسى وتناول قهوة الاكرام
 من يد جناب الوزير المقيم وزوجته الكريمة ركب رجال الموكب سياراتهم

وعاد فخامته وإياهم قاصدين حاضرة تونس فمر ركابه في طريقه بجهات سيدي داود فطريق سيدي فرج فالموينة فطريق تونس الموصل لباب الخضراء فالشوارع التي وراء سور الحاضرة فبطحاء باب أبي سعدون فباب حومة العلوج حيث نزل فخامته ودخل المستشفى الفرنسي حيث كان في استقباله مجلس اذرتة يتقدمهم جناب الكاتب العام مسيوبلان بملاسه الرسمية موشح الصدر بالشريط الاكبر من نشان الافتخار وبعد ان طاف فخامته بموكبه خلال مرقد المارستان فبيت العمليات الجراحية فالاجزائة ببقية جهات المحل وكانت آية في حسن التنسيق وجمال المنظر استحضر فخامته الحكيم برا كهواي باش جراح بالمستشفى وقلده وسام الشرف ثم تلقى هنالك مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخيرية الفرنسية واتفق على رئيسها مسيو كورتلان بالوسام المذكور

ثم بارح موكبه المستشفى الفرنسي وقصد فخامته المدرسة الصادقية فدخلها على الساعة الخامسة مساء وكانت المدرسة قد اخذت اهبتها لتلقي زيارة جنابه ولبست اجمل حلة فكانت شرافات بهوها الكبير وادقتها مزينة افخر زينة تاخذ بمجامع القلوب وكان مدير المدرسة ومعلموها على قدم وساق وتلاميذها قد اخذوا مواقفهم بكل انتظام فكان لمجموعهم بيزتهم العربية المترجمة بجمال الطلعة وطلاقة الوجه بدون تكاف منظر يستحسنه كل ذي ذوق سليم



المدرسة الصادقية

ومن المعلوم ان المدرسة الصادقية احدثها الوزير الخطير خير الدين التونسي سنة ١٢٩٢ وخصص في البدء لانتصابها قشلة الزنايدية وهي بناية لم يكن القصد من تأسيسها لتكون مدرسة عمومية سيما وانها واقعة في قلب احدى الحارات الكثيرة العمران زيادة على تضاييقها بالنسبة لعدد ساكنيها من

التلاميذ فكانت عرضة بمجموع الآراء للاخطار من كل نوع لذلك رأت
دولة الحماية ان تبني المدرسة الصادقية لنفسها مقرا من مال اوقافها الذي
عمرت به خزينتها فشيدت لذلك بنايتها الحالية واتصبت بها سنة ١٣١٥
والحق يقال ان هذا البناية من احسن البنايات العمومية بل هي اجمل
بناء تراها عين الناقد الخبير بالعاصمة التونسية

فلما دخل فخامة الرئيس لبهو المدرسة الكبير المشرف على بستانها
الانيق اعجب بحسن شكلها وجمال موقعها لانها جاءت موضوعة في صعيد
واحد مع قصباء تونس فهي مطلة على جميع الحاضرة واطرافها يتخللها
الهواء النقي في كل صباح وعشي ولدى حلول فخامته بالمدرسة استقبله
كل من جناب الوزير المفوض مسيورا والكاتب العام للامور العدلية
وجناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف فقدم له جناب مدير العلوم
متوظفي المدرسة مبتدئا بمديرها المستعرب الاستاذ الكبير مسيو دلاس
فصافحه فخامته مصافحة الكرام ثم تعرف فخامته بالشيخ محمد بن شعبان
امام المدرسة وحيلا وبش في وجهه ثم صافح الاستاذ الشيخ الطاهر بن
عاشور فالاستاذ الشيخ حسين بن الخوجه فالاستاذ الشيخ الصادق بن
القاضي فبقية الاساتذة فالمعلمين فوكيل الوقف فالعدول فالمامورين
باقلام الخدمة ثم تقدم الموكب نحو صفوف التلاميذ فاعجب فخامته
باتنظامهم وبيزتهم التونسية واذاك تقدم احد نجباءهم وهو التلميذ
سي صالح مزالي المنستيري والقى على مسامعه الخطاب الذي باللسان
الفرنساوي الفصيح



التلميذ سي صالح مزالي يخطب بين يدي رئيس الجمهورية
يا سيدي رئيس الجمهورية

انه بالنيابة عن تلاميذ المدرسة الصادقية اتشرف جدا بتقديم سلامنا
واحترامنا وبتهنئتك بالقدوم المبارك - هذا وان حضوركم بيننا تطاولت به
اغناقنا واكسبنا فخرا ولا شك ان زيارتكم هذه تدل على ما لفرنسا
العظيمة من العناية بهذا القطر الذي احبته بمساعدتها ولكن من واجبنا
بالخصوص يا سيدي الرئيس ان نشكر اليكم عن تشريفكم لمدرستنا لان
زيارتكم الينا فيها برهان نفيس على ما لفخامتكم من العناية بالناشئة التونسية
وباعت على تنشيط هممنا للاقبال بجزم وعزم على التعلم والشرب من منهل
العلوم التي اصبح موردنا بكرمكم طافحا لدينا

ولا شك ان هذا المسلك هو المنهج الوحيد لتحقيق نجاحنا وتقديعنا
لمصاف الرجال النافعين لبلادهم والجديرين بالنصائح التي تهياهم انوال

تلك الصفات وبالتأخي والتوَادد مع الأمة العظيمة التي اخذت بلادنا في
كنف حمايتها وهو كنف يأسعد من دخل في حماه

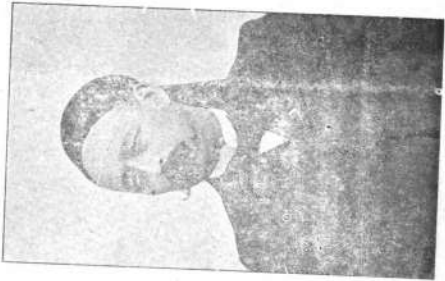
هذا وأنا نتقدم بعبارات الشكر والامتنان للدولة الفرنسية ولذاتكم
الشريفة ونلتمس من فخامتكم في هذا اليوم المشهود ان تتركروا بقبول هذا
الباقية من الزهور اكراما واحتراما واعزازا من تلامذة المدرسة الصادقية اه
واذاك تقدم النقيب التلميذ سي اسكندر حيدر حفيد المرحوم
سيدي محمد الهادي باي ودفع لفخامة الرئيس تلك الباقية الجميلة المشار
اليها في خطاب رفيقه فاخذها الرئيس وعلائم البشربادية على محياها وافصح
للتلميذ الخطيب ولبقية التلاميذ عما يتمنى لهم من الخير والسعادة وحثم
جميعا على التعلم والقراءة وعلى مزاولة اللغة الفرنسية بكل جد واجتهاد
ثم قال فخامته « اننا جئنا هذا الارض لنفرض محبتنا في قلوب اهاليها - اما
انا فسا بقى متحفظا على ودكم ولا انساكم بعد اليوم ورجائي انكم تقابلون
ذلك المثل فتجعلون نصب اعينكم حب فرنسا التي تحبكم كثيرا والتي ساصدع
فيها عند الرجوع اليها بما شاهدت هنا من الادلة الناطقة بسلامة الاستقبال »
ثم ان فخامته تقدم لصف رفقاء الشبان ابنا الامراء الحسينيين وكانوا
نحو العشرة وقصد بالخطاب البرنس الاسعد الانجب سيدي محمد باي رابع
انجال الحضرة العلية البالغ سنه للثالث عشرة من عمره فحثه على الاقبال
على العلم وهناله وهنى بقية البرنسات المزاويل للعلوم بالمدرسة بما
حصلوا عليه من الترقى بعناية صاحب السمو والدهم الكريم الذي قصد
يتعليمهم التدرج بهم في مدارج الكمال وبعد ان صافهم واحدا واحدا
وانتهى على اهتمام المستعرب الكبير مدير المدرسة جناب مسيو دلماس

استحضر لديه نخبة من الاعيان كان وقع استدعائهم للحضور بتلك الحفلة
وقلدهم بيده على رؤس الاشهاد وسام الشرف وهناهم بذلك مباشرة فاحسن
بالرتبة الثالثة ترفيعا

للسيد محمد القروي رئيس خزانة المكاتب العامة بالدولة التونسية
وللسيد مصطفى دنقرلي عامل احواز الحاضرة
واحسن بالرتبة الرابعة

للسيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى
وللسيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة
وللسيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
وللسيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط
وللمسيو فيتوسى العضو بمجلس الشورى
وللسيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي
وللسيد محمد الفوراتي العضو بمجلس الشورى

وكان فخامته عندما يوشح صدر كل واحد منهم بالنيشان المختص
به يلاطفه بجميل القول فمن ذلك قوله لهذا العبد صاحب هذه الرحلة
« انك تحمل شعار العلم فلتحمل معه الآن شعار الشرف » وقوله لصاحبنا
عامل الاحواز « نرفع قدرك في مدارج الشرف لانك خليك بذلك واني
لم ازل على ذكر من الليلة الانسة التي حضرتها بدارك سنة ١٩٠٣ - اما
سهرية هذه الليلة التي ستفتحون لها ابواب داركم فانه يحول دون مجيئي
اليها وجوب حضوري بالمادة الملكية التي ستقيمها الحضرة العلية هذا
المساء » الى غير ذلك من العبارات والمجاملات التي اثلجت صدور الجميع



السيد محمد القروي رئيس اللجنة العامة

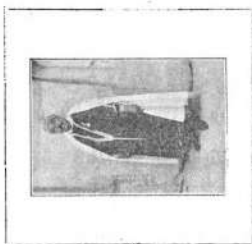


السيد محمد بن الحوجة رئيس قسم المحاسبة



السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة
 هذا وقد هنى بعض الادباء هولاء الاعيان بايات نصها
 رئيس الخزانة القروي يهنا باوفسي اجيون دنور
 وذنقزلي عاملنا النشيط يهنى مثلهم بنمون نور
 وبالشفلي يهنا الشيخ عالي وزاوش ويصحب بالسرور
 وكاتب قطرنا الخوجي يهنا بدا النيشان اكليل الصدور
 وخير الله والفوراتي ايضا نهنيهم وفيوسي بالكثير
 وبالكيلاني نختم ذي التهامي وندعو للجميع الى النشور
 وكان هذا الانعام من فخامته بتسمه نياشين في مجلس واحد على نخبة
 من الاهالي محل الشكر العميم لانه اقام بذلك دليلا على تقدير الدولة
 لمزايا المخلصين في خدمة الحماية سواء كانوا من الماورين او من غيرهم

السيد الكيلاني شلبي العضو البلدي
بتونس والمعلم الفلاحي المشهور



السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس
الشورى وعميد نشأة التونسية



المسيو فتوسي العضو بمجلس الشورى
والمحامي المشهور



وقبل ان يبارح فخامته المدرسة الصادقية تلقى جنابه بها مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخلدونية واستعلم من رئيسها السيد عبد الجليل الزاوش عن كيفية نظامها وسير التعليم بها ثم اثنى على همة الفضلاء الذين اسسوا مشروعها بمساعدة الدواة الحامية وتكرم على صندوق الجمعية بالف فرنك اعانة لها على القيام بشؤونها العلمية

ثم بارح موكبه المدرسة وقصد المستشفى الصادقي ونزل فخامته من عربته على رصيف بطحاء القصباء وسار وحاشيته على القدم مخترقا لصفوف العساكر وكانت واجهة المستشفى ومجالاته مزدانة بالرايات الفرنسية والتونسية وشعار الافراح وهذا المستشفى الذي اصبح محل غاية جاذب الكاتب العام للامور الادارية من تاسيسات الوزير خير الدين الان انتصابه لم يتم الا في سنة ١٢٩٦ وقد اقيم بقشلة البشامقية فدخله فخامة الرئيس مصحوبا بالكاتب العام المذكور وكان هنالك لاستقباله مجلس ادارة المستشفى يتقدمهم جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة يعضدا شيخ المدينة ورئيس جمعية الاوقاف وبقية اعضاء المجلس واذاك طاف فخامة الرئيس بمحلات المستشفى واعجب بانتظام امورها ونظافة قاعاته وتماام عددا قاعة الجراحة واستكمال نصاب عقاقرته فائنى على همة وبراعة مديره الباش حكيـم برنصفيك ثم احسن له بوسام العالم من الدرجة الاولى كما احسن بمثله من الدرجة الثانية لمعاونه الحكيم حسين بو حـاجـب

وقبل ان يبارح المستشفى زار بيوت المرضى وسال عن معاشهم ثم زار بيت النسوة المريضات وتلطف نحو زوجية عليـلة انقـذها حكيـم المـستـشفـى من

الموت لتأخير اجلها فتنازل فخامته لسوالها مباشرة عن صحتها بما انطق
لسانها بالدعاء الجزيل لفخامته

واذاك قد ارحى الليل جناحه وبزغت في سماء البلاد اشعة الكبرياء
التي حلت محل اية النهار فخرج موكبه من هنالك قاصدا مدرسة جول
فيرى الانائية مارا بشارع باب منارلا حيث اقام النشيط سي صالح الكشباطي
زينة فاخرة عربية امام قهوته هنالك وكان كلما مر ركابه بجمع من الخلائق
المتماوجة بالشوارع والطرقات هتفوا له بالدعاء والسلام فدخل المدرسة
على الساعة السابعة مصحوبا بمدير العلوم والمعارف وتلقى مراسم التهنئة من
المديرة والمعلمات كما تلقى تهنئة تلميذاتها اللطيفات بلسان رفيقتهن الماجدة
الاصيلة مادموزيل البتيت كريمة المقيم العام وبعد ان احسن مجاملة
المعلمات والمتعلمات تكرم عليهن براحة ثلاثة ايام تضاف لراحة عيد
الفصح ثم بارح مدرسة البنات بين عبارات النشيد الوطني بلسان التلميذات
فكان صدا غنائهن مستملا للمهج والقلوب

ومن هنالك قصد ركابه مدرسة كارنو العليا فدخلها مصحوبا بمدير
العلوم وكان التلاميذ في عد المئين منتظمي الصفوف فلما حل بينهم هتفوا
مرارا بالدعاء لفخامته فانشرح لذلك انشراحا بانث آثاره على اسارير وجهه
وحصل له من شدة الوقع والاستحسان ما ادركم التلاميذ فاعادوا كرات
التهافت بحماسة وطنية غريبة كان لها دوي في الاذان وتأثير في القلوب
واذاك تعرف فخامته بالمديرين والنظار والاساتذة وحل وسطهم وقلد
رئيسهم الاكبر العلامة الاستاذ الاشهر مسيو شرلتي المدير العام للعلوم
والمعارف وسام الشرف الفرنسي وقبله وهنالا



جناب مسيو شارلتي المدير العام للعلوم والمعارف

فحدثتُ عندئذ بين عموم الحاضرين هزة فرح بلغ صداها لعنان السماء وانقلب سرور التلاميذ لحالة جذل وهيام ثم ان فخامة الرئيس منح التلاميذ ثلاثة ايام راحة زيادة على المعتاد وخرج موكبه من مدرسة كارنو قاصدا زيارة المعرض الصحي بسراية الشركات الفرنسية

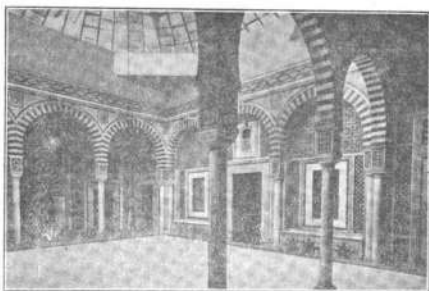
وكانت السراية وما ادراك ما هي في الحسن والبهاء والفخامة والرياش وضروب الزينة يحفها كوكبة من العساكر والناس حولها متجمعون الوفا الوفا فدخلها فخامة الرئيس بين ضجات تلك الجموع بالهتاف البليغ المسموع وقد تلقا بباب السرايا مدير المعرض مسيو لتورنور وطاف به حول المعروضات الصحية فاستحسن نظامها واعرب عن ابتهاجها لحسن انتهابها واتساقها وكان القسم الخاص بالمياه المعدنية على انواعها محل انظاره ومزيد تدبره واعتباره ثم تلقى من جمعية غراسه الزهور اكليلا من الياحين وتعرف بجمعية الفواكه البواكر وتلقى بعدئذ مراسم التهنئة والاحترام من جمعية

بث التعليم واللغة الفرنسية بين الاقوام ورفع رتبة رئيسها مسيو كمونو
لدرجة ايسي من اللجيون دونورين هتاف الحاضرين

ثم ان جناب المقيم العام قدم لفخامته مسيو دلا فارين رئيس الجمعية
الفلاحية واتنى على همة هذه الجمعية واعانتها على المشروعات الزراعية
وتنمية عمران البلاد فشكرا فخامة الرئيس واحسن له بالصنف الرابع من
الوسام المذكور كما احسن لكاهية الجمعية ولاعضائها باوسمة الفلاحة من
درجات مختلفة وبارح الموكب سراية الشركات الفرنسية بين مظاهر
الاجلال والتوقير واذاك رغب فخامته ان يمر موكبه باحياء البحيرة مناخ
الزينة البلدية فتجول في شوارعها بين الجموع والصفوف وهتاف الالوف
ثم عاد ركابه لدار السفارة الفرنسية على الساعة السابعة ونصف مساء وبعيد
ذلك بدقائق معدودات خرج فخامته ووزراءه وحاشيته في موكب رسمي
بميج لحضور مائدة العشاء التي اقامتها الحاضرة العلية الملكية اكراما لفخامته
بسراية القصباء

ولكن قبل ان نتكلم على هذه المادبة نقول ان هذه السراية انشاها
المرحوم حمودلا باشا سنة ١٢١٨ وهي فسيحة الجوانب رحبة الزوايا
والمناكب ازدادت محلاتها اتساعا بما احدثه فيها الوزير خير الدين
من البيوت المطلة على بستان القصباء وعلى الاسواق التجارية الجميلة التي
حاول بواسطتها احياء معالم التجارة الاهلية التي عفت رسومها وهي
اسواق صارت فيما بعد دواوين لادارتي الاشغال العامة والمالية عند احداثها
حوالي زمن الاحتلال وايضا تعاضم وتشامخ بناءها بما اضافت لها دولة الحماية
من البناءات الجديدة لاستكمال نصاب اقسام الادارة العامة التي تحولت

اليها بعد اجلائها عن سرايات باردو القديمة في سنة ١٣٠٠ بحيث ان
سراية المملكة بتونس ويطلق عليها في العرف الاروباوي لفظ « دار الباي »
لانها بالفعل كانت في القديم مسكنا للبايات ثم في النصف الثاني من القرن
الفارط دار ضيوف للملوك والعظماء الواردين على تونس ومقرا للباي
وحاشيته مدة شهر رمضان وليلة المولد الشريف هي عبارة عن



بهو الطاق العلوي بسراية المملكة

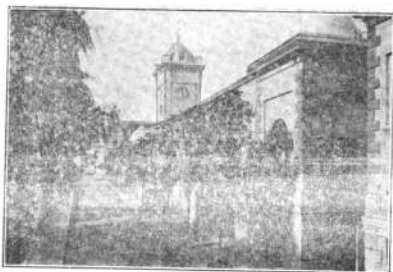
قسمين شامخين من البناء احدهما على الاسلوب العربي الجميل وهو
الطاق العلوي الذي اسسه المرحوم حمودة باشا والاخر على النمط الاروباوي
او ما يقرب منه وهو ما بني على عهد خير الدين وعلى عهد الحماية ويرى
الناظر في الرسم الذي زين به هذا الصحيفة جمال ذلك الصنع الذي
يحاسني احسن ما ابرزه الذوق العربي من مبتدعات هندسة البناءات
الاندلسية

اما المادبة الملكية فقد اقيمت بقاعة التشريفات الكبرى المشرفة على
 البستان البلدي الانيق وكانت ليلتد محلات السرايا وسقيفها وبهوها مغطاة
 بالابسة الحريرية والزرايبي الفاخرة والمتكثات والاكسية والرياش وكانت
 انوار الكهربائية البالغ عدد مصابيحها لنحو الالف بين ثريات وفوانيس
 واسرجة تناطح الشموس فكان لمجموع ذلك منظريها كي احدى المناظر
 المتحدث عنها في كتاب الف ليلة وليلة ايام دولة هارون الرشيد ووزيره
 جعفر

وكان تنمق ذلك وترصيعه بالزهور والرياحين ونشو النخيل والوقوف
 على استكمال تربيته وصنعه منوطا بدوق الشاب النشيط مسيو دولور
 كاتم سر جناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام بالعدلية حتى ان الحضرة
 العلية لم تتمالك عن اظهار استحسانها واعجابها بما قام به الشاب المذكور
 من الخدمة لمقامها العالي مما استوجب عليه الشكر باسان سموها مباشرة
 منها اليه

وكانت زينة مدخل السرايا بدوق عسكري جميل فكانت واجهة
 الجدران مزينة بالاسلحة والسيوف والخناجر من كل نوع وعصر ولما كانت
 الساعة الثامنة وصل الركاب الرئيسي لبطحاء القصب مخفورا بالعساكر





بطحاء القضاة

واذاك ادت له عساكر العسة المصونة مراسم الاحترام وترنمت الموسيقى
بالسلام ثم دخل فخامته وحاشيته للسرايا حيث دان المقام الملوكي في
انتظاره براس المدرج فتلقا بوجه بسيم وتصافح وفخامته مصافحة ودية
قلبية ثم دخلا بيت المادبة يتبعهم اندوات من المعزومين للطعام في صحبة
جناهما الفخيم

فجلس بصدارة المقام فخامة الرئيس والحضرة العلية وجلس حولهما
الى اليمين والشمال الذوات الاتية اسماءهم
جناب مسيو دل كاسي وزير البحرية
جناب مسيو بامس وزير الفلاحة
جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف
جناب البرنس سيدي المتصف باي

جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب مسيو مولار مدير التشريعات

جناب مسيو رامندو باش كاتب قصر الرئاسة

جناب الجنرال يستور قايد جيش الاحتلال

جناب الجنرال شاي من امراء جيش الاحتلال

جناب الجنرال تروملت فاير مثله

جناب الوزير المفوض مسيور والكاتب العام للامور العدلية

جناب مسيو بلان الكاتب العام للامور الادارية

جناب مسيو دلا فاج مدير الاشغال العامة

جناب مسيو دوبرديو مدير المالية العام

جناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف

جناب مسيو بربرات مدير البوسطة والتلغراف

جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة

جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة

جناب مسيو مولو رئيس البعثة المالية

جناب القبطان البحري موتزباش كاتب وزارة البحر

جناب مسيو بيريل باش كاتب وزارة الفلاحة

جناب مسيو دوفوباش كاتب البوسطة والتلغراف

جناب مسيو يوباش كاتب السفارة الفرنسية

جناب مسيو اندري فليارد نجل رئيس الجمهورية

جناب مسيو دل كاسي نجل وزير البحر

جناب الكلونيل قيز من ضباط العسة الرئيسية

جناب الكلونيل هيلوت مثله

جناب مسيو دجان الكاتب الثاني بالسفارة

جناب مسيو لوجي

جناب مسيو بونيون

جناب الحكيم مسيو ريكار طيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكمندان طيسون رئيس اركان الحرب بجيش الاحتلال

جناب مسيو مارك فارين كاتب الرئاسة الخصوصي

جناب القبطان جوان معين المقيم العام

جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة

جناب امير اللواء السيد الصادق غيلب شيخ المدينة

مسيو تريالات مدير شركة بون فالمة

وكان مجلس العشاء موسوما بمظاهر الوداد العالي من الجانبين والخدمة

المتناولون للاطعمة من العيد وكانوا في عدد اثني عشر زنجي متجلين بلبوس

ذات الوان ساطعة تناسب سواد بشرتهم مما زاد في اتساع الحاضرين

وحلمهم على الاعجاب بكمال تهديدهم وقيامهم بوظيفتهم خير قيام



راموز مصغر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملكية

وفي منتهى العشاء القى المقام الملوكي على مسامع فخامة ضيفه الكريم
العبارات الاتية

اني اهنىكم هنا من جديد بالتقدم المبارك واني لسعيد الحظ بان
اكرر لجنابكم العالي شعائر ودادي واخلاصي نحو الامة النبيلة الفرنسية
ونحو فخامة رئيسها الموقر

فاجابه فخامة الرئيس بقوله

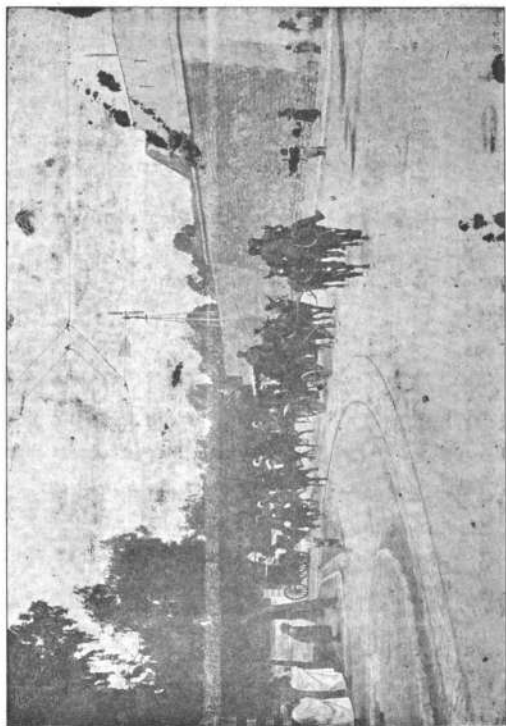
اني اتشكر لحضرتكم العلية عما ترجمت عنه من شعائر احساساتها
الكريمة واني لسعيد الحظ بان اكرر لسموها تحت قباب هذا القصر الذي
كان سلفها الجميل الذ كر تلقى فيه زيارة سلفي الرئيس مسيولوبي شعائري
الداتية الممتزجة بالدعاء لحضرتكم ولال بيتكم بالغز والسعادة

واذاك ترنمت المويستى بالنشيد الفرنساوي ثم بالسلام الملوكي الحسيني
ثم دارت فناجين القهوة على الحاضرين وفيما بين ذلك استحضرت فخامة
الرئيس الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية وانعم عليه بوسام الشرف



الحكيم مسيو لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

وبعد ان تجاذب المقامان الكريمان اطراف الحديث والمناداة تصافحا
مصافحة الكرام وعاد ركابهما ففخامة الرئيس لدار السفارة والمقام الملوكي
بارح الحاضرة عائدا لسراية المرسى العامرة



منظر من موكب الركاب الملوكي خارج الحاضرة

وفي هاته الليلة نفسها اعد المجلس البلدي مادبة اكرام بخان « قصر
تونس » لضباط الاساطيل الاجنبية والاساطيل الفرنسية الراسية بمينا
بنزرت ولاصحاب الجرائد الفرنسية الوافدين على تونس في جملة اهل
الركاب الرئيسي وكان مدير نظام تلك المادبة الانيقة النشيط مسيو جوزاف
فلنسي مدير الاقسام الادارية بالمجلس البلدي حضرها بالاستدعاء نحو
الثلاثمائة من ضباط البحر ومن اعيان الفرنسيين واعيان الجالية الانكليزية
والجالية الطليانية وفي ختامها شرب كاهية المجلس البلدي نخب جلالة
ملك انكلتيرة و جلالة ملك ايطاليا و جلالة ملك اسبانيا ثم خطب خطبا
نفيسا في الترحيب باولئك الضيوف الكرام وطلب من اصحاب الجرائد ان
يشهروا باصقاعهم محاسن الحاضرة التونسية ويلفتون انتظار السواحين
لصحو سمائها الجلي ولجمال اسواق تجارتها الاهلية ثم شرب على ذكر
ضباط الاساطيل وعلى سلامة الصحافيين بالنيابة عن عموم سكان مدينة تونس
وفي تلك الاثناء كان الهمام الاحزم السيد مصطفى دنقزلي عامل
احواز الحاضرة قد اخذ تاهباته لاقامة ليلة انس فاخرة بدار سكنه بباب
البنات اكراما لوزراء الدولة الجمهورية ولضباط البحر والجنرالات قواد
الجيش ولبقية الدوات والاعيان وبالف في ذلك للحد الذي جعل منزله
سما مرصعة بالنجوم تخفق فوقها الاعلام ويظلمها الجلال والاكرام فكان
العامل المذكور وخلفاؤه ورجال ادارته على قدم وساق يستقبلون الزائرين
بكل لطف ولين ولما احتبك المقام كمل الانس بقدوم جناب الوزراء
والجنرالات والكاتب العام ونجل فخامة رئيس الجمهورية ونجل رئيس
الوزراء الفرنسية واذاك دارت على الحاضرين لؤس المسرة فكاف

المجلس يحاكي بجماله ائمن درة وكانت اناشيد الفرح تتلى واغاني السرور
والفخار تترنم بها الافوا فتعيدها نفقات الاوتار

وممن حضر هذه الليلة الانسة ارباب الصحافة الفرنسية مكاتبو
الجرائد الكبرى الباريسية كالطان والماتان والجورنال وغيرها وقد آتسوا
من مكارم رب الدار واحتفاله واحتفائه بهم ما حملهم على قضاء ليلتهم كلها
بذلك المجلس الانيس

وقد امتازين اولئك الضيوف من اصحاب الجرائد الاخباري اللييب
مسيودوفوفي محرر جريدة « توليون » اذ اعرب عن لطف وسمرو ومشاركته
في مظاهر الزهو والحديث الانيس ضرب صدا فيما بين تونس وجرجيس
حتى ان بعضهم لقبه بدوفوفي باشا لانه اتى من ضروف الظرف بما شاءوا
وبما شاء

وكانت هذه الليلة الانسة خاتمة احتفالات اليوم الثاني من قدوم
فخامة الرئيس لتونس حيث تقرر ارتحال جنابه صبيحة اليوم التالي
للجهات القبيلة



الباب الثالث

في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجم وافتتاح سكة
حديد صفاقس (يوم الخميس ٢٠ افريل ١٩١١)

قبل ان يبارح فخامته العاصمة التونسية تلقى جنبه بالتلغراف رسائل
الشكر من ملوك انكلتيرة وايطاليا واسبانيا عن التلغرافات التي ارسلها
لجلالتهم يوم ١٨ افريل ١٩١١ بعد استعراض الاساطيل بميالا بنزرت
وكانت هذه الرسائل آية في التلطف تعرب عن علايق الود الراسخين دول
او تلك الملوك والدولة الجمهورية - ولما اصبح صباح اليوم المذكور كانت
الادارة العسكرية قد اخذت تاهباتها وحشدت الجيوش على ممر الركاب
الرئيسي فيما بين السفارة العامة وموقف سكة الحديد الجنوبية

ومعلوم ان ارتحال فخامته لقصر الجم هو من الابواب المهمة المقررة في
برنامج زيارته للعماللة التونسية لان القصد من ذلك حضور فخامته لافتتاح
السكة الحديد المحدثه اخيرا بين سوسة وصفاقس كما سيرى القاري
تفصيل ذلك في محله من هذا الباب

فتحرك الركاب الرئيسي من السفارة مخفورا بعساكر الخيالة على
الساعة السادسة ونصف وقصد المحطة على نغمات النشيد الفرنسي وقرع
الطبول والدفوف واذاك بزغت شمس الركاب الملوكي من جهة شارع
باريس فلما كان موكبه على مقربة من النادي العسكري بشارع فرنسا
ادت مويستقى الزواف لسمولا السلام الملوكي وقرعت الطبول والدفوف
فتوجه الركابان يتلوا احدهما الاخر للمحطة المذكورة وعند الوصول اليها

ارتقى فخامة مسيوفليار ووزراولا وحاشيته للعربة الرئيسية بعد ان وادعه جناب مسيو دلكاسي وزير البحرية حيث عاد ذلك اليوم لبنزرت ومنها لجزيرة كرسية كما وادعه الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي واركان حربيه لتقرر رجوعهم لميالا مالطة حيث تمت ماموريتهم

اما الحضرة العلية فقد ركبت القطار نفسه حيث استوت بمربتها الملكية مصحوبة بوزرائها وبرجال المعية السنية واذاك سار القطار بين هتاف الهاتفين ودعوات الداعين يشق ضبابا كثيفا تحت غيوث وابلت تعذر بها على الراكبين ان يسرحوا النظر في طريقهم ويشاهدوا خصب وبركة هذا العام المبشر بوفرة الزرع والضرع

وكان تقدم سفر هذا الرتل الرئيسي الملوكي قيام رتل خصوصي خرج من تونس بكرة ذلك اليوم حاملا لاعضاء مجلس الشورى ولارباب الصحف ولمن دون رجال الحاشيتين من الاعيان

فلما وصل الرتل السامي لمحطة بير بورقة من الوطن القبلي نزل فخامة الرئيس وتلقى مراسم السلام والاحترام من اهالي المكان وكانوا في جمع عظيم يتقدمهم شيوخ الطرق وعمدهم واعيانهم وكانوا يضربون طبولهم وينفخون في مزامرهم المسماة « زكرة » ويهتفون بالتحية والسلام للمقامين العظميين ويرتلون الادعية والاذكار فشكر فخامة الرئيس سعيهم وارتقى لعربته بعد ان تناول شيئا من الاكل بمطعم المحطة ثم سار الرتل حتى بلغ محطة النفيضة باولاد سعيد من عمل سوسة واذاك نزل موكب فخامة الرئيس لهذا المركز الاستعماري الخصب الذي له علاقة مستحكمة بالاسباب

التي اعقبها نصب الحماية على تونس وهذه النفیضة عبارة عن هنشير واسع
الاطراف يتراوح بين ستة آلاف وسبعة آلاف ماشية ملكها المرحوم الصادق
باي للوزير خير الدين ومنه ابتاعتها قبیل الحماية الشركة الافريقية الفرنسية
التي احيتها واقامت بها العمارات العظيمة والمصانع واسست بها المدارس
والاسواق وكل ما يلزم لجعلها مدينة قابلة لسكنى نخبة من كبار المعمرين
الفرنساويين واتباعهم فهي اول مركز استعماري فرنساوي بالعمالة التونسية
فلما حل بها فخامة الرئيس والحضرة العلية كانت البلدة متهيلة لقبول هذه
الزيارة واعلام الفرع تدر على اعالها وكان المعمرون واعيان الاهالي على اهبة
تامة فاخفق اخوان الطرق سناجقهم ورددوا ذكرهم وهتفوا بالدعاء للمقامين
الكريمين واذاك تقدم مدير شركة النفیضة والقی على مسامع الرئيس
خطابا اشار فيه للمجهودات والمصاعب التي غالبتها الشركة وتغلبت عليها
ايام انشاء هذه المستعمرة الزراعية المرتبطة ارتباطا له معنى بتاريخ الحماية
الفرنساوية ثم تعرض للترقيات التي احرزت عليها النفیضة فيما بعد حتى
اصبح قلبها مدينة زاهرة لا يقل عدد طلبة العلم فيها عن ثلاثمائة تلميذ
بين اربابها وبين تونسيين وختم خطابا بشكر فخامة الرئيس والحضرة
العية التي لها المنزلة العلية في قلوب رعاياها والاحترام العظيم في انفس
سائر الارباباويين نزلاء المملكة التونسية

وقد اجاب فخامة الرئيس وكان مكشوف الراس بالرغم عن تهاطل
الامطار وابدى له عبارات شكره عن هذه العواطف والتصريحات الفايدة

واضاف لذلك ما ننقله بحروفه (واني لمبتهج برايك المصيب الذي حملكم على الاعتقاد بانه لانجاح للمشروع الذي كتبتم على انفسكم انجازها إلا بالاتحاد المتواصل بين العنصر الاستعماري والعنصر الاهلي وفي ذلك ما لا يخفى من تحقيق وتنمية ثروة وعمران هذا القطر) ثم صافحه مصافحة قلبية وعاد الموكب للرتل فجد القطار في السير بين هتاف تلك الوفود وجوع ذلك العقد المنضود

ثم بعد هنيئة لما وصل الرتل لمحطة سيدي ابي علي وقف ليتزود الماء اللازم لما كتبه واذاك تقدم تحت انظار فخامة الرئيس والحضرة العلية جموع اهالي تلك الجهة ومن انظم لهم من الجهات السحيقة وكانوا في عدد عظيم فتلقى منهم المقامان الكريمات شعائر الطاعة والاخلاص وجاملهم فخامة الرئيس ببعض عبارات تناسب المقام اداها لهم بالعريضة مسيو لويطو المعمر المشهور ومما خاطبه به اولئك الجموع اعرابهم لفخامته عن استبشارهم وتفاؤلهم خيرا بزيارته المباركة المخضرة العقب المبشرة بسلامة المزروعات وخصب هذا العام الذي سقت غيوثها الارض بخيرات وفيرة فانشرح فخامته لذلك الرجا ودعا لهم بتحقيق الامال ثم تنازل فخامته فتكلم مباشرة مع شاب اهلي حيلة باللسان الفرنسي الفصيح وشكره عن ثمره تعلمه بالمدارس الفرنسية وحثه على ترغيب بني جنسه في الاقتداء بمثاله ثم اذن باستئناف السير فتحرك القطار قاصدا سوسة حيث ارسى على الساعة الحادية عشرة صباحا

ولما كان المطر غزيرا وسيوله مفعمة تعذر حينئذ اقامة موكب كبير كما قرر
 ببرنامج الزيارة ولذلك استقر الراي على تاخير الموكب العمومي لمجيء
 فخامة الرئيس بعد رجوعه من الجهات القبلية وزيارته للقيروان وحينئذ
 اكتمت فخامته بتلقي مراسم السلام والاحترام من الجنرال ديزورتي
 القائد العسكري بالساحل ثم من المراقب المدني ومن عامل سوسة وقد
 كانت المدينة اذاك بالرغم عن تهطل الامطار بدعة في الزينة والاحتفال
 اقيمت باحيائها اقواس النصر واخفقت على دورها ومعالمها الوية الفخر وكان
 اهلها من كل الملل والنحل وتلامذة مدارسها قد خرجوا من قبل للتشرف
 بمواجهة الجنابين الكريمين فعمروا الشوارع والبطاح ولم تصدهم تلك
 الامطار الغزيرة التي كادت ان تكون طوفانا عن ابداء اميالهم وتعلقهم
 وولائهم للرئيس المرغوب والملك المحبوب وفي تلك الاثناء استدعى
 فخامة الرئيس لعربته كلا من مسيو كالييني كاهية المجلس البلدي بسوسة
 ومسيو لوكور كرباتي مدير « الديش تونزيان » وكلاهما من اعضاء
 مجلس الشورى ومن اصحاب الافكار الراجحة والمساعي الناجحة فحظيا
 بالجلوس لديه وتجادب معهما اطراف الحديث في المسائل والامور
 التونسية

ولم يدم وقوف القطار بمحطة سوسة سوى جلسة خطيب ثم
 استأنف سيره مارا على شريط السكة الحديدية قاصدا قصر الجم وكان
 المطر في ازدياد والارض باسمه مخضرة والشجرة المباركة تسحر بجمالها
 العقول وكان فخامة الرئيس يدير دولاب الاحاديث في فنون الزراعة

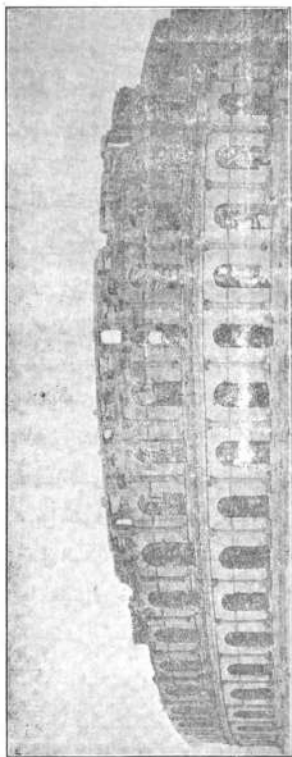
التي لها احاطة بها من قبل حيث كان باشرها في شبابه وبقي مولعا بها
ومحشا عليها واذاك وصل الموكب الرئيسي الملوكي لمحطة قصر الجم
ودخلها على الساعة الواحدة بعد الزوال

وهنا لا مندوحة لنا قبل التكلم على احاديث ذلك الموكب من التعريف
بهذا القصر الازلي الذي بقي خالدا حول العصور ولم يعبا بكر الدهور
فقصر الجم عبارة عن هيكل شكله يبضي طولها ثلاثمائة ذراع في
عرض مائتين بنال الرومان ايام شباب استعمارهم بافريقيا اي حوالي المائة
الثانية للميلاد على اثر بناء نيرون الجبار لهيكل رومة الباقية اطلاله لهدنا
هذا وكان تشييدهم للقصر المذكور بنية جعله مسرحا لمصارعة الثيران
وللاحتفالات والمشاهد العمومية في قلب مدينة زاهرة عفت رسومها بعد
كانت تعرف لهدهم باسم « نيسدروس » وكانت هي مناخ خلاعتهم
وتفسحهم يقدمون اليها من دواخل البلاد التي عمرها كدقة وسيطلة
وغيرها قال السيد البشير صفر في جغرافيته التاريخية كان الرومان « يجلبون
اليه العبيد الآبقين وغيرهم من ذوي الجرائم فيدخلونهم في ساحة المسرح
ويناولونهم اسلحة دفاعية ثم يطلقون في تلك الساحة بعض السباع الكاسرة
فتصارع اولئك المساكين ويصارعونها فان قتلوها خلي سبيلهم وان قتلوا
افترستهم السباع ونفذ فيهم القضاء »

اما مدينة « نيسدروس » المذكورة فلم يقع العثور عليها إلا في السنين
الاخيرة لذلك كانت قبل الكشف عليها اذهان علماء الآثار حائرة في فهم
السر الذي حمل الرومان على تشييد ذلك الصرح الفخيم بغلاة من الارض

لا عمارة بها لانهم لم يفعلوا شيئا سدى مثل الفراعنة الذين ابنتوا اهرام مصر
فكشف الغيب في السنين الاخيرة على اطلال باقية تحت الارض لمدينة
متلاوحتة الاطراف كانت موجودة حول قصر الجم يظهر من آثارها انها
كانت طافحة بالعمران لتوفر اسباب المدينة فيها اذ هم عثروا في ثنيات ذلك
الطلل البالي على حمامات وكنائس وبيع شان المدن المتمصرة في هاتيك
المصور

ويقول الاثريون ان قصر الجم وحيد في نوعه لا يعرف له مثيل غير
مرسح رومه المشار اليه على ان التلاشي الذي اصاب هذا اكثر من
الذي اصاب ذاك - واما المرسح الجميل الذي اقامه الرومان ايضا ولم
يزل قائم الدات الى الان بمدينة نيمه من اعمال فرنسا فهو ايضا على شكل
قريب منهما إلا انه دونهما في العظم والشموخ وقد زرت سنة ١٣٢٥
ووقفت على اطلاله موقف النظر والاعتبار إلا ان العناية به منذ زمن
بعيد جعلته مصانا عن عبث من لا يفهمون معنى لآثار الامم الخالية
والقرون الماضية وهم بقطرنا اكثر من الكثير لذلك قد عبث ايدي
الهمجية بقصر الجم ازمانا طويلا حتى تلاشى منه ما ليس بالقليل ودام
ذلك الى انتصاب ادارة الانطكخانة وهي من التأسيسات الاولى
التي زينت بها الحماية وجه هذه البلاد في جملة ما ادخلت عليها من
الاصلاحات فاستصدرت اواسط دولة المرحوم علي باي قرارا في حفظه
واعتباره اثرأ تاريخيا يجعل قدره عن التلاشي والاهمال



منظر قصر الجام

وقصر الجم كان في زمانه ياوي ستين الفا من المتفرجين وهو ذو ثلاث طبقات وعلوا شاهق يربو على الخمسين قدما ويظهر ان ارتفاعه قبل كان اكثر من ذلك قال التجاني في رحلته وارتفاع قصر الجم مائة ذراع ومنه كانت العرب ترصد النجوم وبها ظهر لهم نجم سهيل ولم يكن يظهر لهم بتونس ولا ما قاربها اه

هذا وللقصر المذكور شهرة مطبقة عند علماء الآثار باروبا اجمع ويجيئ الزوار من كل مكان سحيق

ونعرف لصاحبنا الاديب الشيخ محمد الحشايشي قصيدة يربو عدد اياتها على الثلاثمائة رثى بها قصر الجم بقي بمحفوظي مطالعها وهو قوله

للجم اطلال تلوح كأنجم لاكنها وجمت فلم تتكلم
يبدو به القصر الذي شرفاته شدت باذيال السها والمزم

وعلى توالي العصور نشأت حول اطلال القصر مداشر اسلامية صارت فيما بعد قرية ياهلها اليوم من البدو نحو الاثنتي عشرة مائة نسمة لكن جريا على ناموس النمو والارتقاء سيحصل لهذه القرية من التقدم في القريب العاجل بفضل السكة الحديدية ما سيكون لها به حديث وشان ويدخل به دورها الحاضر في خبر كان

ولما وصل الموكب الرئيسي لبلد الجم كان القصر محدقا بجموع المشايخ والعمد والعربان الوافدين من كل اعمال الساحل للسلام على فخامة الرئيس الآن السماء كانت اذاك تجود بمدرارها فحالت الغيوث المفعمة نون اجراء الملعب العربي العظيم الذي قدم بقصد المشاركة فيه هنالك اكثر من الف فارس بخيولهم المطهمة ولبوسهم البهيجة فاكتفى الجميع

التهاتف والدعاء للمقامين الكريمين ودخول الموكب ساحة الهيكل حيث نصب خيام كبير جدا كان القصد من وضعه وقاية الزائرين من حر الشمس فقد رآه الله ان يكون لهم ستر من البرد والمطر اقيمت داخله على نفقة الدولة التونسية مادبة عظيمة بالغة حد الغاية في التكليف والتنسيق والترصيع زادت بها يد مسيو موكري مهندس السكة الحديد جمالا لانه زجج حواجبا وعيونها بكل غال وثمين فكانت اية في الحسن والبهاء وكانت ألوان الاطعمة حسب البيان الاتي

مفتح متنوع

مرق سمك المهدية

فروخ دجاج على اسلوب التايهين

جلبانة على الاسلوب الفرنسي

شوا من اللحم الطري

سلاطة على اسلوب بتاوي

حلاويات مثلجة

جبين متنوع

فواكه

حلاويات ناضجة ومرطبات

واذا جلس حضرة الرئيس والحضرة العلية بصدارة المائدة وجلس ليمين فخامته جناب مسيو بامس وليسار المقام الملوكي جالس مسيو شومي وجلس بقية الوزراء والذوات بالمناصب المخصصة لكل منهم حسب الترتيب الذي وضعه لذلك مدير التشريفات فكان عدد المتجمعين حول الطعام نحو

المائتين والخمسين وفي الختام نهض الافكات مسيو غاليني كاهية المجلس البلدي بسوسة والعضو بمجلس الشورى والقي خطابا هداما لخصه

ترجم الخطيب اولاً عن متمناه الذي يحوم حول الجمع بين المدينتين الاخنتين سوسة وصفاقس اللتين كانتا تجمعهما روابط العمران في اقدم العصور كما يدل عليه وجود قصر الجهم فيما بين هذين البلدين التوأمين

ثم قال ان هذا الجمع اصبح اليوم متحققا بفضل قوة الذكاء الفرنسي الذي ربط المدينتين بالسكة الحديد فذلك ترى اليوم نواب صفاقس ونواب سوسة مجتمعين في صعيد واحد ولتفني حول فضامة رئيس الجمهورية الكريم الذي ختم بطابعه صك اتحاد المدينتين الزاهرتين

ثم اشار الى ما تطوي اطلال قصر الجهم من عبر الزمان الماضي وقال انه ولئن داست الاقدام آثار تلك العصور فان في موكب هذا اليوم المنعقد فوق تلك الاطلال الباقية ما ينطق باتحاد الاجناس المختلفة في ظل العلم الفرنسي

ثم ترجم الخطيب عن مراسم التهنائي الجديرة بمقام الرئيس الفخيم الذي استهل افق هذا القطر بمقدمه الحاككي نسيم الربيع ووقت الزهر وتخلص بعد ذلك للكلام على المنهج الندي سلكته الفرنسيون بتونس تلقاء العنصر الاهلي فقال انه يحوم حول تبادل المصلحة والاشترك في العمل والخدمة لما فيه الصالح العام مع مراعاة عوائد البلاد واخلاق اهاليها وبذلك يكون صنيع فرنسا نحو العنصر المذكور مرموقا بعين الاستحسان لانه جاء موافقا على خط مستقيم لنفس السياسة التي اتخذتها دولة الجمهورية للاستعمار في بلاد الاسلام

وبهذا يظهر انه لا محيد عن هذا المسلك لان نقضه يفتح باب الاخطار
والمساعي العقيمة ولان فرنسا ليس من قصدها استعمار البلاد بالفتوح
القهري ولكن بيث آلاء التمدن بين اهلها نعم ان المدافع الفرنسية اسمعت
في عدة مناسبات اصواتها الرهيبة ولكن حلم فرنسا اعقبها فمحي آثارها من
العقول وبسط عوضها اجيزة السلام والامان والحرية على انحاء البلاد

ثم تكلم الخطيب على الخلافات العارضة التي ربما نشأت بين
الفرنسيين وقال ان تلك الخلافات هي دليل واضح على حياة الامة وعلى
كل حال فانها عارية عن اي تأثير لان النتيجة كانت دائما حسنة على ان
جناب الوزير المقيم العام اوثق كفيل لحماية كل المصالح وغيرها
الدستورية هي الامان بعينه

ثم قصد الخطيب بالكلام سمو الحضرة العلية فاشار لانه كان حظي
بتبنيها نيابة عن مجلس الشوري يوم صعود سموها على كرسي الملك وها هو
اليوم يعقد عرض مراسم احترامه لدى مقامها العالي الذي مركزه قاوب
عموم التونسيين والذي هو محل الصداقة والاخلاص للدولة الحامية.

ثم وجه مسيو كاليني مراسم ثنائه واحترامه لجناب مسيو كروبي
وزير الخارجية بصفته قيما على القطر التونسي ولجناب وزير البحرية
مسيو دلكاسي وشكر غيرتهما وهمتهما العالية واخيرا حي الخطيب اعضاء
البرلمان الفرنسي

وختم كلامه بتقديم ابلغ عبارات التهاني واصدق شعائر الولاء
لفخامة الرئيس المعظم داعيا له بالبقاء وللجمهورية بدوام الغز والارتقاء

ثم تلاه المسيو تريلات رئيس مجلس ادارة شركة بون فالمة والقي خطابا اعرب فيه عن فرط الشرف الذي لحقه من القيام بمأمورية فتح سكة حديد صفاقس امام رئيس دولة الجمهورية وذكر بديانة خدمة السكك الحديدية بالقطر التونسي والمنح التي حصلت عليها شركة بون فالمة وما في هذا السكك من الفوائد التي يقتضيها العمران وبعد انتهاء خطابه قام مسيو تريلات رئيس شركة بون فالمة الحديدية ونطق بخطابه هذا محصله

قال انه لم يكن له في الحسبان ان ينال هذا انشرف الذي مكنه من قبول مهمة استغلال هذا الخط الحديدي الجديد من يد الدولة بعض ر فخامة رئيس الجمهورية

ثم قال وهذا الخط سيبقى له ذكر في تاريخ الترقيات الاقتصادية التي اعانت شركة بون فالمة على تحقيقها بهذا الديار اما ليست هي التي ساعدت بارتالها وقطاراتها الحديدية على تعبئة وحشد جنود جيش الاحتلال ايام نصب الحماية على المملكة في سنة ١٨٨١ وبسط اجنحة السعادة والامان على ديارها

ثم شكر للدولة عنايتها بالشركة المذكورة التي اصبحت تملك بيدها لمدة ٢٥ سنة قابلة اجازة الاستغلال والانتفاع في العمالة بخطوط حديدية طولها ١٦٥٠ ميلا واتنى في هذا المقام على همّة الوزير المقيم وعلى مجلس الشورى واعضاء الدولة التونسية

ثم صرح لفخامة الرئيس بوقوف شركته في مشروعها موقف الجد

لتنمية ثروة البلاد ووعده نيابة عن متوظفيها ومستخدميها باستعمال أقصى
 مجهودهم في خدمة الصالح العام
 وعند انتهاء مسيو تريالات من الخطابة قام فخامة رئيس الجمهورية
 ونطق بخطاب عظيم هذا نصه وفصه
 ايها السادة

ان حركة الذكاء الاستعماري الفرنسي قد تحققت بفضلها ظنون
 كثيرة بهذه الارض العتيقة وان من المعجبات اختيار هذا الهيكل العظيم
 الذي هو من بدايع مدينة العصور الخالية لاجراء احتفال هذا اليوم المتحف
 باردية المدينة الحديثة التي قد اغمرت بمحاسنها المؤثرة كل جهة مدت اليها
 رواقها

فلقد صور لنا الخطيب بذوقه السليم مثالا جامعا بين المناظر العالية
 والافكار الصائبة والاقوال البليغة مما سيقى خالدا بحافظتي مدة سفري
 كلها ولذلك اراني سعيد الحظ من جهة الاتحاد مع الخطيب مسيو قاليني
 في المنشا وفي الشعور ولاجله نفتخر جميعا بسلوكنا الذي جاء موافقا لقواعد
 الانقلاب العظيم الفرنسي ذلك الانقلاب الذي سرنا بفضل نوره في
 مسالك الحكمة والاحتياط والانسانية كما ستقر وتعترف لنا بذلك الازمان
 القابلة وان حفلة الجرم ستكون فاتحة عصر للرقى مؤيد بالسك الحديدية
 الجديدة التي نعان بافتتاحها للسير في هذا اليوم وهي سكة جديدة بان
 يبقى ذكرها محفوظا بافهام اهل هذا العصر لانها ربطت ربطا لا ينحل
 بعد بين جهتين من العمالة كانتا بالامس مفترقتين وهذا الامر وحده بما ينجر

عنه من تسهيل النقل على جموع المسافرين وعلى المتاجر فيه ثفاية لاستصغار
الأكلاف التي تحملتموها من جهة بناء هذه السكة

واني اهني نفسي بما وقتم له من جعل استخدام هذه السكة
واستغلالها في عهدة شركة بون فالمة التي ييدها ايضا سكك الحديد
بالقسم الشمالي وبالقسم الاوسط من العمالة فان كل الناس يعلمون ما لهذه
الشركة من الايادي البيضاء منذ عهد بعيد اما انا فاني اصرح بذلك مباشرة
لرئيسها المكرم الذي له من الغيرة الوطنية مقدار ما لديه من المنزلة
العالية ومع مالي من العلم بما يحف هذا المامورية من المصاعب فان
وجودها بيد رجل مثل جناب الرئيس الموما اليه ونخبة من الموظفين
كالذين في اعانتهم ومستخدمين مخلصين كمستخدمي الشركة المذكورة

التي شملتهم بعنايتها الحققة مما يحقق ان مصالحنا بعيدة عن عبث الايام
واني ارفع كاسي بيد مملوءة بعبير الازمان واخرى قابضة على الوثوق
بحسن المستقبل واشربها على سعادة السكة الحديدية الجديدة كما
اشربها على ذكر المدينتين الاختين سوسة وصفاقس وعلى ذكر شقيق
الفصاحة رئيس المجلس البلدي بسوسة الذي ما زال صدى خطابه النفيس
يتلذذ به سمعي وعلى ذكر رئيس شركة بون فالمة مسيو مارسيل تريبات
المتجمل اصالة بحسبه ومجدلا العزيز بين اهل العلم والجدير ذاتيا بودادنا
اجمع

ثم دارت على الحاضرين فناجين القهوة واخذ القوم يتآسسون فيما
بينهم بلطيف الحديث وكان في العزم ان فخامة الرئيس والحضرة العلية
يطوفان خلال اطلال الهيكل ويستعلمان خبره وامره في ايام شبابه من

مدير الانطـكـخانة إلا ان توالي الفيـوـث حال دون ذلك فاكـفـتـي المقامان بالاستفادة عنه بمجرد الحديث دون الوقوف على الآثار التي غفت رسومها واذاك استحضر فخامة الرئيس جناب مسيو تريـلـات السالف الذكر ووشـح صدره بوسام الفيسي من اللجيون دونور بين هتاف وتصفيق الاستحسان من الحاضرين ولما حانت ساءه الرحيل تبادل المقام الملوكي والمقام الرئيسي عبارات الوداد الوثيق وخاطب سموه فخامة الرئيس بما معناه اني اجدد هنا لفخامتكم واتم على اهبة الارتحال لأقصى جهات بلادي التي عمتها الخيرات الناتجة عن الحماية الفرنسية عبارات ودادي الوثيق ومزيد اخلاصي نحو الدولة الجمهورية وارجو من الله ان يصاحبكم بالسلامة في الضعن والاقامة

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات دلت على ما لدولته العظمى من العناية وعلى ما لفخامته من الوداد والاعزاز للمقام الملوكي ثم تصافحا مصافحة الكرام وركبا على الساعة الرابعة بالسكة الحديد فالحضرة العلية ارتقت لرتل خصوصى قام بسموها وجناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام وجناب وزراءها وحاشيتها قاصدا تونس على طريق سوسة وفخامة مسيو فليار ارتقى للرتل الرئيسي ومعه وزراءها وحاشيته وكاتب الدولة العام للامور الادارية قاصدا مدينة صفاقس وسار الرتلان بين مظاهر الاجلال متقدمان احدهما نحو الشمال والاخر نحو الجنوب واذاك كانت السبـاء تجود بمدراها فصـدعت تلك الالوف المتألفة من الفرسان والبوادي بالهتاف الكثير والدعاء الوفير لفخامة الرئيس ولسمو الامير

وفيما كان الرتل سائرا بين الجـم وسوسة قدم جناب وزير القلم

للحضرة العلية صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة فتشرف بلثم راحتها
الكريمة وبقي ملازماً لخدمة ركبها الى ان وصل القطار لسوسة واذاك
كانت محطة السكة الحديد لابسة ثوب الزينة ومحلاتها وبطاحها الرحبية
تتماوج بجموع الاعيان والاهالي للسلام على المقام الملوكي وكانوا يهتفون
بالدعاء من اعماق قلوبهم لسمو اميرهم المحبوب فتكرم جنابه العالي
بالنزول لموقف السكة حيث تشرف الجميع بلثم راحتها الكريمة وكان
في مقدمتهم شيوخ المجالس الشرعي والشيخ حامد زين العابدين نقيب
الاشراف قتل على مسامع سموه دعاء بليغا ناتى على عبارته هنا اتماما
للقائدة ونصه

اللهم يامن وسع كل شئ علمه . وشمل الداني والقاضى شرفه وحلمه .
وجعل السرور اجناسا وانواعا . ومتع بالتلذذ بموجباته ابصارا واسماعا .
نسالك ان تطيل بقاء مولانا وسيدنا محمد الناصر باشا ولي النعم والهبات .
وتديم افاضه عنايتك على ما لمقامه من سمو الدات . وتمتعنا باستمرار
سروره وهنالا . وتبلغه من استقامة رعيته ما يتمنالا . اللهم لك الحمد على
ما انعمت به علينا من الشرف بمشاهدة ذاته الملوكية . وسجائب بركات
مروره باوطاننا الساحلية . واختتم هذا العجالة بمسك ختام اعادة الدعاء
للحضرة العلية . بدوام الاقبال والسعادة السرمدية . وحفظ انجاله وال
بيتهم ووزرائهم . واتصال النجاح باصالة كمال آراءهم آمين

كما ان الشيخ خليفه القروي باش مفتي القى على اسماعه الملكية
قصيدة غراء هذا نصها

لك العز والاقبال يا طلعة البدر ومنا لك الاخلاص يا مالک القطر
 بمقدمك الاسنى ترادف بشرنا واخصب مرعانا بغيث من الدر
 بكم سوسة اضحت تميمس تفاخرا بلثم يمين الناصر الملك الوتر
 بكم سوسة فاقت على سوس مغرب واضحت بوجه الارض باسمه الثغر
 وجرت على العاياه ثوب فخارها بناصر دين الله في السهل والوعر
 مليك له ارمات (جاء مليا فاعظم به من حايط حوزة القطر
 لدعوتكم قواد الاساطيل خلفه تمر مرور السحب في سرعة السير
 علامتها (فليار) عمدة دولة ال فرنسيس اهل الحزم في مرتقى الدهر
 طوى الارض طي الرق في يمن حازم

على الصافات الدهم في لجج البحر
 فاكرم به ضيفا الى المالك الذي اليه ملوك الارض تخضع في الامر
 هو الملك القرم الهمام سيمدع مجلي ميادين الملوك مدى العمر
 عطابا في الافاق جلت عن العد فلا المزن يحكيها ولا المد في البحر
 فلا زال للعياض تاجا مرصعا وكهفا لمن يرجوه في العسر واليسر
 وبعد ان تلقى سمولا مراسم الطاعة والولاء من الخاصة والكافة تناول
 والوزراء ورجال الحاشية طعام العشاء ثم تفضل باسداء شكره العالي
 واعرب عن رضاه وعما داخله من التأثير الجميل لهاتيك الاحساسات
 الشريفة التي ترجم عنها اعيان سوسة ثم اذن بالرحيل فسار به الطائر الميمون
 قاصدا تونس وكان في اثناء هذا السير تلوح على مجياله الكريم مظاهر
 البشر والانشرائح ويتجاذب اغنية الحديث مع جناب الوزير مسيورا

الكاتب العام مظهرًا سرورًا وانبساطه لهذه الرحلة السعيدة التي طفق
فيها كاس البشر بغيوث الرحمة وسيولها المتدفقة مما توفرت به بركات ذلك
العام وفي حدود منتصف الليل وصل القطار لتونس فعاد المقام الملوكي
لسراية المرسى العامرة

أما قطار فخامة الرئيس فقد جد في السير نحو جهة صفاقس وكان
اسلوب سيره على شريط السكة الجديدة دالاً على قوة رسوخها واحكام
وضعها ودراية المهندسين الذين رسموا خرائطها وتعقبوا اشغالها ولما كان القطار
على مقربة من صفاقس حكمت الاقدار بانكفاف الغيث برهة زمانية
فوصلها الركب الرئيسي ودخلها على الساعة السادسة مساءً



الباب الرابع

في الكلام على جهة صفاقس وغابة زياتينها وثروتها

وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لمدينة صفاقس واحوازها

صفاقس وما ادراك ما هي . بلد الكد والجهد . بلد الخيرات والبركات .
 بلد الرجال اصحاب العزائم الثابتة . في العصر الحاضر وفي الازمان الفائتة .
 بلد الثروة الواضحة . والتجارة الراجعة . بلد الاسواق الناقطة . والزيت
 الدافقة . فجدير بكل تونسسي ان يفخر بها وبابنائها وان يحث ابنا جلدته
 على الاقتداء بمثالها والنسج على منوالها اذ هي المدينة الفاضلة وما عداها
 المفضول هتلا انجم وتلك شمس لا يعترىها افول

اصلها من المدن التي احدثها الرومان وكانت تعرف على عهدهم
 باسم « طبارورلا » واسمها الحاضر محرف عن لفظ « سيفاكس » وهو
 علم على امير بربري اشتهر بعداوته للرومان فلما سقطت دولة الرومان
 تلاشت صفاقس في جملة المدن والبقاع التي دمرها البرابرة حلفاء الهمجية
 واعدا العمران وعاد احياءها بعد الفتح الاسلامي شيئا فشيئا فكانت اولا
 عبارة عن محرس اي قصباء وبرج لسكنى الغزاة يرابطون فيه ويترصدون
 به اساطيل العدو كما سيأتي بيان ذلك في الباب التاسع عند الكلام على
 قصر الرباط بمدينة سوسة ثم بتوالي السنين نشأ حول ذلك البرج مداشر
 وقرى ضيئلة تكون من مجموعها فيما بعد مدينة واسعة الاطراف بنى لها
 الامير ابو ابراهيم احمد بن الاغلب سورا من الطوب في سنة ٢٤٥ على يد
 ابي الحسن علي بن سالم الجبنياني جد الشيخ ابي اسحق الجبنياني

صاحب المقام المشهور بصفاقس لعهدنا الحاضر وفي تاريخ الشيخ مقديش الصفاقسى ما يؤيد صدق هذه الرواية وزاد على ذلك قوله « ان ذلك السور جدد بناءه بالجص على عهد السلطان ابي فارس عبد العزيز من ال بنى حفص »

ومن هذا يفهم القاري ان الوصف الجميل الذي وصفها به ياقوت الحموى في معجم البلدان انما ينصرف للعصر الذى اشتد فيه ساعدها وطفح فيه عمرانها الا ترى انه يقول ما نقله عنه بحروفه « بها اسواق كثيرة ومساجد وجامع وسورها صخر واجر وفيها حمامات وفنادق وقرى كثيرة وقصور حجة ورباطات على البحر ومنابر يرقى اليها في مائة وستين درجة في محرس يقال له بطرية (لعل مركز التعمير المسمى مطرية الواقع اليوم على مقربة من صفاقس محرف عن لفظ بطرية المذكور) وهي في وسط غابة الزيتون ومن زيتها يمتار اكثر اهل المغرب وكان يحمل الى مصر وصقلية والروم ويكون فيها رخيصا جدا يتصددها التجار من الافاق بالاموال لايتباع الزيت وعمل اهلها القصارة (بكسر القاف) والكمارة (بكسر الكاف) مثل اهل الاسكندرية وينسب اليها ابو حفص عمر بن محمد بن ابراهيم البكري السفاقسى المتكلم لقيه السلفي وانشده وقال كان من اهل الادب ولدا بالكلام اس تام وبالطب انتقل الى مصر واقام بها الى ان توفى في شهر ربيع الاول سنة ٥٠٥ هـ وكان يعرف بالذهبي وكان مولعا بالرد على ابي حامد الغزالي ونقض كلامه اه والخلاصة ان صفاقس كانت في اواخر المائة الخامسة مدينة حضارة

زاهرة وسوقها بالادب نافقة يدلك عليه ان من علمائها في ذلك العصر من
 كان كفوا للرد على حجة الاسلام الغزالي وما ادراك ما الغزالي
 وهذا الرحالة ابن بطوطة زارها اواخر عام ٧٢٥ ووقف جوارها على
 قبر الامام ابي الحسن اللخمي المالكي صاحب كتاب التبصرة في الفقه
 وامتدحها واثنى عليها فمن ذلك ما نقله عن ابن جزي منسوباً لعلي بن
 حبيب التنوخي وفيه اشارة لطيفة لحركة المد والجزر ببحرها
 سقى الارض صفاقس ذات المصانع والمصلى
 محمى القصير الى الخليج فقصرها السامي الملى
 بلد يكاد يقول حين تزور اهلها وسهلا
 وكانه والبحر يحس سر تارة عنه ويملا
 صب يريد زياداً فاذا راي الرقباء ولى
 ومن شعراء صفاقس المجيدين ابن الضابط واسمه عثمان بن ابي بكر
 الصدي بعث له شعراء القيروان يسالونه ان يرسل اليهم ديوان شعرا
 فقال للرسول انه في مسوداته فقال هاته كما هو فزودا اياه وكتب
 له ارتجالا

خطبتهم بناتي فارسلتهن اليكم عواطل من كل زينة
 لتعلموا اني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنينه
 فلما وصل اليهم الديوان اجابوا
 اتتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينه
 فلما سفرن فضحنا الشموس وسرب الضبا واخجلن عينه
 ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه

افي بابل نحن ام في العراق وفوق البسيطة ام في سفينه
 فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه
 وابن الضابط هذا توفي بعاصمة الروم سنة ٤٤٤ حيث سيرا حاكم
 القبر وان لقضاء حاجة له عند امبراطور بيزنطة التي صارت مدينة الاسطانة
 منذ فتحها الاسلام سنة ٨٥٧ وتاريخ هذا الفتح « بلدة طيبة »
 ومن ادبائها المتأخرين ابي الحسن الغراب الذي طفحت دواوين الادب
 بجيد شعرا وكان لا يخلو نظمه من جناس فمن ذلك قوله متغزلا في شاب كان
 يقتطف حب الزيتون وفيه ذلك اشارة لمسجدين من المساجد التونسية
 اولهما له ريع واسع وثانيهما لا وقف عليه

جمعت هدى ضبي وقد كانت جامعا

لزيتونة من فوق اغصانها استوى

ايا جامع الزيتونة الفاتن الوري

تفضل بمعروف على جامع الهوا

واهل صفاقس كانوا ولم يزلوا اصحاب نغرة وشكيمة تابى انفسهم الضيم
 ويستملك قلوبهم العدل وهكذا كان امرهم في كل عصورهم ومن طباعهم
 انهم اذا عاهدوا وفوا لذلك لما ثارت ثائرتهم عن طيش عند نصب الحماية
 وشق بعضهم عصا الطاعة في وجه الحكومة بما حملها اذاك على رميهم من
 البحر بمدافع الجنرال غارنولت يوم ١٥ يولييه ١٨٨١ تسابق عقلاهم لرد
 الزائعين عن جادة الحق فندموا عما صدر منهم واعلنوا بالاخلاص والخضوع
 وطلبوا الامان من الدولة فامنتهم واعادت عليهم مكاسبهم وارزاقهم بل
 واسقطت عليهم جانبا مهما من العشرة ملايين التي ضربتها غريمة حرية

عليهم اثر ذلك الهيجان فانقلبوا للاقبال على شانهم ووجهوا مهجهم وافندتهم
للمساعدة على توفير الثروة العامة بناحتهم التي اصبحت بفضل كدهم
وجدهم عروس البلاد ففرسوا البساتين الزاهية بكروم العنب والتين والرمان
والبرتقان والنانج والليمون والورد والياسمين واستخرجوا من ارواح
زهورها العطورات الفائقة والروائح الذكية وانشاوا فيما وراها غيب
الزياتين الممتدة لبعده ستين ميلا عن صفاقس وشجرها اصبحت عدلا في درجة
الملايين بحيث ان جهتهم بعد نحو عشرين سنة من نصب الحماية صارت ذات
متاجر رابحة واسواق نافقة استكمل نصابها بفتح مرساها في سنة ١٨٩٧ ثم
بتأسيس سكة الحديد الجامعة بينها وبين قفصة والتلوي لنقل الفسفاط
واصداره على طريق صفاقس لجهات المعمورة

فلما قدم لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الخميس ٢٠ في
افريل ١٩١١ كانت مدينتها قد لبست من لبوس الزينة ثوبا قشيا واهاليا
واعيانا قد تاهبوا لتلقي الرئيس العظيم والضيف الكريم بما يناسب فخامته
من الاجلال ويشهد بتعلق واخلاص عموم الصفاقسيين للدولتين الحامية
والمحمية ولدى نزول فخامته لرصيف المحطة ادى له مراسم التهنئة والاحترام
جناب مسيو سلمون المراقب المدني يتبعه كاهيته وخليفته العمل لتعذر
حضور عاملها السيد العربي الجاولي الذي عاقه المرض عن المشاركة في
ذلك الاحتفال وكان وراء المراقب والخليفة جماهير الاعيان والمتوظفين
من كافة الطبقات وفي جملتهم الادارة البلدية والعلماء وقواد الجيوش
واذاك تقدم جنابه لبطحاء السكة الحديد حيث صفوف السبايس
وجوع المريدين ووفود الاهالي واستحضر نخبة من العسائر الذين كانوا

حاربوا بالمغرب الأقصى ووشح صدورهم بالميدالية المراكشية ثم رفع رتبة
 الماجور شائبوا كمدان الاي السبايس للصنف الثالث من وسام الشرف
 وبعد ان نظر لجموع المريدين وفودهم وشكر صنيعهم انتظم موكبها
 وسار خلال شوارع المدينة وكانت تتمايل طربا وسرورا وانهاجها مرصعة
 بالجيش من كافة الاسلحة وكان الناس في خليط عظيم فوق صعيد
 فالقت اختلاطهم انظار فخامته لدمتراج العنصر الصفاقسي بالعنصر
 الاروباوي مما حمله على الاعتقاد بكمال استعداد الاهالي هناك وكانت
 نوافذ البيوت ومشارف الدور غاصة بالمتفرجين وهتاف السرور تلهج به
 صدورهم فيردد صدا قرع الطنبور وعزف المزامير وقعقة السلاح وكان
 رجال الكنيسة وهم قوم يركضون في كل ميدان ويهون مع كل ريح
 يضربون نواقيس يبعثهم وديورهم بافراط غريب فكان مجموع ذلك يحايي
 منظرنا من مناظر مدينة بابل ايام تبليل الالسنه قبل مناجاة الكليم
 ودك الطور



البطحاء البلدية بصفاقس

وبعد ان طاف ركابه باحياء المدينة قصد دار المراقبة المدنية وهناك
انتظم في الحال موكب القبول فتقدم اولاً للسلام على فخامته نواب المعمرين
واذاك التى عميدهم مسيو شاتيل رئيس الحجرلة الزراعية التجارية خطاباً
قال فيه

يافخامة الرئيس

ان في زيارتكم ضمناً نفيساً ودليلاً على العناية العزيزة التي لكم
نحو الجالية الفرنسية الشبيطة المشهورة بالشجاعة وباتلاف عناصرها
المتحدين على تحقيق امنية وحيدة الا وهي احياء هذه الناحية وغرس
محبة فرنسا في قلوب اهلها - وان لنا الرجاء الوطيد بان هذه الزيارة يبقى
لها بمحفوظكم ذكر جميل يبعث فينا روح النشاط والحث على العمل
فاجابه فخامة الرئيس بخطاب نفيس هذه عبارته

اننى لا يروق لى ان اشكركم على هذه الاحسانات الوطنية التي
عرضتموها علينا باسم النزلاء الفرنسيين بصفاقس واني ابغكم عبارات
التحية والاعزاز بالنيابة عن ام الوطن واهنيكم عن اخلاصكم الذي جعلتم
به مدينة صفاقس عاصمة فرنساوية بكل معاني الكلمة اذ كلنا نخدم
لاعلاء العلم الفرنسي الخافق فوق رؤسنا - وهذا ولا شك انكم قد
فهمتم معنى حضور الاساطيل الثلاث التي وفدت للسلام علي بيملا بنزرت
واستدللت منه على عظمة شان فرنسا في نظر دول العالم اما انا فاني لمفتخر
بذلك نيابة عن بلادي وعنكم انفسكم لاننا حرك فينا شعار الغيرة والنخوة
الوطنية اذ ترجم على ما لفرنسا من الاعتبار في الدنيا واني لغني عن الاعراب
اليكم بما ذا سيقى خالداً بمحفوظي من زيارتي لصفاقس وكذلك عما

سيبقى منه بخلد وزراء الدولة الجمهورية القادمين معي لاستطلاع احوالكم
والكشف عن رغائبكم

ثم ان فخامة الرئيس تلقى زيارة خليفة العمل يعضدها شيوخ المجلس
الشرعي والخلفوات والمشايع والعمد والاعيان فالقى الخليفة المذكور على
مسامعه العبارات الاتية

ان قدوم فخامتكم لصفاقس قد سمح لنا بالاعراب عما يختلج بضمائرنا
من الاعتراف بالجميل للامة الفرنسية التي بسطت على مدينتنا الوية
التمدن والخيرات الوفيرة وهذا الاعتراف دين عن قرض اخذناه منها لذلك
لا نبرح عن الوفاء به باظهار تعلقنا البالغ حد النهاية بامتكم العظيمة - هذا
ونبتهل الى الله ان يضاعف انشراحكم في رحلتكم هذا وان يديم علينا
التفاتكم ويبقى ذكر صفاقس متعلقا بذهنكم بعد رجوعكم للديار الفرنسية
كما نسأله تعالى ان يديم حياتكم وحياة الدولة الجمهورية

واذاك قامت ضجة بلغت عنان السماء لان عموم الاهالي الحاضرين
نادوا بقولهم « ايعش فليار ولتعش الجمهورية »
وقد اجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

نهنيكم عن هذا المقاسد الحسنة بالنيابة عن الامة الفرنسية والدولة
الجمهورية ونصرح لكم بما هو متعلق في اذهانكم من كوننا لانرضى
إلادوام الالفة بين الفرنسيين والتونسيين لان فرنسا امة كريمة
وهمتها منصرفة لازالة العثرات التي يمكن ظهورها بينكم وبيننا - هذا
وقد قلتم لنا انكم تحبون فرنسا فانا اقول لكم ايضا ان فرنسا تحبكم اما
ما يخص عقائدكم وشعائركم الدينية فانه لا يخطر ببال احد العبث بها

لان مرادنا الوحيد هو القيام في هذه الارض بمشروع مسماة الحماية
والمسالمة وهو مشروع قدمنا لكم فيه عربون صداقتنا - من اجل ذلك
يكون اشتراككم في العمل معنا بضم مجهوداتكم لمجهوداتنا مصدر خير
يعم الجميع لانكم تمثلون عنصرا من العناصر الدائمة على تحقيق عمران
بلادنا وهو الامر الذي يمنحكم حق الاعتماد علينا ويحملنا على الاعتقاد بما
لكم مع رجال الاستعمار الفرنسي من التعاق بالمشروع العظيم المشترك
بينكما بانكم ستخدمون بقلب واحد في سبيل اعلاء شان وعظمة فرنسا
ولي الرجا بانه اذا جاءكم في مستقبل الايام الرئيس الذي سيخلفني
في الخطة تتولون معه الكلام مباشرة وتعربون له عما في ضمائركم بدون
واسطة ترجمان

فلقى اولئك الاعيان من الصفاقسيين خطاب فخامة الرئيس بمظاهر
الشكر والامتنان وانصرفوا وكلمهم السنة ناطقة بالدعاء

هذا وبعد ان تلقى الرئيس مراسم التهنئة من بقية الطوائف اقام
فخامته مادبة خصوصية دعا اليها رجال حاشيته وبعض الدوات وكان في
جملة هؤلاء ضابط زنجي من ضباط الاي السبايس سمح فخامة الرئيس
باستدائه لتلك المادبة وفقا للتقاليد المتبعة في مثل هذه الحال حيث
كان ذلك الضابط السنغالي هو الكمندان للعسة التي تولت الخدمة بدار
المراقبة في تلك الليلة

ولما كان فخامته في مجلس سمر بعد العشاء حضر بيطحاء المراقبة
وفد من الاهالي لا يقل عن اربعة اوف نفس وقدموا لفخامته هدية من
نتائج مصنوعاتهم المحلية وهي عبارة عن اربع زرابي بديعة النسيج

والصنع طول كل منها عشرة اذرع في عرض سبعة وبعض صناديق من
العطور فتكرم فخامته بقبول تلك الهدية وشكر سعيهم بعبارات
ضاغفت سرورهم فرطبوا السنتهم بالدعاء لفخامته وهتفوا بالثناء عليه
وفي تلك الليلة اقام المجلس البلدي بصفاقس مادبة فاخرة دعا اليها
الوزراء والكاتب العام للامور الادارية واكابر الدوات واهل الصحافة
وبعض الاعيان

وكان المتراس على هذه المادبة جناب مسيو بامس وزير الفلاحة
فخطب في اخر الطعام كما خطب جناب مسيو كوشي وجناب مسيو
بوشي وكلاهما من الوزراء السابقين ومن ملاكة الزيتون بصفاقس
ودامت الموانسة في هذه المادبة الى ساعة متاخرة من الليل

وفي هذه الليلة اي ليلة الجمعة ٢١ افريل ١٩١١ هدئت المطر
نوعا ما وانقشعت الاسحبة المتلبدة بين السماء والارض منذ الثلاثة الايام المتقدمة
إلا ان السماء جاد بمدرارلا من جديد في بكرة اليوم السدي اسفر عنه
صباح تلك الليلة فتوانى فخامة الرئيس في الخروج الى نحو الساعة الثامنة
صباحا واذاك انتظم موكبه لان المطر المتنازل من قبل عصفت فيه
الرياح فاذرت سحبها وقامت الغزاة مقام الضباب

فلما ادت العساكر مراسم التحية لفخامته تحرك ركابه قاصدا زيارة
غابة الزيتون الواقعة غربي صفاقس والممتدة بدواخل الارض لبعدين
ملا عن المدينة وهذه الغابة هي مناخ الاستعمار الفرنسي بالمملكة
التونسية وجل ملاكتها من اصحاب السطوة والثروة بفرنسا وتونس

وكان انشائها بطريق المغارة والمشاركة في المال والرقبة بين
 اولئك المعمرين والصفاقسيين فعلى هؤلاء اليد العاملة وعلى اولئك
 الامدادات المتواصلة وتعرف ارضها في القديم بارض السيليين تولت الدولة
 اقطاعها او ايل دولة المرحوم علي باي واحيا تربتها الخصبة الصالحة جد الغراسة
 الشجرة المباركة وقد تقدم لك فيما نقانا عن معجم البلدان من
 ان صفاقس كانت سوق زيت نافقة في المائة الخامسة فما بالك وهي اليوم
 في القرن الرابع عشر للهجرة وان شئت قلت في القرن العشرين للميلاد
 قرن المواهب العلمية والمقاصد العملية التي حركت الجوارح المنشأة في
 البحر كالاعلام ومزقت احشاء الفضاء بالسيارات الجوية وما يدريك ما ذا
 سيكون بعدها من الكرامات البشرية في مستقبل الايام

فلما خرج الراكب الرئيسي للكشف عن غابة صفاقس كان محل
 وجهته النقطة الهندسية الواقعة فوق الربوة المسماة اطوال الشريدي على
 نحو عشرين ميلا من المدينة والمشرقة على الغابة لد البصر وكانت حوالي
 النقطة مساكن نجم من العرب الرحالة في عد ستين بينا ياهلها اكثر من
 خمسمائة رجل جاءوا بنسائهم وذرائعهم ورواحلهم من جهة ترياقيم حيث
 مواطن فريق اولاد بن جروي بقصد حراثة الزيتون فكان منظر خيامهم
 في حال اختلاطهم بابالهم وخيولهم واحمرتهم وانعامهم ونسائهم وولدانهم
 منظر الاستغراب والاعتبار من الزائرين ومما زاد هولاء رغبة في استقراء
 احوالهم اصداغ النساء بالولولة عند دخول فضاة الرئيس وسط النجع وقد
 استفهم فضاوته معنى تلك الولولة واجيب بانها كناية في عرفهن على الفرح

والسرور ثم دخل فخامته بيت شيخ النجع وكانت مفرشة بالزرابي من نوع المرقوم وتامل طويلا من نسيج بدوية كانت بصدد العمل ثم من حركة اخرى كانت تصنع كسكسون وثالثة كانت تهباً شواء على مقربة من الخيام وبعدئذ ارتقى فخامته الربوة للاشراف على الغابة فنهض من ورائها جم غفير من الناس يناهز عددهم الالفى رجل يصحبهم نحو خم مائة من الفرسان الراكبين ظهور الصافنات الجياد وحينئذ اجرى اولئك العربان ملعبا بهيجا حمل فيه الفرسان حملة الشجعان واطلقوا فيه من البارود ما اسود له وجه الافق وكان ختام الملعب بحضور الجمل الحامل « للجحفة » المحجوبة بوسطها العروس (الخيالية في واقعة الحال) فتلاحم المتزاحمون على نيل شبابها وانتهى الامر بتغلب القوي على الضعيف فاخطفها وطار بها مع الطائرين

وبعد ان استفاد فخامة الرئيس من التقارير المستفيضة التي قام بها لديه كل من الوزيرين السابقين مسيو كوشري ومسيو بوشي وسرح طرف الطرف خلال تلك العروس الباسقة والثروة الخافقة شرب فخامته نخب جمعية الاستعمار بصفاقس بعد ان القى على مسامعه مسيو جان بوشي الخطاب الوجيز الاتي

يا سيدي الرئيس

في اعماق هذه الارض التي اختلط اديمها بطينة البشر والتي كانت مهدا للمدنيات التي عفت رسومها قد غرس معمرو صفاقس اسم فرنسا وسمعتها بصورة تدوم الى ما شاء الله وختموا على ذلك بمرور شجرة الزيتون التي هي شجرة الخلد

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات التهنية وزاد قائلا « ان فرنسا لا تروم الفتح بالسيف بل مرغوبها امتلاك القلوب بالحسنى وفتح الارض بالقواعد التي مستندها العلم والعلم حليف الترقى والترقى اليك المعمرين والمعمرون انما يعملون لاعلاء شان فرنسا وتخليد ذكرها في بطون التواريخ »

ثم قال « وقد اخذنا كلنا حظنا من هذا المناظر البديعة حتى اولئك الفرسان الذين ما احقهم من شبه بخطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها قد شاركوا في مظاهر الفرح بنخوتهم العربية وحملتهم على هذا الجبل حملة الشجعان »

هذا وقد تضمنت عبارة خطاب مسيو بوشي فكرا تضمنه بيت من الشعر لأبي العلاء المعري بما دل على توارد الخواطر بعد الف عام بين الضرير الناشي بين جدران معرة النعمان وبين الفرنساوي النابت على ضفاف نهر السين يباريس قال المعري

خفف الوطء ما اظن اديم الا رض الا من هذا الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهد هوان الالباء والاجداد

ثم انعم فخامة الرئيس على سي علي بن القروي خليفة تربية واولاد ابن جوري بوسام اللياقة الزراعي وعاد في موكب المهيب لصفاقس حيث تقدمه وصول تلغراف من الحضرة العلية في تجديد عهد المودة والسؤال عن احواله اثناء رحلته واذك توجه لزيارة مرسى المدينة والكشف عن حركة تجارتها النافقة فابتدا بزيارة معرض النشاف الذي احكم ترتيبه

قبطان المرسى ميسو كبرياتا وبالتامل من المعروضات والإيضاحات التي
 القاها على فخامته ميسو لنبيس وكيل المعرض اعجب فخامته من الحكمة
 البالغة المحيطة بخلق النشاف ثم تأمل من مجموعة نشاف من اشكال واجرام
 شتى وزار محلات التحليل الكيماوي للنتائج البحرية وتنقل لمركب
 شراعي يوناني خاص بصيد النشاف وشبهه فنزل بمحضرة اربعة من
 الغواصين لاعماق البحر واستخرجوا ما وصلت اليه ايديهم من النشاف
 الحي المتحرك فقدم له حينئذ شاب ارناووطي من الصيادين نشافة ضخمة
 ومجموعة نشاف مستكملة على وجه الهدية تذكارا لزيارته المركب ثم عاد
 للبر واستكشف احوال تربية النشاف وتضخيمه بالطريقة العلمية وبعد ان
 القيت على مسامعه تقارير ضافية واحصائيات غريبة تتعلق بحركة الاتجار
 في النشاف المقتنص من مياه العمالة التونسية تنقل فخامته لزيارة الرصيف الخاص
 بوسق الفسفاط الذي تصدره مناجم المتلوي بعمل قصصه وهناك شاهد امورا
 مدهشة من ذلك العربات النقالة للفسفاط التي تحمل الواحدة منها ما يناهز
 الثلاثمائة طنلاطة في الساعة وهي عربات تتلقى موسوقها بواسطة دواليب
 تديرها الكهربائية فينبعث اليها الفسفاط من مخازنه ومنها يتحول بنفس
 تلك الطريقة الى البواخر المكلفة بنقله لانحاء المعمورة وبعد ان افاض
 مدير شركة الفسفاط القول في ذلك وايد تقاريراته بالشواهد والارقام
 المدهشة الناطقة بان مناجم الفسفاط بالجريد هي عبارة عن كنز لا يفنى
 وثروة لا تبلى اظهر فخامته انشراحه لوفرة تلك الخيرات التي اكتسبتها
 العمالة بفضل رجل من خيرة الفرنسيين وهو الفقيد فليب طوماس المتوفى

عام ١٣٢٨ الفارط - اما الفسفاط فسياتي الكلام على ماهيته ومادته في محله من هذا الرحلة

وعلى الساعة العاشرة من صبيحة ذلك اليوم عاد فخامته للمدينة وتوجه لزيارة المكاتب فزار المدارس العليا للذكور والانات مصحوبا بجناح مسيو شارلتي مدير العلوم والمعارف ومنح كافة التلاميذ راحة ثلاثة ايام فسادوا جميعا « ليعش فليار » ومن هذا الزيارة توجه للمجلس البلدي حيث استقبله كاهيته مسيو جيرار وكافة الاعضاء البلديين وهنالك انعقد موكب القبول فدخل على فخامته وفد النزلاء الفرنسيين فكمندان قلعة صفاقس فاركان حربى فعمد الاهالي واعيانهم فنواب الجالية الطليانية فنواب الجالية المالطية فنواب الطائفة الاسرائيلية

وبعد ان تلقى من جميعهم مراسم السلام والاحترام نطق بين يديه كاهية المجلس البلدي المذكور بالخطاب الاتي
يا سيدي رئيس الجمهورية

انني بالنيابة عن سكان مدينة صفاقس التمس من فخامتكم قبول مراسم التوقير والتكريم وشعائر التعلق بالدولة الجمهورية واتشرف بتهنئتكم بالقدوم المبارك

هذا وان ذكرى زيارتكم هذا يا فخامة الرئيس ستبقى منقوشة على صفحات قلوب سائر الصفاقسيين لانها تقدمت بهم شوطا زائدا في سبيل المدنية وفتحت في وجوههم دور عصر جديد في مسالك الرقي بافتتاح السكة الحديدية الجديدة التي ستربط سوسة بصفاقس والتي سيتم بها ذلك المشروع الذي قامت به الحماية الفرنسية في هذا الجهة

ان صفاقس كانت ثلاثين سنة فارطة عبارة عن مرفأ كاد ان يكون
مجهولا لا يتجاوز سكانه العشرين الفا اما اليوم بففضل فرانسا وبهمة اولئك
الرجال العظماء اي الوزراء المقيمين ومديري الادارات الدولية على
اختلافها قد اصبحت تعد تسعين الفا من السكان

ففي مدة قصيرة جدا من الزمن منحت صفاقس مجموع طرقاتها
الاستعمارية كما منحت سكتين حديديتين احدهما لخدمة المعادن وهي
سكة يحق للشركة التي بنتها على نفقتها الافتخار بها والاخرى جمعها
بعاصمة البلاد يعني وقع بها تدانينا من ام الوطن وعما قريب سيتم بها
جلب المياه الصالحة للشرب فنتمو بذلك ثروة جهاتها الجميلة

وهذه غابة الزياتين البهيجة التي شرفتمونا يا سيدي الرئيس بزيارتها
هي نمرلة الكد المتواصل الذي استعمله جماعة من المعمرين الفرنسيين
بمشاركة الاهالي والذي استعمله الاهالي ايضا بانفسهم لانفسهم وهو كد
حصل تحت العام الثالث وعنوان على المدينة والمواخاة ودليل على الوفاق
الوطيديين العنصرين لان سكان صفاقس المتكونين من اجناس شتى
يعيشون على بساط التحاب البالغ حدا حيث كان مبداهم « العمل »
لذلك يكونون سعداء الحظ باغتنام هذه الفرصة لشكر جناب الوزير
المقيم العام عن كل ما جاد به على مدينتنا ونواحيها من المشروعات
الاقتصادية التي سيتحقق بها اتساع نطاقها وللافصاح لدى فخامة راس
الدولة الجمهورية الذي هو الروح المتجسدة من فرنسا حاميتنا عن
كامل اعترافهم بالجميل وعما لهم نحو فرنسا من التعلق والاحترام

وقد اجاب فخامة الرئيس معربا عن ارتياحه للعبارات التي القاها
 كاهية المجلس البلدي و اضاف لذلك قوله انه عند ما يزور مدينة يتحتم
 عليه التوجه لمجلسها البلدي لرد السلام على نوابها وللدعاء لهم بالنجاح ثم
 قال ما لفظه « واني اغتنم هذه الفرصة لاثني على سكان صفاقس جميعا عما
 قاموا به نحوي البارحة واليوم من الحفاوة والاكرام »

ثم ان مسيو فليار اقترح على مسيو جيرار ان ينهي تشكراته
 لمساكنيه ولمح في كلامه لفقرة من خطاب مسيو جيرار فقال انه ولئن
 كان الفضل في ان جل الترقيات التي احرزت عليها العمالة عائدا على
 المقيمين العامين الذين تناوبوا الامر بالايالة فان الفضل في تلك الترقيات
 ايضا راجع الى السكان اصحاب النشاط والبسالة والى ابناء العنصر المكند
 في العمل ثم الى مجهوداتهم التي يحق ان ننسب اليها تعاضم وعمرات
 العمالة التونسية - ثم علق مسيو فليار كلاما على تلك الترقيات فقال « عند
 رجوعي لفرنسا ساقول ان امتنا امة استعمارية بكل معاني الكلمة وفي
 محفوظي كثيرا ما سمعت منذ كنت صبيا ان فرنسا ليست بدولة استعمار
 فبرهنت لي زيارتي اليكم هذه المرة وزياراتي قبلها للجزائر بصفة عضو
 بدار الندوة على ان في طوعنا ادراك درجة الامم التي غلبت عليها شهرة
 الحذق والمهارة في الاستعمار »

« وان الفرنسيين ليس لهم في هذا القطر ان يشتغلوا بسياسة
 غير التي يبرهن بها للعنصر الاهلي عن كوننا لم نجني* تون للفرز ولكن
 جيناها لتوطيد عرى الراحة والسلام »

ثم قال فخامته « في ساعة الافتراق يقول المتوجهون لبعضهم واث
 شاء الله تتقابل بعد ايضا ولذلك فالبرغم عن كبر سني ارجوان اعود في
 احد الايام لزيارة القطر التونسي عندما تسمح لي الظروف بذلك »
 وفي الختام صافح فخامة الرئيس مسيو جيران وبارح قاعة الاستقبال
 بين نغمات النشيد الوطني الفرنسي بلسان مويستقى جمعية الالمان
 الصفاقسية وبين هتاف الحاضرين وعبارات الدعاء له وللجمهورية
 بطول العمر

ثم لما انتهى موكب القبول بالمجلس البلدي عاد فخامة الرئيس وحاشيته
 لدار المراقبة حيث اقام مادبة خصوصية انيقة لوزرائه ورجال معيته والوزير
 المقيم والكاتب العام والمديرين الذين بصحبته من اعضاء الدولة التونسية
 والمراقب المدني وبعض الدوات وبعد ان استراح قليلا تصدق على جمعيات
 الفقراء والبائسين بالف فرنك واذن بالتأهب للرحيل فانتظم موكب ركابه
 باصطفاف نحو الثلاثين سيارة سريعة امام باب المراقبة وركب فخامته لمضى
 ساعة ونصف من الزوال وتحرك الركب على نغمات الموسيقى العسكرية
 وبين اسمطة الجنود قاصدا قابس سائرا تحت الغمام وكان ذلك الوابل باعنا على
 سرور اهالى تلك الجهة التي اعتادت على الطل في مثل تلك الاوقات من الربيع
 فتفال اهلها خيرا من مرور الرئيس بديارهم وتوسموا فيه « البركة والصالح »
 ونعته بعضهم اذاك (بالرئيس الم رابط) قالوا ان المطر الذي جادت به السماء
 في تلك الآونة يناهز المياه التي نزلت مدا الثلاثة الاعوام الاخيرة جميعا

قلت فاذا صحت هذه الاحصائية كان على الصنف - اقسين ان يحمدوا
الله الذي انتقدهم من الفرق - فلما مر الركب بالمطرية الواقعة على عشرة
اميال من صفاقس خرج اهلها وتجمعوا تحت النخيل واستظفروا بشعائر
احترامهم واخلصهم لعظيم الامة الحامية

هذا وكان البعد الفاصل بين صفاقس وقابس يبلغ لمائة واربعين ميلا
كلها من الاراضى المدحولة بعضها صالح لغراسة الزيتون واغلبها ارض رملية
مغمورة بالعوسج والذرو والنباتات الوحشية خلاها اكثر من عمراتها
بلوح عليها الفقر من بعد عدا الجمير بها فانها كثيرة جدا



الباب الخامس

في الكلام على قابس وواحات النخيل وبر الاعراض

ونفزاوة والجهات الصحراوية

قابس بلاد الصحابة والتابعين من اقدم بلاد الاسلام طفحت بذكرها
كتب التاريخ كان اسمها على عهد الرومان « تاكاب » فهي من
مستعمراتهم الافريقية وكانت لهم بدرجة راقية من المدنية
فلما فتحها الاسلام في خلافة سيدنا عثمان بن عفان كان البرابرة قد
دمروها تدميرا إلا ان العرب الفاتحين ومن انضم اليهم وجاء بعدهم احيوا
ريمها فكانت في ايام عيد الله البكري المؤرخ (مدينة جليلة مسورة
ذات حصن حصين وارباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة قد احاط
بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيئا)
وجاء في معجم البلدان ان (فيها جميع الثمار والموز فيها كثير وهي
تمير القيروان باصناف الفواكه وفيها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة
الواحدة منها من الحرير ما يقوم من خمس شجرات غيرها وحريرها اجود
الحرير وارق ، واتصال بساكنين ثمارها مقدار اربعة اميال)

والى قابس ينسب جماعة من مشيخة العلم اشتهروا في المشرق والمغرب
وممن اثنى عليها واطنّب في الكلام الشيخ ابن الشباط قال ناقلا
عن والده

لقد كنت من قبل التفرق مذهبي سوى ما عليه الاشعريون اطبقوا
 فاني المسمى غير الاسم فما انا اقول سوا حين جد التفرق
 الم تراني كلما قلت قابس نما قابس من جانب القلب يحرق
 وان قلت ان الشمل منها ممزق فان فؤادي عند ذلك يمزق
 وبقابس دفن جماعة من الصحابة والتابعين منهم سيدنا ابو لبابة
 الانصاري واسمه بشر بن عبد المنذر مات رضي الله عنه في خلافة سيدنا علي
 ابن ابي طالب واليك منظر من مشهده



ضريح سيدنا ابي لبابة الانصاري دفن قابس

وصفها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق فقال « وقابس مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها جنات ملتفة وحدائق مصطفة وفواكه عامة رخيصة وبها من التمر والزرع والضياع ما ليس بغيرها من البلاد وفيها زيتون وزيت وغلات وعليها سور منيع يحيط به من خارجه خندقه ولها اسواق وعمارات وتجارات وبضاعات وبها مدابغ للجلود وبها ايضا نخل ملتف به من الرطب الذي لا يعدله شئ في نهاية الطيب وذلك ان اهل قابس يجنونها طرية ثم يودعونها في دنانير فاذا كان بعد مدة من ذلك خرجت لها عسالية وليس في جميع البلاد المشهورة بالتمر شئ من التمر يشبهه ولا يحاكيه ولا يطابقه في علو كته وطيب مذاقه »

هذا وقد لهجت التواريخ التونسية بذكر قابس في مواطن كثيرة على عهد الدولة الحفصية ثم على عهد الدولة المرادية ودولة الدايات لما انها ام الجهة الواقعة على ابواب طرابلس لذلك كانت الانظار منها بالمرصاد سيما عند ظهور شوكة الدولة العثمانية بطرابلس ولم يكن سفر احمد باشا باي اليها في سنة ١٢٥٦ لغير مقصد ارضاخها للسلطة المحلية وآخر عهد لها بالحوادث الهامة المتقدمة على الاحتلال الفرنسي ثورة غومة المحمودي في سنة ١٢٧٣ وكان غومة هذا من شعبة بيت القرملي ملوك طرابلس وقد قاومه الامير محمد باي بكل عنف وقوة حتى اجلاها عن المملكة وكفا الاعراض شرا

اما اليوم فقابس عبارة عن مدينة ياهلها نحو الاثني عشر الف نسمة وهي مركبة من ثلاثة بلدان قابس البحر والمنزل وجارلا وعلى مجموعها يطلق اسم قابس وهي مركز عمل الاعراض الذي لا يتولاها في نظام الدولة التونسية إلا احد كبار العمال وقد اعتراها من الفشل في القرون الاخيرة ما اعترى

بقية البلاد التونسية الا انها قد انتهت لنحو عشرين عاما من سنة دعيتها
وشمرت عن ساعد الجدل لتدارك ما فات فزاحت جارتها عاصمة طرابلس
الغرب واصبحت على وشك التمكن من ان تحول لمساها رأس الخط
مسير القوافل والتجارة المتباداة مع الاقطار الشاسعة بالصحراء الكبرى وما
والاها من البلاد السودانية

فلما وفد لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الجمعة ٢١ من
افريل ١٩١١ وكان ركبته على مقربة منها تسابق اهاليها لاستقبال جنابه ولم
يصددهم اذاك نزول المطر الغزير عن تظاهرههم لديمه في جموع عديدة
وكانت قابس في تلك الالونة لابسة حلة الافراح والاعلام خافقة فوق دورها
ومبانيها وكانت منافذ السيوت واعالي الطيقان غاصة بالمتفرجين الهاتفين
بالدعاء لفخامته وارصفة الازقة والطرقات تتماوج بالخلايق من كل الملل
والنحل حتى النساء فانهن كن يولولن حدو جموع المردين والذاكرين
الخافقة فوق رؤسهم سناجق السادة والصالح

وكان الجيش قد اخذ مصافه لرد السلام على الرئيس الفخيم اما
جنابه فكان على غاية من النشاط لم يحصل له تعب قط بالطريق لذلك
اذن في الحال بانتظام موكب القبول

فابتدا فخامته اولا بقبول مراسم الولاء والاخلاص من جناب الكمندان
بوان رئيس الاي التريس الخامس ومن الضباط واستعرض الجيش ثم قلد
وسام الشرف للقبطان مورزاي وخاطب رئيس الاي بقوله

« اتي كنت ولا ازال احب الجيش لانه هو الممثل لمجد الامة في
الماضي والحاضر لذلك كان الجيش محل عناية الدولة في كل الاعصار

واني لسعيد الحظ بالسلام عليكم لانكم على مقربة من الحدود واشفع
هذه التحية بالاعراب عن تقتي وثقة وزرائي بكم »

ثم تلقى فخامته بعد مراسم الاحترام والتهنئة من نواب قنصلات
إيطاليا وانكلتيرة والبلجيك فصرح فخامته لاوليهم بما داخله من السرور
لشواهد الوداد التي قام بها مآكاهما اذ ارسلوا اسطوليهمما للسلام عليه
بميلا بنزرت

ثم ان فخامته تلقى زيارة النزلاء الفرنسيين واذاك قدمت له احدى
البنات من غصون الجنس اللطيف باقة من الزهور شفعتها بايات من الشعر
الفرنساوي وها انا ذا موديا هنا بمعانيها اللطيفة واشاراتها الظرفية في نظم
عربي مبين

نقومنا صغيرة عشيقها فرنسة
رضاع امهاتها مع لبن محبة
قلوبنا خافقة فرحها زيارة
ورحلة حافلة تحفها جلالة



في اعين كبيرة ذات الرئيس امة
بوطن مقدس شعاره حرية
ممجد الكليلكم في نظري واية
رموزها فخارنا وراية منصوره



هدية اليك ذي من الزهور باقة

تأخذها من يدنا كما اب وجدآ
 قلبنا داع لكم وهو لمعري حجة
 دليها قولي هنا تحي لكم فخامة

فشكر فخامة الرئيس والد البنت الشاعرة ثم قصد بالخطاب مجموع

المعمرين وقال

« لنا العلم بما تعملون بهذا الارض وبما لكم من اثبات وصحة العزيمة
 لذلك نتلقى شعائر احساساتكم بجوارح قلوبنا الخافقة حول اتحادكم مع
 الاعتقاد بان تعلقكم بفرنسا يزداد متانة بقدر ابتعادكم عنها - اما انا فاحتكم
 على اعانتنا لانتشال اذهان الامة التي تعيشون بين اظهرها »

فأثر كلامه في الحاضرين تأثيرا غريبا حتى انه تقدم نحوه من اخريات
 القوم شيخ هرم كلمه باللسان الدارج الفصكوني الذي هو لغة مسقط
 رأس فخامة الرئيس قائلا له « اسمح لي بمصافحتك لاني لا امل لي في
 رايتك بعد حيث كنت أسن فرنساوي اقلته ارض قابس » فضحك
 الرئيس واجابه بلسانه قائلا « انا ايضا مسن مثلك ويعجبني ان اصافحك
 واحييك تحية قلبية » ثم صافحه مصافحة كريمة ودعا له بطول العمر فأأس
 منه الشيخ الفصكوني لطفًا وشكرًا وقدم له احفادًا للسلام عليه

ثم تقدم للسلام عليه المعلمون والمعلمات فافاض القول في اطرائهم
 واوصاهم بالناشئة خيرا

وتلقى على اثر انصرافهم مراسم الاحترام من المتوظفين والمستخدمين
 بالادارات العمومية فخاطبهم بقوله

« ان لكم نصيبا وافرا في فتح هذه الارض بالطريقة السلمية وسيبقى ذلك محفوظا بخلدني فلا انسى بعد تونس وقابس بالرغم عن هذا المطر المتنازل بل لاجل هذا المطر الذي هو نعمة ورحمة - لاشك ان قطراته مستحول ذهبا لتعمير كثير من الجيوب الفارغة »

ثم تقدم لفخامته جناب السيد محمد بن خليفة عامل الاعراض يعضده المجلس الشرعي والمجلس الافاقي ونائب الاعراض بمجلس الشورى وخلفاوات العمل وشيوخه وعمد القبائل والعروش واخوان الطرق ومشايخ الذكر وبعد ان قدم له العامل مراسم التهنئة والاحترام بلسان الجميع اجابه فخامته بالمبارات الآتية

« ان سياسة الحماية جلية لا غبار عليها وهي الامان بعينه اذ لا احد يجهل انه ليس من مرادنا العبث بشعائركم واخلاقكم لان سلطان العقيدة لا يهتك حرمة نعم ان المجال فيما عدا ذلك فسيح اذ في الامكان ملاقات كل الناس على بساط الخيرية والعدالة لذلك نرى حقا عليكم انتهاج سلك التوفيق بين العنصرين الاسلامي والاروباوي »

ثم ان فخامة الرئيس ختم الموكب بقبول مراسم التهنئة والاحترام من الطائفة الاسرائيلية فخاطب حبرها بعبارات جاء فيها قوله
« ان فرنسا لا تميز بين اصحاب المعتقدات المختلفة لان مرادنا ان شمل كل المستظلين بحمايتنا بالعدل والاحسان »

ولما ادى المترجم عبارة هذه الجملة بالعربية اليهم نطقوا بلسان واحد داعين لفخامته فتفضل بمصافحتهم واذاك تناولوا يدا بكل احترام وقبلوها
تقبلا

هذا وبعد انتهاء موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادبة انيقة دعا
 للعشاء بها ثلاثين من الاعيان منهم العامل السيد محمد بن خليفة والسيد
 الحبيب بن رجب العضو بمجلس الشورى واحسن لاولهما بوسام اللياقة
 الزراعي من الدرجة الثالثة



جناب السيد محمد بن خليفة تامل الاعراض
 ثم قضى فخامته ليلة السبت بدار المراقبة وفي صبيحته تاهب ركابه
 للرحيل بقصد زيارة الجهات القاسية من العمالة وجعل وجهته قصر مدين

فتحرك ركابه مصحوبا بوزرائه وحاشيته في نحو الساعة الثامنة صباحا
وطاف باحياء قابس حيث زار معرض الزراعة والفواكه، واعجب بنوع من
الفراولة انفس مما هو موجود بغيرها كما تأمل بدقة من انواع حبوب
الحنطة والشعير مظهرها اعتناء لا وتمعنه للافادات التي كان يلقيها في هذا
المقام جناب مدير الفلاحة ومدير المعرض ثم خرج موكبه قاصدا واحدة
قابس لمشاهدة النخل الباسقات فاعجب بالتفافها وبما تكنه عراشها من
التمر الشهي صنع الله الذي اتقن كل شئ *



واحة النخل بقابس

وبعدئذ سار الموكب مجنبا مشرقا قاصدا قصر مدين حيث مناخ
الادارة العسكرية المهيمنة على الجهات القبلية والقباضة على ازمة الحدود
الطرابلسية واخلاف تونس الصحراوية

وجهة قصر مدين كانت في غابر الازمان من المستعمرات الزاهرة التي
انشاها الفينيقيون بنحو الف عام قبل الهجرة ومنهم اخذها الرومان حوالي
القرن الثاني بعد المسيح وشيدوا بها البناءات الشامخة الباقية اطلالها ليومنا
هذا وجلبوا لها الميلا في قنوات من الصخر من الوادي المعروف بواد الحلوف



قصر الحلوف على مقربة من قصر مدين

فكانت في زمنهم من المستعمرات الافريقية الطافحة بالعمراف
وكان مرساها التجاري ببجيرة بوغرادا جنوبي جربة
ولما فتح المسلمون افريقية كانت مدين على ممر الغزات وبالطبع انهم
فتحوها في جملة ما فتحوا اثناء حملتهم الاولى بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي
سرح سنة ٢٩ على المشهور إلا انها كانت اذاك قاعا صفصفا لان البربر دمروا
البلاد واحرقوا الغروس فلما منهم ان تفقر البلاد يحمل العرب على الرجوع

لاوطانهم بجزيرة العرب وهو وهم لأن نور الاسلام كان يومئذ نضاحا يتزايد
 حيناً بعد حين ورجاله في مقتبل العمر لا هم لهم إلا نشر الويتة على العالم
 وهذا زيادة على ما انتابها قبل من هجوم الوندال واستيلاء الروم عليها يقال
 ان مرسى بوغرادا وحده وهو فرع تابع اذاك لمدين كان ياهله على عهد
 الدولة الرومانية خمسة عشر الفا من السكان ولا يبعد ذلك لان البعرة تدل
 على البعير وهذه آثار ابنتهم الشامخة بتلك الجهة لم تزل ناطقة بما يؤيد
 وجود تمدن قديم كان اشرق ضوءه بتلك النواحي في الايام الخالية
 والعهود البالية

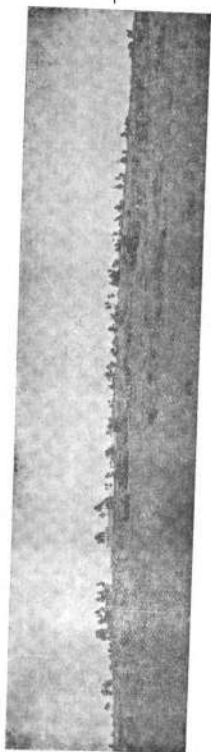


منظر الغرف وهي مساكن البدو بقصر مدين

ولم يكن ذلك التمدن بالقاصر على مدين ونواحيها بل كان سلطانه
 ممتدا للجهات الشاسعة كنفزاوة وفم تطاوين وبن فردان ومطماطة
 والدويرات وغمراسن والتوازين والخزور وعكارة والذهبيات والجنابن
 وسواهم مما يحسبهم الغافلون في زوايا النسيان

فلما جاء الاسلام احيا دارسها واعاد عمارتها فكانت جهاتها طافحة
 بالسكان كثيرة الخيرات والبركات وهكذا دام حالها الى عصور متاخرة
 انظر رعاك الله ما قال فيها الامام العياشي في رحلته التي كتبها بعد حجته
 الواقعة في عام ١٠٧٢ للهجرة حيث قال (وبلاد نفزاوة هذه لا قري كثيرة تقرب
 من الالف كل قرية منفردة وحدها على نشز من الارض بنخل مجتمع بازائها
 وماوها فيها حياض واسعة) ثم قال ' والحجاج يزعمون ان اصل تسمية
 هذه البلد بنفزاوة انها كانت فيها الف زاوية فقل لها الف زاوية ثم تصرف
 في التسمية فسميت نفزاوة وما ذكر ولا وان كان قريبا لا يصح لان تسميتها
 بذلك قديمة من قبل الاسلام على ما في التواريخ والاصل المذكور عربي
 ولا عربية في المغرب قبل الاسلام اتفاقا)





منظر من واحة دوز بصحراء نفزاوة

اما الان فعمرائها ضئيل جدا بالنسبة لما كانت عليه في زمن الامام
 العياشي لان قراها التي كانت اذاك تناهز الالف وهي رواية تدل على
 الكثرة ولو كانت فيها مبالغة فانها لا تتجاوز الخمسين قرية اهمها مدينة
 قبلي التي هي مستقر الحاكم العسكري الفرنسي المتأمر على نواحيها اما
 واحات نخيلها كواحة دوز وواحة تلمين فانها في تناقص لهجوم الرمال
 عليها لذلك اقامت لها الدولة التونسية سدودا في سنة ١٣١٣ لرد تلك
 الهجمات التي لو دامت لقصت عليها



واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة

اما قاعدة نفزاوة لمهدنا هذا فهي بلد قبلي وبها مركز العمل
 ومركز الحكومة العسكرية كما سبقت الاشارة لذلك



البرج الحربي بقبلي من عمل نفزاوة

ومن اعمال مدنين فم تطاوين وهى عبارة عن واحدة من النخيل لا



كيف يحرقون الارض بفم تطاوين

اجل من موقعها وبها مساكن الودارنة في الجبل الابيض وهم من نسل قبائل
زناته ويلبها للشمال الشرقي بلد بن قردان وهى واقعة على بحيرة البيبان
احتيتها الادارة العسكرية في السنين المتاخرة لذلك كان بناءها ارقى مما عليه
قرى بقية قرى تلك الجهة



سوق بن قردان

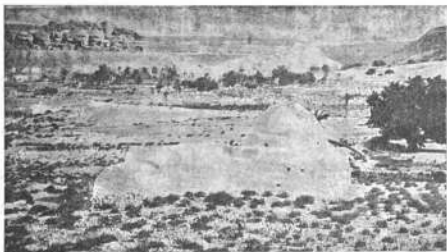
وبشمال مدنين لجهة الشرق مرسى جرجيس ولها سوق تجارة نافقة
وكانت على عهد الرومان مناخ نزهتهم ورياضاتهم وعراشهم ولم تزل
مواجههم بها قائمة الذات الى الان بل وبعضها وقع الارتفاع بها كما وقع
الارتفاع بمواجه الميلاء بقرطجنة حيث جعلتها الدولة التونسية خزانا لري
اهل تونس وهذا المواجه تاوي من الماء الزلال المجلوب من عيون زغوان
وجقار وبرفو كمية لا تقل عن خمسين الف متر مكعب

وقد وجه الاستعمار الفرنسي مهجته نحو جرجيس ففرس بها من الزيتون
في مدة هذه الثلاثين سنة نحو ثلاثمائة الف عود اثمر منها اكثر من الثلاثين
كما تعاطى المعمرون بها خدمة الارض باحياء مواتها والارتفاع بها لزراعة
الحنطة وخصوصا الشعير لمن الشعير النابت بارضها يخرج ايضا فضيا وهو
النوع المرغوب فيه لصنع بعض الاشربة الروحية كالذي يسمونه « ويسكي »
ثم الجعة لذلك يقدم اليها التجار الانكليز في موسم كل سنة ويشترون
شعيرها ويحملونه لبلادهم لصنع ما ذكر



منظر مرسى جرجيس

ولغربي مدين توجد جبال مطماطة ويقال ان جدود اهلها من البرابرة
الذين اعانوا الكاهنة على تدمير افريقية اختلطوا فيما بعد بالعرب من بني
هلال وبقوا على تقاليدهم وعوائدهم يسكنون الغرف والاعشاش حيث
يختزنون اقواتهم بما يدل على ما كان في طباع اسلافهم من الظنون
والشكوك التي يستعدون نحوها لجمع المؤن بالبيت حتى يكون الفضاء
واسعا في وجوههم لمجرد الكر والفر



منظر جهة غمراسن

واثن كان رجالهم كذلك فقد كان انسايم من المهارة في صنع
المنسوجات الصوفية من فرش ولبوس ما اكسب جبهتهم شهرة عند التجار
والنخاسين الذين كانوا يتبادلون معهم البضائع فيأخذون منهم تلك
المنسوجات وما تنتج ايديهم من مصنوعات الحلفاء ويعطونهم قبلها الرقيق
والعاج والتبر الى غير ذلك من الروابط التجارية التي لم يبق لدى اهالي
مطماطة والدويرات منها إلا الحديث على تقدير ان فيهم من يحسنه

قصود بني بركتة من جبل الدويرات



(١٨٢)

ووراءها، النواحي النامعة التي أصبحت اصطفاها أصبح اليوم في بحر الأمان والسياسة
والهدوء توجد النقطة العسكرية القائمة بحراسة أخلاف المملكة التونسية كإبراج
الدهيات والجناين وزاير وما والأهامن واحات النخيل ومراشف الماء بالصحر



برج الدهيات



برج الجناين

ومعلوم ان تلك الاخلاف حررت حكومة الحماية حدودها في سنة ١٢٢٩ باتفاق مع الدولة العثمانية التي اعترفت بوقوعها ضمن المستملكات التونسية الى اقصى جهاتها بحيث ان الحد الجنوبي لهذا القطر صار موقعه على مقربة من ابواب غدامس التابعة لولاية طرابلس الغرب وهذا القفار جابها صاحبنا الشيخ محمد الحشايشي في سنة ١٣١٣ وكتب فيها رحلة خافة نشرت ترجمتها باللغة الفرنسية وتعرض فيها لاسماء قبائل الماشمين واخلافهم وعوائدهم كما افاض القول فيها عن الطريقة السنوسية المنتشرة من فزان الى اطراف الصحراء الغربية وهؤلاء المثلثون من نسل بعض اولئك الجيوش الجرارة التي كانت ملتفة حول عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولتين الموحدية والحفصية والى مثلهم اشار فخامة رئيس الجمهورية في قوله بماعب اطوال الشريدي بغابة صفاقس « اولئك الفرسان خطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها » ولقد اصاب فخامته في وصفهم لانهم من الذين يعتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح





الشيخ محمد الحشاشي الشريف

هذا واراني قد بعدت بالقاري عن موضوع الرحلة وانما اداني لذلك
 حب الالام باخبار المملكة التونسية اجمع لان الرحلة الرئيسية استقصت
 اغلب جهاتها كما تقدم لك ذلك وكما سترادعين المشاهدة في الابواب
 التالية وبهذا الالام نكون قد احطت بالكلام على الوجه البحري من
 شمال وشرقي القطر التونسي كما اشبعتم القول عن اعماله الجنوبية
 واخلافها بالقفر والصحاري لذلك عن لي الرجوع بالقاري لحديث زيارة
 مسيو فليار لمدين فنقول

لما حل ركاب فخامته بمدنين كان في استقباله على بعد من البلدة جناب الكونيل فوشي الكمندان الاكبر لكافة الجهات العسكرية الجنوبية يكتنفه ضباط المراكز من الجهات السحيقة حتى المنقطعة عن المواصلات والعمران قد جاءوا على المهاري والابل يقطعون البراري من بعد مسافة ثلاثة ايام ولله در الأمير عبد القادر حيث يقول في وصف ذلك سفائن البريل انجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر وكان في صحبة الكمندان نحو الثلاثة الآلاف من سكان تلك الجهات فتقدم الكمندان وحى فخامته بحسامه وفعل مثله بقية الضباط اما فخامته فقد رد عليهم السلام وظهر استحسانه لبزاة اولئك الاعراب حيث كانت عمامهم وبرايسهم في نهاية من البياض وكانوا مستظلين من الشمس بمظلات عريضة من التبن الجميل وكان عمالهم ومشايخهم وعمدهم متحليين ببرائيس حمريملوها وشاح بطرز الذهب وفي مقدمتهم البطل المقدام السيد سعيد ابن نصر عامل نفزاوة موشح الصدر بوسام الشرف الذي كانت اهدته له الدولة الفرنسية عند ما خاطر بنفسه وترامى على المهالك لاسترجاع شلو الماركيز دى موريس الذي قتل المثلثون بجهة الوطية على مقربة من سيناوت لمدة ستة عشر عاما فارطة فلما رأى فخامة الرئيس ذلك الجمع العظيم من الخلائق وهم لاهجون بمظاهر الطاعة والاخلاص انشرح خاطره لمنظرهم واخذ يتبع بدقة حركاتهم وسكناتهم معجبا بمهارتهم في الكر والفر وبفرستهم وحدثهم في ركوب الخيل واذاك قام اولئك

الاولف بملعب عربي عظيم تحت انظار فخامته ووزرائه بما راق في
اعين جنابه

ثم تقدم الموكب ودخل بلد مدينين بين هتاف الرجال وولولة النساء فاجتاز
طرقاتها ووقف بباب الكمندان حاكمها العسكري واذاك
اذن فخامته بانتظام موكب القبول فتقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته
بضباط المركز وخاطبه بقوله (ان هولاء الضباط متأثرون جدا للعناية العالية
التي قمت بها نحوهم اذ قدمتم لاجلهم من مكان بعيد لتعرب لهم فخامتكم
مباشرة عما لفرنسا نحو ابنائها البعيدين عنها من الاعزاز الذي جعل منزلتهم
امكن من قلبها وهولاء الضباط يمثلون الحكومة بهذه الجهات على احسن
نظام وابدع اسلوب ناهيك انهم يجمعون في ذواتهم ماموريات شتى فمن
مدارس احدثوها للتعليم ومن مستشفيات قاموا بخدمتها في سبيل الانسانية
ومن طرقات مهدوها للعابرين وابناء السبيل ومن رياضات واجنة اسسوها
لغرس عروق المدنية بهذه الارض ومن ارشادات ونصائح لقنوها للعنصر
الاهلي ليسلكوا به مسلك الرقي والحضارة وبعبارة افصح فهو لاء هم الالباء
المربون لهذه الاصقاع واهاليها وكل مشروع حسن تم بهذه الارض راجعته
مزيتة عليهم)

وقد اجابه فخامة الرئيس بمظاهر الشكر قائلا « انه لعريف بمقدار
جد الضباط واخلاصهم واستعدادهم بشراش قلوبهم لاعلاء مجد فرنسا على
ان لهم حظا وفيرا في كل المشروعات والترقيات التي انجزتها ادارة الحماية
بالمملكة التونسية فهم من هذه الوجهة هنا نواب التقدم والمدنية »

ثم تقدم لاداء مراسم التهانى عمال و رغبة ونفزاوة ومطماطة يصحبهم اعيان اعمالهم فاعرب لهم فخامة الرئيس عن رضائه على مسلكهم وانعم على اولهم وهو السيد مسعود بن العربي بوسام الشرف الفرنساوي وهنالا عن اخلاصه في خدمة الحكومة المحلية كما هنالا باخلاص ابنه في خدمة الادارة العسكرية واذاك اجاب العامل متشكرا واثانلا ما معنالا « ان من جاء على اصله فلا سوال عليه لذلك كان صنيع ابنه من قبيل القيام بالواجب والمرء لا يستحق الثناء عما هو فرض عليه »

هذا وعند انفصال موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادبة حافلة دعى اليها وزراء و المقيم العام والجنرال يستور والكولنيل فوشي والسيد سعيد بن زعر والسيد مسعود بن العربي والسيد الحبيب بن ابراهيم ونحو ثلاثين آخرين من الذوات والاعيان اما بقية رجال القافلة الرئيسية واهل الصحافة فقد اقيمت لهم مادبة خصوصية انيقة بخان قبلي الذي هو اجل بناية بالبلد

وكانت الونة الطعام الذي تناوله فخامة الرئيس ورجاله من انواع الطبخ العربي كسكسون وشكشوكة وشوا على اسلوب البدو وهذا الشوا كان عبارة على ثلاثة خرفان تامة الدات قدمت للمائدة ملتفتة في لحاف من الكتان فوق عامود طويل

ثم تحرك الموكب لزيارة المستشفى الاهلي الذي احدثته الادارة العسكرية بمساعدة الكتابة العامة في سنة ١٣٢٧ فطاف فخامة الرئيس بغرف هذا المارستان الذي هو لدى عموم سكان تلك الجهات بمنزلة الماء من الضمان واثنى على همة الرجال الذين قاموا بمشروعه ثم اثنى بوجه

خاص على جناب مسيو بلان الكاتب العام لعنايته بالشئون الصحية وهنالا
عن حزمه ونشاطه كما هنالا الوزراء ايضا بذلك ومن هنالك تحرك الموكب
لزياره مدرسة البلد حيث تلقى فخامة الرئيس تهنئة مديرها كما نصت
لخطاب القالا عليه بالفرنساوي طفل بدوي اعجب لفصاحته الحاضرون
ومن المدرسة توجه فخامة الرئيس لافتتاح محل البوسطة الجديد فتلقالا
بياب الادارة جناب مسيو شومي الكاهية الوزيرى للبوسطة والتعارف
بياريس وطاف به خلال غرف واقلام الادارة التي جاءت غرة في جبين
قصر مدين

ثم ارتقى فخامته لرواق المحل واستعرض جيش المهارى وكانوا في عدد
اربعمائة فارس تحت امره القبطان جيرار كما استعرض الجند العربى
المسمى « القوم » وهذا الجند الذي احدثه فرنسا بالجزائر كما احدثت
مثله بالجهات الجنوبية بتونس قد احدثت اخيرا نظيرلا بالمغرب الاقصى
وهو عبارة عن شبان يوخدون من القبائل والعروش ببقيمهم الدولة على
نظامهم العايلى إلا انها تسلمهم وتجعلهم تحت امره ضباط فرنساويين وتوكل
بهم القيام بوظيفة الطاليع في الحروب اعني تجعلهم في ميدان الوغى مقدمة
للجيوش النظامية وقد ابلوا البلاء الحسن في مواطن كثيرة مما حمل فرنسا
على توسيع نطاق افرتهم بمستعمراتها وبالبلاد الخاضعة لنفوذها بافريقيا الشمالية
وختم الرئيس رحلته لمدين بزيارة احيائها العربية وتعجب كثيرا
بالخصوص من المساكن الاهلية المسماة في اصطلاحهم بالغرف كما سبق
التعريف بذلك في مجله من هذا الباب



فخامة الرئيس وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدنين
ثم تلقى فخامته مراسم الوداع من الكلونيل فوشي وتحرك ركبهم
مخفورا بالقوم المشار اليهم وبجيش المهاري عائدا لقابس فوصلها مع الغروب
وقصد دار المراقبة المدنية حيث اقام مائدة فاخرة للوزراء والمقيم العام والكتاب
العام والجنرال يستور والمراقب المدني وغيرهم من الدوات
وبينما كان فخامته يستريح اثر الوصول خرج الوزراء ورجال العاشية
قبل حضور المائدة المذكورة وزاروا احياء المدينة وبالاخص المعرض
الصحراوي الذي اقامه الاخوان التاجران الكبيران السيد محمد والسيد احمد
علان وهو عبارة عن معرض بضائع وتنايج صحراوية وسودانية جلبتها
القوافل التي رتب سيرها بانتظام الاخوان المذكوران بين قابس وتنبكتو
قاعدة السودان الغربي فاعجب الجمع بحسن تنسيق تلك العروض
واشترى منها اشياء كثيرة كما حضر الاعيان المذكورون بعد العشاء حفلة
« عيساوية » اعقبها رقص سوداني قام به عشرة من الزنجيات فضض جناب

وزير الفلاحة مسيو بامس كف احداهن بكمشة مجهولة طيرتها فرحا
وسرورا وبعد ذلك انصرفوا للحضور « بالو » اروبواوي عمومي اقيم
اكراما لهم بسوق الغلال فقصوا هنالك جزءا عظيما من الليل وعادوا في
وقت السحر لدار المراقبة المدنية

ولما اصبح الصباح تاهب فخامة الرئيس لمبارحة قابس فانتظم الموكب
العسكري بيطحاء المراقبة وترنمت الموسيقى بانشودة المرسلين فركب جنابه
الفخيم على الساعة السابعة عربية سيارة وركب الوزرا والحاوية ورجال
الصحافة السيارات المعدة لنقلهم وتحرك الموكب بين مظاهر الاجلال
والتعظيم قاصدا محطة الغربية البعيدة عن قابس بشمانين ميلا والواقعة على
السكة الحديدية الموصلة للجريد

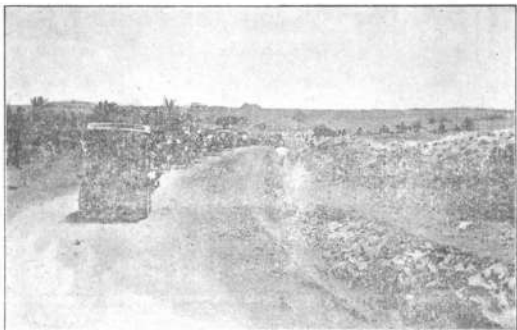


الباب السادس

في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتلوي

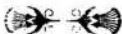
وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لقفصة ولعامل الفسفاط

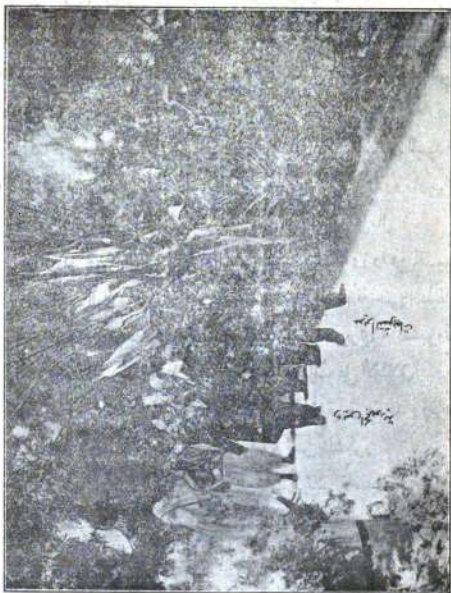
كان السماء زاهيا والهواء عليلا عند خروج الراكب الرئيسي من قابس
صبيحة يوم الاحد ٢٣ افريل ١٩١١ بقصد التوجه لموقف الحديد بالغربية
فتمكن فخامته كما في اليوم قبله من تسريح الطرف في رياض هاتيك
النخيل الباسقات المتلاوحة الاطراف على اليمين والشمال واجال النظر في
جمال هاتيك المناظر الراقية والغصون المستقيمة وكانت علايم الانشراح
والانبساط بادية على محيلا والعربان والبدو يهتفون على ممر ركبهم ويدعون
لهم بالسعادة



موكب فخامة الرئيس راكبا عربات الاتمبيل فيما بين قابس والغربية

ولما كانت ساعة الضحى وصل الموكب لمحطة الغربية حيث كان في انتظار فخامة الرئيس رتل خصوصي لنقل جنابه من هنالك للمكناسي وقفصة والمتولي فامتطى فخامته ووزراءه وحاشيته متن القطار وساروا قاصدين بلد المكناسي التابعة لعمل الهامة فوصلوها في حدود الزوال واذاك نزل الموكب لمحطتها وكانت لابسة ثوب الزينة وجدراتها مغطاة بالزرابي الجميلة من صنع عروش جلاص والاعلام خاققة فوق اعاليها فدخل فخامة الرئيس لقاعة القبول وتلقى مراسم السلام والاحترام من النزلاء الفرنسيين ومن اعيان عمل الهامة يتقدمهم عاملهم السيد الطيب المغراوي وخلفاوات ومشايخ وعمد عروشهم ثم من مدير مدرسة المكناسي ومعلميها فشمّل الجميع بلطفه المعهود واحسن للتلامذة براحة ثلاثة ايام ثم توجه للفقور





موكب أفخامة الرئيس عند توجهه للفتور بالمكناسي
وهذا الفتور اقيم على مقربة من المحطة تحت خيام فسيح رصع بكل
غال وثمين وكان اديم الارض مفرشا بالزرابي العربية من اعلى طراز حتى ان
الاقدام كادت ان لا تستقر عليها لشخن فروها وكانت مائدة الطعام تحاكي

اشهى شئ: يكون بما دل مجموع ذلك على ثروة شركة مناجم المتلوي التي كان فخامة الرئيس في ضيافتها من ساعة حضوره بالمكناسي اما المكناسي وهو من مراكز الاستعمار الحديثة فهو عبارة عن سوق لوسق الحلفا التي يقطعها البدو من جهات عمل الهامة وماجر ويعيشون من ثمرتها وتجارتها لها حركة غريبة فقد سمعت من الثقات ومن اعيان بيوت ماجران البدو الذين كانوا لا ينتفعون بها اصبحوا بفضل اختلاطهم بالتجار الاربوايين من احسن الناس تقديرا لتلك النعمة التي هي تجارة بلاراس مال

ولما جلس فخامة الرئيس للطعام اجلس ليمينه وشماله وزراء والمقيم العام والسكاتب العام ومدير شركة الفسفاط ورجال الصحافة حتى اللطيفة مدام مريم هاري مكاتبه جريدة « التمثيل التصويري » المشهورة بتحريراتها الخيالية وبحب ابنا تونس خصوصا والعرب على الاطلاق

وبينما كان القوم يفطرون كانت آلاف البنادق تبرق وترعد ووفود العرب يتظاهرون بمظاهر السرور اكراما للرئيس المشكور

وبعد انتهاء موكب الفطور تحرك الركاب الرئيسي قاصدا قفصة مارا على مركز السند حيث وقف لحظة لقبول مراسم احترام اعيان المكاف ثم استأنف السير الى ان حط رحله بقفصة

قبل الكلام على الزيارة الرئيسية لاعيان قفصة بمحطتها الحديدية لان برنامج الرحلة لم يتضمن زيارته لمدينة قفصة نفسها ولا لتوزر ايضا لان تضايق الوقت حكم بالتوسط بين البلدين وجعل موكب القبول بالمتلوي الذي هو اثرى بلاد الجريد في الزمن الحاضر يجدر بنا جريا على القاعدة التي توخيناها في هذه الرحلة من تصدير كل مدينة تذكرها بملخص

تاريخي وجيز لماضيها وحاضرها ان ننقل للقاري الكريم ما تعلق بذهني من اخبار المدينتين المذكورتين ثم نرجع لحدث الرحلة الرئيسية قفصة كانت تسمى على عهد الرومان « كابصة » ومن زعم غير ذلك وادعى ان لفظ قفصة جاء من مادة « القفص » الذي هو الوثب اي النشاط فهو وهم ليس من الصحة في شي * وقد لعبت قفصة دورا عظيما في الازمان الاولى سيما في ايام الامبراطور ماريوس الذي اُخربها واعاد عمارتها في حدود سنة ٧٣٠ قبل الهجرة

اما في دولة الاسلام فقد تناقص عمرانها بفشو الفتن في ربوعها سيما على عهد الدولتين الموحدية والحفصية وقد جاء ذكرها بعبارات التمجيد في معجم البلدان الى ان قال « وبها ينبوعين للماء احدهما يسمى الطرميد (وقد حرفوا لهمدنا هذا فجعلوا « الترميل » وهو لحن كما ترى) والاخر الماء الكبير وخارجها عينان اخريان احدهما تسمى المطوية والاخرى ييش وعلى هذا العين عدة بساتين ذوات نخل وزيتون وتين وغنب وتفاح وهي اكثر بلاد افريقيا فستقا ومنها يحمل الى جميع نواحي افريقية والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وتمير القيروان بانواع الفواكه قال وقد قسم ذلك الماء على البساتين بمكيال توزن به مقادير شربها معمولة بحمكة لا يدركها الناظر لا يفضل الماء عنها ولا يعوزها تشرب في كل خمسة عشر يوما شربا وحولها اكثر من مائتي قطر عامرة اهله تظروحواليها المياه تعرف بقصور قفصة » قالت وهذه القصور هي المدائن والقرى والمدائن الموجودة بالجريد حتى لهمدنا هذا ومنها الحمة التي تسمى اليوم الحامة باشباع الحاء ونفطة وكانت

تسمى نفطى والوديان وكانت تسمى دقيوس وتوزر بسكون الواو وغيرها
 مما امر بتخريبه يوسف بن عبد المومن بن علي لانهم عصوا عليه قال
 ياقوت وعزلا للبكري ان توزر كان يخرج منها في اكثر الايام الف
 بعير موقرة تمرا قلت وعلى تقدير وجود مبالغه في هذه الرواية والناقل
 امين فان تعبيره بوقر الف بعير يدلنا على وفرة كمية التمر الذي كانت
 تصدره واحة توزر في القرون المتوسطة اما اليوم فمحصولها من التمر
 دون ذلك بكثير إلا ان موسمها عظيم بالنسبة للزمان والمكان واغلب
 ما يقتطف اليوم من نخيلها لا تراه اعيننا بل نسمع به مجرد السماع لان
 احسنه يشتريه التجار فوق رؤس شجره ويبيعهون كذلك ومنها يشحن
 في الصناديق ويوسق لادوبا على طريق الجزائر

وفي مدح توزر يقول الكاتب ابو علي بن ابراهيم
 خير البلاد لمن اتاها توزر يا حنذا ذاك الجنان الاخضر
 والنخل مثل عرايس مجلوة في سندسيات اللباس تبخر
 وكانما نظم الحلي لنحرها من لؤلؤ وزبرجد يتخير
 وهي طويلة تقل منها ابن الشباط ثلاثين بيتا وعلى ذكر ابن الشباط
 نقول انه قد اصبح متقررا في الاذهان ان ابن الشباط هذا هو الذي ضبط
 طريقة توزيع المياه بالجريد اي بالجهالة المسماة لهدنا هذا ببلاد السقي
 وهو قول يحتاج لنظر لان ابن الشباط كان يعيش في اواخر المائة السابعة
 وهذا كتاب المسالك والممالك للبكري الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧
 فصل كيفية توزيع تلك المياه على اوضح بيان فيكون ما نسب لابن الشباط

انما حصل بمجرد الشهرة او باحيائه لشيء تلاشى فاعاد وضعه ومن الجائز
 اننا اعادله بأسلوب احسن مما وضعه من تقدمه
 ولنرجع لحديث الرحلة فنقول ان فخامة رئيس الجمهورية لما نزل
 موكبه بموقف الحديد بقفصة تلقى هناك مراسم السلام والاحترام من
 اعيان المعمرين الفرنسيين ثم من متوظفي الادارات الفرنسية فخطب
 لديه المراقب المدني مسيو بريكيكز خطابا نفيسا حيلا فيه نيابة عن الخاصة
 والكافة



اقتبال فخامة الرئيس عند دخوله لقفصة

وقد اجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية « ان رحلتي هذه تشمل
 في آن واحد مقصدين وهما التفسح بالعمالة التونسية ثم البحث عن احوالها
 لان مرادنا استطلاع شؤون هذه الديار من كل الوجوه اما فيما يخصكم فاني

على ثقة من لياقتكم لما انتم اهلها من الاعمال الموكولة اليكم وهي اوصاف
قدرها جناب الوزير المقيم حق قدرها منذ زمن بعيد لذلك اصبح سروري
عظيما تلقاء صنيعكم المحمود

ومن جهة اخرى فيحيث ان جناب الوزير المقيم راض عن اعمالكم
يسوغ لي ان اشكركم بلسان الامة الفرنسية قاطبة وان اوصيكم
بالاستمرار على اقناع العنصر الاهلي بان مشروعا بهذه الارض انما يرمي
للععود بها الى ذروة التقدم والمدنية لانه متى قتم بهذه الوظيفة يصير
الاهلي متحضرا للسعي معنا بالقول والعمل اي باللسان والقلب

وفي هذا المقام نقول ان من الوسائل المشروعة للحصول على تلك
الغاية فتح المدارس في وجوه صغار الاهالي لتثقيف اذهانهم وتوعيدهم على
الخدمة بالاماليب النافعة والمختصرة وكلامي هنا ينصرف بوجه خاص
لاساتذة التعليم لاني لا انفك قائلا ان وظيفتنا بالمملكة التونسية هي
امتلاك القلوب لا الاشباح »

فكان لهذا الخطاب وقع عظيم في النفوس اعقبه هتاف اعظم منه
بلغ لعنان السماء ثم انصرف المامورون الفرنسيون وتقدم اعيان الاهالي
للسلام على فضامة الرئيس وكان في راسهم عاملهم السيد حميدة بن ابراهيم
والمجلس الشرعي وخلفاوات ومشايخ وعمد المدائن والقرى والعروش
بعمله فخطب العامل معربا عن شعائر الطاعة والاخلاص وتلا في الخطابة
العدل السيد الاخضر بن المفتي جاء ضمن كلامه هذه العبارات (ان
النفوس قد جبلت على حب من احسن اليها وحيث ان فرنسا عاملت العنصر
الاهلي بالحسنى فلا يسم التونسي إلا حبها بشراشر قلبه)

وقد اجابهم فخامة الرئيس بقوله

« ان مرادي اقناعكم بان مسلكنا نحوكم لم يتطرقه تغيير قط وان
امتنا بتهيج بمودتكم التي من ماملونا التحفظ عليها والتي نشفعها بتشريكم
في العمل معنا لخدمة الانسانية والمدنية اعني لخدمة الصالح العام

هكذا وسيبقى ذكر رحلتي هذا محفوظا بخدي سواء ذلك بفرنسا
ام بتونس لانني اينما حللت لاقيت من المسلمين اقبالا واکراما ولم يكن
ذلك منهم إلا لاعتقادهم بان مشروعا سلمي لا حربي وان فرنسا تحترم
العقائد والاديان ولا تطلب منكم سوى تهذيب ابناءكم وتعليمهم اللغة
الفرنساوية التي هي لغة العالم المتمدن اجمع لان من الضروري جعل
رابطة تجمعنا في احساس واحد ولا يكفي في ذلك توارد الخواطر بل
يلزم ايضا الافصاح عنه باللسان

فهذه مدارسنا مفتحة الابواب في وجوه ذرايركم وما عليكم الا ارسالهم
اليها لانه طريق الترقى والمدنية »

فتلقى الحاضرون هذا الخطاب بمظاهر الشكر الجميل ونادوا جميعا
بالدعاء لفرنسا ورئيسها الفخيم واذاك انفصل الموكب وعاد الرئيس لراته
وسار قاصدا بلد المتلوي الذي سمى حديثا باسم « فيليب طوماس » وعند
الوصول اليها كان في استقباله السيد احمد اللوتقو عامل الجريد والمجلس
البلدي بها فتقدم العامل لفخامته وحيلا وترجم عن شعائر اخلاصه وولائه
للحكومتين الحامية والمحمية ثم خطب مسيو ميري الكاهية بالمجلس
البلدي بالمتلوي فقال

يا فخامة الرئيس

قد حصل لنا سرور عظيم اذ تفضلتم بالوقوف بهذا البلد بما دل على تقديركم لفضل فيليب طوماس الذي له على العمالة حق الكريم لانه احيى هذه الجهة وبدر فيها ثروة لا تبلى وستشاهدون بعد حين الشغال العظيمة والنتائج الجسيمة التي ستنتطق لسانكم بعد رجوعكم لفرنسا بانه حتى في هذه الجهات السحيقة يعمل الفرنسيون لاعلاء شان فرنسا - فلتحيى الجمهورية وقد اجاب فخامة الرئيس بالعبادات الاتية

ان رئيس الجمهورية قصد بوقوفه ببلد المتلوي الاعلان بفضل الرجل العظيم الطيب الذكر الذي زرع بدور الثروة في هذا الاصقاع يعني البيطار العسكري فيليب طوماس الذي اكتشف في سنة ١٨٨٦ مناجم الفوسفات التي تستغلها اليوم شركة قفصة

ثم ان فخامة الرئيس اخذ يجامل الحاضرين بلطيف الحديث فقال له السيد احمد اللوتقوانه لشدة فرحه قد اسرع بالمجيء من بعد ستين ميلا للتشرف بالسلام عليه فاجابه فخامة الرئيس على البديهة وتبسم (انا جيت بكل سرور من بعد خمسة آلاف ميل لرؤيتك) وبعد ان تكلم فخامته مع اعيان الحاضرين كل بما يناسبه امتطى رتله متقدما ميلين آخرين ونزل بمناجم الفسفاط حيث مناخ اليد العاملة الفسفاطية ومركز القوة العملية الفرنسية بالايالة التونسية

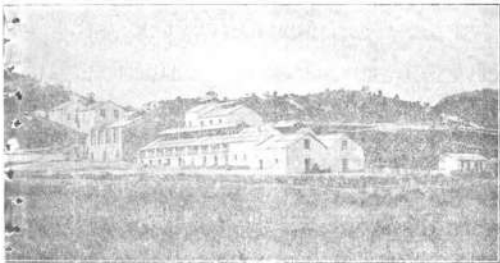


فخامة الرئيس وحاشيته بالملوي

وقبل ان نتكلم على زيارة فخامته لتلك المناجم ينبغي ان نلخص للقاري ما هي مناجم الفسفاط حتى يكون ذهنه متحضرا لتلقف ما سيبتع ذلك من الحديث

فالفسفاط عبارة عن طبقة من الارض مادتها تربية كلسية صالحة لتسميد الغروس والمزروعات يقدررون النوع الموجود منها بغربي العمالة التونسية وبلاد الجريد بخدمة متتابعة يمكن دوامها اكثر من مائة سنة لاستخراج ما هناك من الفسفاط ولتصور القاري وفرة تلك الكنوز الطبيعية نذكر له على وجه الاعتبار مقدار ما يستخرج من موقع فسفاط الدير فقد اقتضى الاتفاق المتعلق به ان الشركة التي اعطيت منحة استثماره من واجبها ان تستخرج على الاقل مائة الف طن لاطلة في العام (وقد بلغ

الآن محصولها للمليون طن لاطة اى عشرة اضعاف القدر المتعاقد عليه) وهذا دون
 المنح الاخرى المعطاة لها بالقاعة الجرداء وبقاعة سنان وبام العرايس وغيرها
 وهي مناجم قدرت لها الدولة في ميزانية الدخل السنوي ١٢٥٠٠٠٠ فرنك
 وكان الكشف على مناجم الفسفاط بالعمالة التونسية في سنة ١٣٠١
 بعناية مسيو فيليب طوماس البيطار العسكري ومات فيليب طوماس سنة
 ١٣٢٨ بعد ان رأى مسعلا مكثلا بالنجاح اعني باستثمار تلك المناجم التي
 كادت ان تكون وحيدة بالعالم من جهة ثروتها الطبيعية وبتأسيس سكة
 حديدية طولها ٢٥٠ ميلا لربط الجريد بصفاقس حيث مصب الفوسفات
 المعد للوسق لانحاء المسكونة كما سبقت الاشارة لذلك عند الكلام على
 زيارة فخامة رئيس الجمهورية لصفاقس



محلات شركة الفسفاط بالمتلوي

هذا ولما نزل الرئيس بمقاطع الفسفاط بالمتلوي ركب زورجال حاشيته
 قطارا لطيفا كهربائيا وطاف خلال المعامل وكانت تمثل معنى القوة الفكرية

التي اودعها الله في الانسان فتامل منها فخامته تامل تمنع واستفادة ودار في
عرفها الى ان وقف على ابواب غرفات الاعمال الواقعة في بطن الارض ثم
اجال النظر في حركة الخدمة وطاف خلال معاملها مستقصيا منها مسافة
تميل على القدم واستعجب فخامته بالخصوص من تفوير الفسفاط بطريقة
الانفجار بالعبارات النارية التي كان لها دوي يبطن الارض يحاكي الرعود
القواصف وازداد عجبه واعجابه بما بلغت اليه الشركة صاحبة منحة المتلوي
لما علم ان تلك المناجم يستخرج منها في العام مليون طنلاطة وان بها من
العملة ثلاثة آلاف نسمة جلهم من الطرابلسيين والفزازنة والمغاربة وزنوج
السودان وفي هذا المقام سال الرئيس عن حال هؤلاء الزوج فاجيب بانهم
من الفعلة الرحالة لا يقيمون بمعامل الشركة الا ريشا يستحصلون على
رأس مال ضعيف بالنسبة لتونس كثير بالنسبة لبلادهم حيث يرجعون
للتاهل وهو اشهى شيء لديهم ومتى عادوا للسودان يجي عوضهم من بني
عصمهم من يقوم مقامهم في العمل وهلم جرا

وبعد ان استوفى فخامته زيارة المناجم الفسفاطية حضر على الساعة
ثامنة ليلا مادبة اكرام اقيمت على نفقة الشركة وكانت هاته المادبة بالغة
لحد الغاية من الابداع والخيال التي نصبت بها عبارة عن متحف للزراعي
التيينة العجيبة الصنع التي نسجتها اليد العربية وبينما كان فخامته يتناول
الطعام كانت الموسيقى تصدح بنشيد المرسلين وعلائم البشر والسرور بادية
على وجوه الجميع وفي ختام المادبة قام مسيو بيلي مدير شركة الفسفاط
والتقى خطابا هذا ملخصه

ابتدا الخطيب بتهنئة فخامة الرئيس بالنيابة عن الشركة الفسفاطية التي أصبحت تفتخر بزيارة فخامته لمناجها وهي زيارة كالت مشروعها فخر لا ينقسم حبلها

ثم اشار لما لفيليب طوماس من الايادي البيضاء في احيا جهة المتلوي التي كانت قبل قفرا واصبحت اليوم عبارة عن بلد اخذ حظه من الساعدا والعران بفضل مليون طنلاطة من الفسفاط تخرج في كل عام من مقاطعه وتسلك طريق اربو لاجيا اشجارها وكرمها

ثم تكلم على المستخدمين والعملة فقال انهم عناصر مختلفة منهم الفرنسي ورفيقه البلياني ومنهم عناصر اهلية شتى لا يقل عددهم عن اربعة آلاف نفس كلهم يعيشون عيشا هنيا على بساط التسامح لا يخشون من باس ثم ختم خطابه بالشراب على ذكر فخامة مسيو فليار والدعا للجمهورية وقد اجابه فخامة الرئيس بخطاب نصه

ياها المدير العام

قد حصل لي انشراح عظيم بزيارتي لهذه المصانع الفرنسية ولكم مني الشكر الجميل عن عبارات الثناء التي خاطبتموني بها

قد قامت تلك المصانع العامرة في ارض كانت قبل قفرا فاصبح العالم المتعدين تربطه نتايج الفسفاط بما عاد بالثروة العظيمة على العالم الفلاحي ولا شك ان كل هذا نتيجة سداد التدبير واستقرا ما في الغيب والمتابرة على العمل متابرة غلبت كل شئ

اني اعلان بالنشأ على مستحقه اولئك العلماء والمهندسون اصحاب الاستنباط والقلوب الحية اذ هم مهدوا وسائل العمل لاهله فكانوا احسن اسوة يقتدى بها هؤلاء الرجال لهم مزية على الناس قاطبة ومن الحق ان يخلد ذكرهم وينادى باسمائهم في كل مناسبة وحين - هذا واني لمفتخر بكوني من المنتسبين للفلاحة ولا احد يمكنه ان ينول اكثر مني بما لمادة الفسفاط من تنمية قوة الارض واستخراج ثمراتها باوفر ما يمكن الوصول اليه وهذه الخيرات عائدة بالبركة على الثروة العمومية ولا مبالغة اذا قلنا ان من الواجب ان يكون مجلس مكتشفي الفسفاط من بطون هذا القفار بمصاف اعظم المكتشفين والمخترعين اما نحن فيحق لنا ان نفتخر بهذا البلاد التي اصبحت مصدرا للثروة العمومية والتي اصبحت اهلها في سعة من الرزق وفي مهرب من المجاعات والفقر

واني ارفع كاسي على نجاح شركة الفسفاط وسكة حديد قفصة وفي ضمن ذلك مرادي ان يعلم الناس ان عنايتي وعناية الحماية وعناية فرنسا منصرفة نحو اصحاب هذا الشركة ومشتغلها ومديرها ومهندسيها ومستخدميها وخدمتها جميعا سواء كانوا فرنساويين ام اجانب ام اهلين لان في عملهم مصلحة الجميع

فوقع هذا الخطاب من كافة الحاضرين موقع الاستحسان وهتفوا له هتافا طويلا واذاك استدنى فضامة الرئيس مدير شركة القوسفاط مسيو بيلي وانعم عليه بالصنف الثالث من اللجيون دونور ثم استدنى عامل الجريد السيد احمد اللونشو واحسن له بمثل ذلك النيشان فقلقى الحاضرون ذلك بمظاهر الاستحسان والتصفيق الطويل



السيد احمد اللوثو عامل الجريد

وبعد ان اخذ كل حظه من النشاط والسرور توجه فخامة الرئيس
 لغرفة نومهم بسرارية شركته الفسفاط ودخل الوزراء ورجال الحاشية البيوت
 المعدة لتمامهم تلك الليلة وفي صباحها انتظم الموكب الرئيسي وركب فخامة
 مسيو فليار رتلهم فسار به قاصدا سييطلت



الباب السابع

في الكلام على سيطرة واطلالها

وزيارة فخامة الرئيس لجبهاتها واثارها التاريخية

لما استوفى رئيس الجمهورية زيارته لمناجم الفسفاط بالمتلوي عاد موكبه لموقف السكة الحديد بها وتعرف اليوم بمحطة فليب طوماس نسبة لذلك الرجل الذي اكتشف المناجم المذكورة كما تقدمت الاشارة لذلك في الباب قبله واذاك ركب فخامته رتله وسار مودعا من مدير شركة الفسفاط قاصدا هنشير الى واطير حيث حط التعمير الفرنسي رحله في السنين الاخيرة وكان الخط متسرلا بين الجبال والكهوف والارض بطبيعتها قحلا تكاد تكون عقبة الى انها ارض تامل واعتبار لونها لعبت دورا عظيما في تاريخ الرومان فمر القطار اولابرر مركز سلجة ثم وصل منها بعد سير بطى " لهنشير السواطير حيث لمتقى السكتين الحديديتين سكة شركة الفسفاط التي زائنها اذاك فخامة الرئيس وسكة شركة بون فالمة القوية المتينة واذاك تحول فخامته وكافة حاشيته لقطار مخصوص مزركش وفيه تلقى مراسم السلام والاحترام من مراقب الفراشيش وكاهيته ثم سار القطار قاصدا سيطرة على طريق فريانة فلما وصل فريانة وقف الرتل وتقدم للسلام على المقام الرئيسي اعيان عمل الفراشيش يتقدمهم عاملهم السيد عبد السلام قعيد موشح الصدر بوسام الشرف الفرنسي الذي كانت الحكومة الفرنسية انعمت به عليه اثر قمعه للحركة العدوانية التي

خاب فيها سعي المتدروش عمر بن عثمان سنة ١٣٢٤ ثم استأنف
الرتل السير متوجها لسيطة عاصمة افريقيا الرومانية فوصلها
بعيد الزوال

وسيطة هذا كانت تسمى على عهد الرومان « سوفيطلة » وهي
قاعدة ملكهم جرجيس ولا يخلو تاريخ اسلامي للفتوح من ذكرها
باشباع لان سقوطها من ايدي الرومان ودخولها في حوزة الاسلام
كان على عهد الصحابة والتابعين وتعرف غزوتها في التاريخ التونسي
بغزوة العبادلة لانه حضرها سبعة من الصحابة والتابعين باسم عبد الله والرئيس
عليهم عبد الله بن الزبير وكان جند جرجيس ستة اضعاف جند ابن الزبير إلا
ان النصر كان حليف المسلمين وقاتل الرومان قتال المستميت وتولوا الادبار
وقتل جرجيس واستقر المسلمون بسيطة وكانت يومئذ من اعمر المعمور
وسلطانها لا يشق له غبار لانه كان ياتي المدد من القسطنطينية عاصمة
الروم وكان البربر حلفاؤه ونصراؤه

وكما ان حسان بن النعمان الفسائي دمر قرطجة عام ٦٩ لاستعصاء
القرطاجيين عن الخضوع اليه كذلك فعل قبله باربعين عاما السادة العبادلة
غزاة سيطة لكسر شوكة الرومان وتذليل نواصبيهم فلم يكن لعاصمتهم بعد
من شان ومازال امرها في تناقص الى هذا العهد الذي اخذت فيه دولة
الحماية الفرنسية على نفسها احياء ما اندرس من تلك الارض بيت
المال والرجال كما ستره

عند حلول الموكب الرئيسي بسيطة كان في استقباله نحو الثلاثة
الآلاف من الاعيان والفرسان يتقدمهم شيوخ وعمد العربان فابتدا الرئيس
بقبول اعيان المعمرين بتلك الناحية ثم تلقى مراسم الاحترام من مسيو
برطران مدير اشغال المياه المجلوبة من سيطة لصفاس وعلى اثره تقدم
للسلام على فخامته السيد محمد بن بلقاسم بن احمد المكلف بعمل ماجر
بعضده خلفاوات ومشايخ العمل ثم اعربوا عن طاعتهم واخلاصهم للدولتين
فشكر الرئيس مساعدهم واستحسن بزة اولئك الفرسان واعجب بمهارتهم
في فنون الفرسنة وركوب الخيل اثناء الملعب العظيم الذين قاموا به امام
فخامته

ثم قصد فخامته والموكب مائدة الفطور وهي عبارة عن مائدة انيقة
جدا ابدع ترتيبها المهندس مسيو موكري على نفقة شركة بون قالمة الحديدية
فجاءت آية في الزينة وفي ضروب الترصيع وهذه المائدة اقيمت وسط
خيام مزر كش ومحلى بالزرابي الرفيعة فجلس فخامته بصدر المائدة وجلس
الوزراء عن يمينه وشماله وجلس بقية الدوات على الكراسي المعدة لهم
وكان مجلس الطعام موسوما بالملاطفة وانيس الحديث

وفي ختام الطعام نهض فخامة الرئيس وتبعه الحاضرون وسار الموكب
ودليه مسيو ميرلان مدير الانطكخانه لزيارة اطلال سيطة التي تقدم
التعريف بها في اول هذا الباب فتأمل فخامته بتمعن واعتبار من ذلك الطلل
البالي الذي مسحت عظمته بيد الدهر منذ ثلاثة عشر قرنا ووقف معتبرا
لدى قوس النصر الذي بني على عهد الامبراطور « ديوكليان » الذي كان
متربعا على كرسي الانباطورية الرومانية اواخر المائة الثالثة بعد المسيح



فضامة الرئيس فليار واقف على اطلال سيطة

ومنه توجه لمشاهدة اطلال الهيكل الضخم الذي كان اقامه الرومان
لكوكب المشتري ثم ختم زيارته برؤية آثار الحصون التي كان اقامها
الروم لدفع الغزوة العربية الثانية التي قضى فيها المسلمون القضاء الاخير
على اروام القسطنطينية المتملكين على سيطة وافريقية

وبينما كان الموكب الرئيسى يزور الاطلال كان العرب والبدو
يلعبون على الخيول وكان البارود يبرق ويرعد الى ان اسود افق الجوفلما
كانت الساعة الثالثة ونصف ركب الموكب القطار وسار قاصدا القيروان
بين ضجات اولئك الفرسان الشجعان وهتاف الالوف من العربان وعند
وصوله لسيبة وكانت تسمى عند الرومان سوفاس وقف القطار بها لحظة

تلقى فخامته اثناءها مراسم السلام والاحترام من اعيانها المعمرين والاهالي
ثم فعل مثل ذلك عند وصوله لسيدي سعد وسيدي علي بن نصر الله وكان
المطر اذاك متنازلا بافراط حتى انه كاد ان يكون طوفانا عند مرور القطار
بجهات الخزازية على ان تهاطل الامطار لم يمنع اهالي تلك الجهات عن
التسابق في اعداد لا تحصى للسلام على فخامته اينما حل او ارتحل لان
فخامته تقدمه بناديهم الذكر الجميل فجاءوا من كل حذب ينسلون
للاعراب لدى فخامته عن طاعتهم واخلاصهم وتعلقهم بالدولتين المتحابتين
الحامية والمحمية وبعد ان تجاوز الرتل جهة الخزازية تناقصت المياه التي
كانت قد غمرت سطح الارض بعمق بلغ مفازل عجلات القطار والتحق
بالارض الصماء وبعد قليل دخل القيروان بتحية وسلام



الباب الثامن

في الكلام على القيروان واثارها المباركة

وزيارة رئيس الجمهورية لمدينتها

اعلم ان القيروان من اشرف مدن الاسلام بناها الصدر الاول وبها
شعرات المصطفى صلى الله عليه وسلم ومشهد صاحبه سيدنا ابي زعمه
البلوي رضي الله عنه وقد اختطها عقبة بن نافع سنة ٥٠ للهجرة وعقبة هذا
اما صحابي بالمولد واما تابعي بالاجماع وكان اختياره لبناءها في فلاة من الارض
بداخل البرصونا لجماعة المسلمين من هجمات العدو من البحر وذلك العدو
هم الروم الذين عاصتهم اذالك مدينة القسطنطينية العظمى وقال في معجم
البلدان ما معناه ان عقبة قصد بتأسيس القيروان استدامة بقاء المسلمين بين
اظهر البربر لان من اخلاقهم نكث العهد فخشى ان يمودوا للكفر
بعد الايمان ويسري ذلك لآخواتهم الذين انتظموا في سلك جيوشه فيفسد
نظام افريقية بارتدادهم على الاعقاب بعد ان انتشر فيهم دين الله حتى
اتصل ببلاد السودان وكان عقبة نظر لهم بمرآة الحق لان ولي الدين ابن
خلدون اثبت ارتدادهم بعد مرارا عن الاسلام والخلاصة ان القيروان
كانت متمصرة على عهد بني امية والدولة العباسية ثم على عهد بني الاغلب
وهكذا دام امرها الى اوائل المائة الرابعة حيث انتقل ملك افريقية منها
للمهدية التي اسسها عبيد الله المهدي ونصب دولته بها في سنة ٣٠٨ للهجرة
وجاء خلفه من بعدا فاعاد عليها شبابها واسس بها ملكا فخيما ضخما حتى

جاء زمن العزيز بن باديس الصنهاجي فكانت على القيروان الطامة العظمى والالفة الكبرى وداعية الخراب بهجوم الاعراب الوافدين عليها من مصر في سنة ٤٤١ وبقيتهم في الارض بالفساد واسفر ليل ذلك الضلام عن صبح الدولة الموحدية فالحفصية وجعلوا دار الملك بتونس ولم يزل بها الى هذا العهد

وتراجعت اذاك شئون القيروان بتقاصريد السلطة الحاكمة فيها بعد ان امتد سلطانها في ثالث القرون ورابعها الى الجزائر وطرابلس ومالطة وصقلية وقلورية من اعمال ايطاليا ناهيك ان قاضيها اسد ابن الفرات هو الذي غزا جزيرة صقلية ومات بحصار سرقوسة من اعمالها سنة ٢١٣ على المشهور

وكانت مدارسها يومئذ زاخرة بالعلوم حتى الطب والحكمة والفلسفة ومن اشهر اطبائها في القرن الرابع احمد بن الجزار الذي سيأتي ذكره اثناء حديث زيارة رئيس الجمهورية لمستشفى القيروان

ودامت القيروان منحدرة مع تيار الانحطاط السريع فيما بين القرن السابع والثاني عشر حتى كاد ان لا يكون لها ذكر في تواريخ تلك العصور وهكذا الى اواخر الدولة المرادية فكانت اذاك مسرح الفن ومسرح المحن التي انجرت لها من اقراض المرادين وقيام الحسينيين مقامهم في ملك تونس فاعتنى بها المولى حسين بن علي بعض الاعتناء وجدد عمارتها واحيا دارسها كما سترلا بمحلها

هذا ولم يزل بالقيروان من المشاهد والمعالم والمعاهد الاسلامية سالا
يوجد بغيرها من بقية مدن المملكة التونسية وهذه المعاهد هي التي اكسبتها
شهرة مطبقة بالعالم الدروباوي لانها كانت قبل الحماية مغلقة الابواب في
وجه الدروباويين وحذار حذار ان تطاها اقدام اليهود فاعتقدوا بجهل منهم
ان في فتح مساجدها ومعاهدها لغير المسلمين فتحا ادبيا عظيما وهو ليس بذلك
لانه خلافا لما يتوهمون ليست القيروان من التقديس في شيء وليست
مساجدها باكثر احتراماً من مساجد بقية بلاد المسلمين في الشرق والغرب
وقد زار ملك انكلتيرة ادوارد السابع وهو ولي عهد امه الملكة فيكتوريا
قبر رسول الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ايام السلطان عبد العزيز
خان وبالرخصة منه ولم يجد المسلمون في نفوسهم من ذلك

على ان فخامة رئيس الجمهورية وهو الرجل المخنك الخير العليم
بسياسة الامم ترفع عن اخراج نفوس القيروانيين بالدخول لمساجدهم
فاكتفى بمشاهدتها من خارج او بمجرد المرور عليها كما سترأ بمحل ولا
ريب ان في صنيعه هذا من المجاملة والملاطفة ما لا يخفى على لبيب

هذا وقد حان الاوان للكلام على زيارة فخامته للقيروان وها انا اذا تنقل
حديثها للقاري الكريم متوسطا بين الاختصار المخل والتطويل الممل وحيث
لم يتقدم الكلام في هذا التمهيد التاريخي لنشأة معالم المدينة وترجمة
رجالها فانه اتماما للفائدة الحقت كل فرع باصله متكلا في زيادة البيان على
فطنة المطالع والحديث مع اهله



استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية عند دخول فخامته القيروان

ففي مساء يوم الاثنين ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٢٩ وفي ٢٥ افريل عام ١٩١١ على الساعة السابعة وصل الرتل الذي يحمل فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية وحاشيته وكافة اعيان طبقات الاهالي والموظفين مصطفىين بداخل المحطة على خط مستقيم مواز لشريط السكة من الشرق الى الغرب فتلقا عند النزول مراقب القيروان مسيو منشكور وبعد ان صافحه اخذ في مصافحة صفوف المقتبلين كاهية المجلس البلدي واعيان فرنساوين واعضاء اللجنة البلدية وعامل القيروان السيد الهادي المرباط واذاك ارتجل العامل خطبا بهذا معناه ..

يا فخامة الرئيس

ان زيارتكم تدل على عناية فرنسا بالامة المحمية وتبعثنا على الرجا
 بزيادة احكام روابط اللفة التي تجمعنا بالفرنساوين وقد قلتم ياسيدي
 الرئيس ان القصد من رحلتكم هذه هو استطلاع احوال هذا الديار التي
 احميتكم فلا شك ان زيارتكم والحالة هذه ستكون عاقبتها لدينا
 خيرا من الوجهتين الحسية والمعنوية - فليعش فياير ولتعش الجمهورية
 وقد اجابه فخامة الرئيس بقوله

يسرنني ان رحلتي قد اخذت في الاثمار لانكم اشرتم لكلام قلته اخيرا
 بالعمالة التونسية ومعناه ان مرغوبي ليس التفسح فقط بل استقرا
 احوال هذه البلاد وسماع صوت ابنا وطني وماذا يرغبون لذلك نرى من
 وسائل النجاح ايتلاف العناصر بين الفرنسيين والتونسي حتى تصبح مصالح
 الطرفين متمزجة ببعضها تعاكي مصالح وحيدة للجميع ومنه ترون ان
 وظيفة الكل هي العمل لرفع شان فرنسا وتونس معا وحيث انكم ناديتهم قائلين
 « لتعش فرنسا » فانا اقول في نوبتي « لتعش تونس » ثم اعاد فخامة الرئيس
 مصافحة العامل والشيخ محمد صدام الباش مفتي وصافح بعدهما القاضي الشيخ
 محمد العلاني فالسيد صالح النجار العضو بالمجلس الشوري فالسيد حميدة
 الجبري رئيس المجلس العدلي فالسيد محمد المقداد نائب جمعية الاوقاف
 فبقية الموظفين والاعيان الحاضرين من عمل القيروان

ثم صافح رجال عمل جلاص مبتديا بالعامل السيد الطاهر بن احمد
 وابنه السيد محمد خليفة سيدي علي بن نصر الله والقي العامل المذكور

عبارات الاحترام والترحيب كما التقى ابنه جملا باللسان الفرنساوي في الدعاة
لفخامة الرئيس وبعد ذلك تقدم الى فخامته اعيان طائفة اليهود وخطب
منهم باللسان الفرنساوي للترحيب والاحترام لفخامته مسيو كوهين الوكيل
بمقصوية الصالح بالقيروان ثم تقدم للسلام على فخامته وفد خليط النزلاء
فاعيان الجالية الطليانية يتقدمهم القبطان نريتو موشح الصدر بوسام الشرف
الفرنساوي الذي كان اهدي اليه اثناء احتلال مدينة خانية بجيوش الدول
الاروباوية ولما خاطبهم الرئيس اعرب لهم عن انشراحه لحضور الاسطول
الطلياني للسلام عليه بميالا بنزرت وذكرهم ان جنسهم والجنس الفرنساوي
يجتمعان في اصل واحد وهو الاصل اللاتيني القديم واستغرقت هاتين
التحيات نحو نصف ساعة قلد فخامة الرئيس اثناءها وسام الشرف الفرنساوي
من الرتبة الثالثة للماجور ماسون كمندان عسكري التريور ومن الرتبة الرابعة
للسيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى كما احسن بالوسام الزراعى
لمسيوروهن البيطار البلدي

ثم ركب فخامة الرئيس وحاشيته العربات التى اعدت لهم وقصد
الموكب دار المراقبة بين صفوف الفرسان فنزل بها ضيفا مكرما ورئيسا معظما
وبها قضى ليلته حتى الصباح

اما حاشيته فقد خرجت ليلا للتفسيح ولزيارة المدينة ومعايها الدينية واسواقها
المزدانة بانواع المنسوجات الحريرية المختلفة الالوان وبالزرايبى وادوات
الزينة الرفيعة الباهرة وكانت اذاك صوامع ومنازل المساجد تتللا بالنور



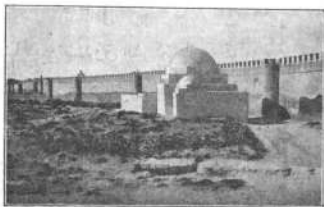
بيت الصلاة بجامع سيدي عقبة بن نافع بالقيروان
 واتفق ان كان احد الحوائب الحاضرين لخضر الركاب الرئيسي وهو
 الصبايحي احمد بوراس ممن تقدمت مصاحبته لركابه الفخيم اثنا زيارته
 لصفاقس حيث خدم فخامته اذاك على مائدة الطعام فعرفه جنبه العالي وتنازل
 لموانسته بالحديث عند حلوله بدار المراقبة حيث نال الحانبة المذكور
 ايضا بما عندنا من التهذيب والمهارة شرف الخدمة بين يدي فخامته اثنا
 تلك الليلة فكان حديث هذا الحانبة يتناقل بين الجموع والافراد من
 الاهالي الذين اخذوا منه دلالة صريحة على لطف وحلم فخامة الرئيس
 زيادة على ما هو متعلق بمنصبه العالي من العظمة والمهابة
 وفي صباح الغداة اي صباح يوم الثلاثاء من ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٩
 ركب فخامة الرئيس في حدود الساعة الثامنة صباحا عربته وسار في موكبه

المحترم محاطا بكوكبة من السبايس تحت قيادة عامل جلاص وعامل
القيروان وكانا راكبين فرسين عريين من عتاق الخيل وعند الوصول
لبطحاء باب الجلادين نزل فخامة الرئيس وحل في الرواق الذي أعدته
شركة « الزربية » القيروانية وكان الرواق محاطا باقواس النصر وجدرانه
مغطاة بالزرابي المختلفة التتميق والالوان فتلقتهم جميعتها واهدت له زربية
قدمتها الى فخامته طى اطار مذهب فتكرم فخامته بقبولها واثنى على ذوق
ناسجي بردها وكانت بها صورة صومعة جامع سيدي عقبة بن نافع ومكتوب
عليها بالنسج عبارة تفيد تاريخ صنعها ولم يكتف فخامته بذلك بل اخذ
على نفسه اظهار رغبته في تنشيط تلك الشركة فاشترى من مصنوعيها من
ماله الخاص زربية كبيرة ثمينة مزركشة بالوان الصوف الطبيعية من ايض
ورملي وقرفي واسود واسود كاحل

ولما نقد ثمنها لامين صندوق الشركة مازحه بقوله « قبيلة كنت
تدفع والآن صرت تقبض » وهي عبارة تطوي حكمة بالغة لان هذا العالم
الانساني مبني على الاخذ والرد ولذلك قالوا ان الانسان مدني بالطبع لانه
يحتاج لغيره كما يحتاج غيره اليه

ومن هنالك تحرك ركاب فخامة الرئيس وحاشيته وعاد للمدينة
فدخلها من باب الجلادين - وهذا الباب والسور المحدد بالمدينة وكان في طول
اثني عشر ميلا على ما قصه التاريخ اسمه عقبة بن نافع الفهري - ومعلوم
انه بتوالي السنين وبتداول الدول طرا على اسوار القيروان ما طرا على غيرها
من المدن فتارة كان شأنها اليك السعادة واونة كان حليف الشقاوم -
هذا القبيل الثاني كان امر سور القيروان الذي بناه الصحابة والتابعون

اذ قد هدمه زياد الله ابن الاغلب سنة ٢٠٩ لما اتهم اهل القيروان بمظاهرة القايم منصور الطنبذي ولم يستأنف بناء إلا على عهد المعز بن باديس سنة ٤٤٤ واذاك جعل تكسيرا اثنين وعشرين الف ذراع ثم خربت القيروان واقفرت سنة ٤٤٩ بيد اعراب مصر المسلمين على المعز ابن باديس باذن الخليفة الفاطمي المستنصر عند ما نبذ المعز الاعتراف بالدولة العبيدية بمصر ودعى للقايم العباسي ببغداد ولما تراجع العمران وجدد السور كان تكسيرا اقل مما كان عليه زمن المعز حتى ان دار الامام السيوري المتوفى سنة ٤٦٢ وصارت له تربة فيما بعد بقيت خارج السور المستجد بعد ان كانت في داخله زمن المعز



مشهد الامام السيوري

وكان اخر الامر باسوار القيروان تجديدها على يد حسين بن علي مؤسس النعائلة الحسينية ادامها الله ولا زال اسمه وتاريخ البناء على داخل ابواب المدينة فعلى باب الجلادين الذي دخل منه فخامة الرئيس ما نصه

سور اتى في عزّة وسرور ليرى غريب البعث بعد نشور
 احي مآثره حسين باينا شققا على المخلوق بعد دثور
 واتى به من ماله بكماله من غير مظلمة ولا تفسير
 يرجو لتلك عفو خالقه اذا ما اضطر ذو ذنب لحي غفور
 بالمصطفى توجه بالتوفيق في حرّكاته من نهي او مأمور
 مادام يثنى ذا البناء مؤرخا جدت بالباي حسين اير
 ثم جدد السور علي باي بن حسين باي وذلك لخرابه من حصار
 يونس بن الباشا علي بن محمد باي الالير حسين بن علي باي بالقيروان حيث
 استشهد هذا الامير سنة ١١٥٣



باب الجلادين

وسار الموكب بعد الدخول من باب الجلادين في النهج الكبير المعتد
 باستقامة بين باب الجلادين وباب تونس وكانت الزينة والرايات التونسية
 والفرنساوية على اكمل نظام ثم مر بالحلفاوين ثم الحجامين



نهج الحجامين بالقيروان

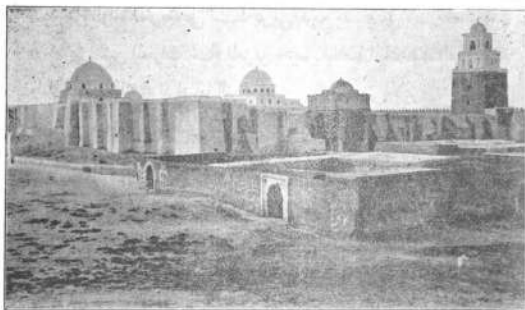
ثم مر الموكب بسوق الخضار ثم عملة القصدير ثم الخرازين ثم
 الزرادعية ثم الصفارين ثم الجزارين وعند الوصول الى باب تونس عرج
 الموكب الى اليمين وسلك مع داخل السور ومر على باب القصة حيث مقام
 الای التريور





مدخل قصباء القيروان

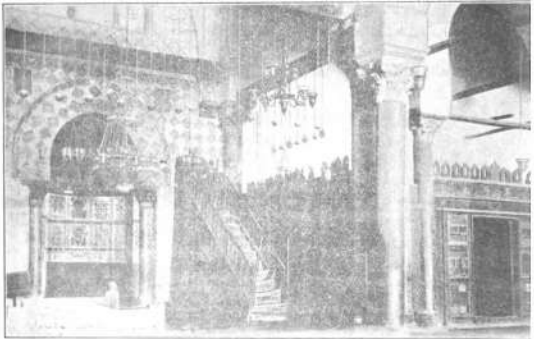
ثم مر على بطحاء غسالة العظام فنهج الزاوية القادرية فنهج السور
الى الجامع الاعظم جامع عقبة بن نافع



جامع عقبة بن نافع وصومعته

اما هذا الجامع الشريف فقد تداولت ايدي الولاة عليه فاونة بالاصلاح
 واخرى بالتوسيع والتفخيم واما بناء الحالي فهو من حسنات زيادة الله بن
 الاغلب الذي دام ملكه من عام ٢٠١ الى عام ٢٢٣ فقد جدد له جميعه عدا
 جدار المحراب الذي بناه عقبة بن نافع فانه ابقاه واقام عليه حايطا حتى لا
 يظهر اثر في الجامع لغيره فعمر هذا الجامع اليوم الف ومائة ونيف من الاعوام
 لذلك كان جديرا بالتشريف والتكريم - ثم جاء من بعدنا ابو ابراهيم احمد
 ابن الاغلب الذي دام ملكه من عام ٢٤٢ الى عام ٢٤٨ وحسن المحراب
 وجعل عليه شبابيك من الرخام يرى من ورائها جدار العقبى العتيق
 وجلب ذلك الرخام من العراق - ورصع وجه حايط المحراب بقراميد
 صينية - واقام بالجامع منبرا غريب الصنع من ساج اتى به من بغداد وهو
 لم يزل قائم الذات اجريت به بعض اصلاحات عام ١٣٢٧ وفي الجامع بيت
 متسع من الواح مخربة على نمط عربي بديع مقام على باب مقصورة
 الامام على يمين المحراب بناه المعز بن باديس لخاصة الملك عند الصلاة
 ولعله قصد بذلك الانفراد اما الترافع عن الناس حتى لا يرون انفسهم
 متساوين معه ولو بين يدي الله القادر على كل شيء واما التباعد عن مقاصد
 اهل السوء والسطو والجرأة



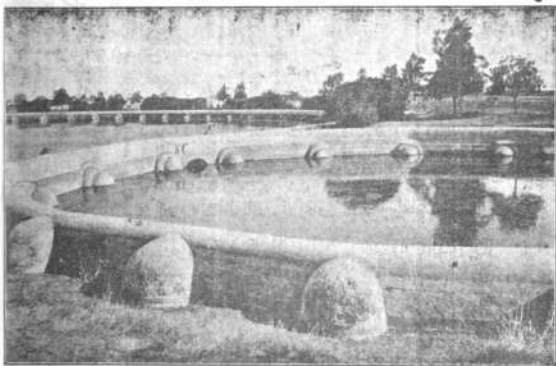


المحراب والمنبر بجامع سيدى عقبة بن نافع

و جامع عقبة هو الكعبة التي كان يحج إليها طلاب العلم من افريقية
 والمغرب والاندلس على عهد امام المغرب سحنون بن سعيد التنوخي القاضي
 المتوفى سنة ٢٤٠ و لاهميته العلمية والتاريخية كانت العناية به متواصلة
 حفظا لثباته وحثا على نشر العلم في كل عهد وجيل وعليه اوقاف جمّة من
 ربح وعقار واشجار حتى في غير القيروان مثل اعمال الساحل وقابس
 وافريقية وهو الان محل عناية الدولة التونسية التي لم تنفك ساهرة بعين
 كتابتها العامة على حفظه والسعي في عود شبابه وليس احد بهذا الديار
 يجهل ما لجناب مسيورو الوزير المفوض من الايادي البيضاء والهمة
 المتواصلة والمساعدة على احياء ذكر هذا الجامع في الخافقين
 ولما وفد ركاب رئيس الجمهورية لجهة الجامع وقفت عربة فضامته

بباب الصحن وطافت بقية العربات بالجامع من كل جهة حيث كانت ابواب
 المصلى مفتحة جميعا ثم رجع الموكب بعد زيارة الجامع على هذه الصورة
 وخرج من باب تونس قاصدا زيارة المستشفى الاهلي الذي وقع احداثه لثلاث
 سنوات فارطة فنزل فخامة الرئيس وحاشيته فتلقاهم على باب السياج المحيط
 بساحة المستشفى الحكيم الماسوف عليه كارداليافي مدير هذا المارستان
 والمعاون الطبي السيد عبد القادر المرزوقي فشكر الرئيس الحكيم المذكور
 وقال له بلغني اعتناؤك واجتهادك في مقاومة انواع الامراض وساله عن اطوار
 خدمته في المملكة التونسية وعن بدلا بفرانسا فعرفه الطبيب بذلك وبين له ان
 عدد الكشوفات الطبية التي جرت على يده في العام الفارط كانت تسعة عشر الفا
 وعدد ذلك في الشهر الفارط « مارس ١٩١١ » الفان وخمسمائة وقدم الى فخامته
 معاونه السيد عبد القادر المذكور فسال فخامته عن نشاط المعاوين المسلمين
 ونجاحهم فشكره الطبيب التلامذة المتخرجين وقال ان مشروع تخريج التلامذة
 المعاوين من انفس اعمال الحكومة وبعد ما شاهد بيوت الرجال والنساء خرج
 من باب دار النساء وكان دخوله من باب دار الرجال وقبل ان يبارح
 المستشفى احسن فخامته بالوسام العلمي للحكيم كارداليافي المذكور وبمثله
 للسيد محمد المقداد الورتتاني نائب عموم الاوقاف اما بالقيروان المستشفى
 المذكور فقد كان الشروع في بنائه عام ١٣٢٦ وتم وفتح للمرضى يوم
 الاثنين الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ والثالث من ماي ١٩٠٩
 في موكب حافل حضرا جناب الوزير المقيم العام وجناب مسيو بلان

الكاتب العام ومراقب القيروان وعالمها والمجلس الشرعي ونائب الاوقاف
ووكلاء الاحباس بها وخطب يومئذ المراقب المذكور وهو من المستعربين
المجيدين وتمنى ان يرى من ابناء القيروان الميل الى تعلم الطب حتى يرى
منهم امثال احمد بن الجزار الطيب القيرواني في القرن العاشر للميلاد
(الرابع للهجرة) ثم اعلن بافتتاحه للبؤساء وابناء السبيل واثنى على همة
جناب الكاتب العام ونشاط نائب الاوقاف بالقيروان الذي اشار بتسميته
بمستشفى ابن الجزار احياء لذكر ذلك الحكيم القيرواني الذي كان يعيش
في القرن الرابع وتنبها لمجد مدينة القيروان ثم ان فخامة الرئيس توجه
من المستشفى لزيارة فسقية الاغلبة وتعرف في التاريخ بماجل بني الاغلب
بنال ابو ابراهيم احمد بن الاغلب خارج باب تونس على شكل هندسي كثير
الاضلاع وكان شرب اهالي القيروان منه وبنى في وسط الماجل صرحا مشمن
الشكل باعلاا قصبة ذات ابواب اربعة تحمل احد عشر رجلا يجلس فيها
الامير مع حاشيته ولا زالت بقية ذلك الصرح الى الان في مركز محيط
الفسقية المذكورة وهذا الماجل الذي اتمه احمد بن محمد بن الاغلب
عام ٢٤٨ كاد ان يذهب ضحية الاهمال ويطوي الدهر خبره لولا ان
تداركته الحكومة في عهد الحماية وظهرت محاسنه واحيت به ذكر
صاحبه واليه تدفع الان المياه الفاضلة من عين الشريشيرة المجلوبة لشرب
القيروان وهو شاهد عدل على ما لصدر الاسلام من الاعتناء بعلوم العمران
وحسن الذوق وكمال الحضارة وعلى الماجل المذكور اوقاف مع
بقية الفساتي التي لنظر جمعية الاوقاف

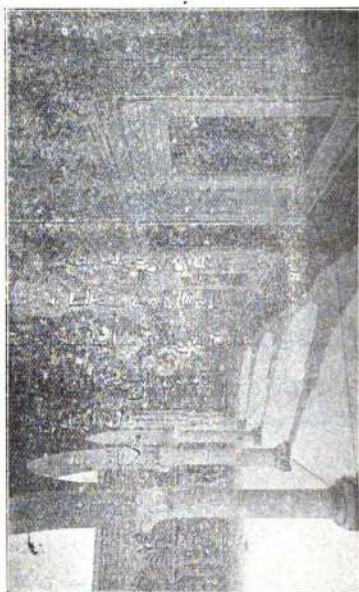


ماجل بني الغلب بالقيروان

ثم مر الموكب الرئيسي بمقام سيدنا ابي زمعة البلوي ورجع الى محطة سكة الحديد وكانت فرسان العروش فوق خيولها المطهمة باكمل زينة على سمطين ممتدين على طول الطرق التي سلكها ركاب فخامته ولما كانت الساعة العاشرة تحرك الرتل قاصدا مدينة سوسة

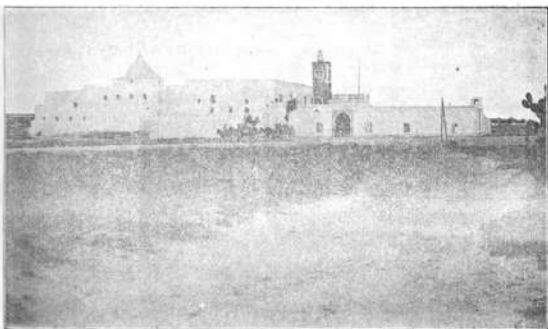
اما سيدنا ابو زمعة المذكور فهو عبد الله ابن آدم الصحابي دفين القيروان ومعه شعرات من جسد النبي صلى الله عليه وسلم اتى مع رجال الفتح ومات ودفن هناك ويوجد على جدار القببة التي بناها بتربة ابي زمعة الامير حمود باشا المرادي في اواخر القرن الحادي عشر هذه العبارة « تاريخ وفاة ابي زمعة عام ٣٤٤ » ويتصل بالقببة صحن متسع

ورواقات مكسوة بالقراميد الاندلسية ذات الطلاء الملون البديع ويلى
الصحن مدرسة لطلاب العلم وحفظ القرآن الشريف



منظر داخلي من زاوية سيدنا أبي زمة البلوي

ويتصل بذلك علو كان معداً للنزل امراً؛ تونس عند وفودهم على
القيروان يعرف بعلو الباشا



منظر خارجي من زاوية سيدنا ابي زمعة البلوي

هذا وبما لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتبار في النفوس
ولاستصحابه شعرات النبوة لا اعتنى بترتبه السلف والخلف ووقفوا عليها الموقوفات
الطائلة ومن ريعها تخرج الان صدقات كثيرة على الفقراء ومستشفى ابن الجزار
وطلبة العلم والقراء والمدرسين - هذا ولاستيفاء حديث الزيارة الرئيسية
للقيروان لامندوحة للكاتب من التعرض للجسادة والمهارة التي قام بها
ابوجناح بوفي صبيحة يوم مبارحة الرئيس للقيروان فان هذا الرجل
الجسور قد انجز اثنا مرور الموكب بالمدينة تمرينات غريبة على صفحات
الجو الان العيون رمته بسهام فوق جريحا فوق جدار وقامت حينئذ
ضجة ارتياح بين كافة الناس واسرعوا لاغاثة فاما طيارته فقد تكسرت
اربا اربا واما بدنه فقد عاينه الحكيم وبشر الحاضرين بان جرحه لا يخشى منه
على حياته وقد اهتم فخامة الرئيس بامرلا وبعث له من يبلغه تحيته ويهنيه بالسلامة

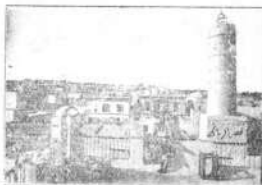
الباب التاسع

في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية

واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية

اعلم ان سوسة اسمها الفينيقيون وعندهم ورثها الرومان وكانت تسمى على عهدهم هدر وميطوم وهي من اقدم ثغور الاسلام فتحها الصحابة في سنة ٤٥ للهجرة على يد معاوية بن حديج بالحاء المهمة في خلافة معاوية بن ابي سفيان وكان ذلك في معركة مشهورة مع عساكر الروم الذي سيرهم امبراطور القسطنطينية لمحاربة جيش العرب الفاتحين الا ان النصر كان حليف المسلمين في تلك الوقعة فهزموا عدوهم على مقربة من قصر الجمل الوارد ذكره في محله من هذه الرحلة ومن آثار السلف بها قصر الرباط وجامعها الاعظم وكلاهما احدهما السلطان محمد بن الاغلب فاما القصر فكان معدا لسكنى الغزاة حين كانت سوسة مرسى حريا لدول القيروان وفيها تحشد الجيوش والاساطيل المعدة لفتح جزيرة صقلية وفيه صومعة شهيرة شاهقة البناء كانت ناظورا للمرابطين يترصدون منها طلائع العدو فيكشفون من بعد على اساطيله ويهاون لمواجهته بالنيران الحامية والسيوف اللوامع وفي هذا المقام روى التاريخ ان غالب الثغور الافريقية على ساحل البحر المتوسط من طرابلس الغرب الى طنجة كانت بها نواظير على نمط صومعة قصر الرباط بسوسة فاذا لاحت اساطيل العدو لواحد من هاتيك الثغور بادر مرابطوها الى اعلام الثغر القريب منهم بعلامات واشارات اصطلاحية ترى من بعد فيبادر اهل ذلك الثغر باعلام الذين يلونهم وهؤلاء

يفعلون على اثرهم مثل ذلك مع الدين يلونهم وهلم جرا بحيث ان كافة
نفور الاسلام بافريقيا تكون في وقت واحد على علم من الخطر الذي
يتهدد بلاد الاسلام فتأخذ حذرهما وتذهب للدفاع او الهجوم وفي عصرنا
هذا تحول قصر الرباط لمدرسة لطلبة العلم



قصر الرباط وصومعته

اما الجامع الاعظم بسوسة وناهيك به من مسجد صلى فيه سحنون
وغيره من ائمة الفقه فقد اسسه محمد بن الاغلب اند كور سنة ٢٣٦ ثم زيد
في بنائه بعد سقوط دولة بني الاغلب الى ان تعاضم شأنه واصبح من اضخم
جوامع الاسلام بشمال افريقيا ولقد نقشوا باعمدته في اواسط المائة الرابعة
هذه العبارة وهي « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » مما يويد ما قصد
علينا التاريخ من اذلال وامتهان اهل السنة بسوسة في دولة القايم ابي القاسم
محمد بن عبيد الله المهدي ثم تغلب الحق على الباطل واعتلاء اهل السنة على
الشيعة وهوما اشار له احد شعرائهم المجيدين احمد بن صالح السوسي حيث قال

مدينة سوسة في الغرب ثغر تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريظة والنضير

اتاهها الخارجون ليملكوها فكان من الاله لها نصير
اعز الله خالق كل شئ بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا نصره ظهرت دواهي يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكرا سوسة كل ارض ويفشى اهلها العدد الغفير
قيل ان الفحش والظالم والقساوة التي ارتكبها الشيعة نحو اهل سوسة
اوائل المائة الرابعة جعلتها قاعا صفصفا لا ترى فيها انسيا سنيا الى ان اتاح
الله نصره لاهل السنة فاستعادوها من اهل الشيعة واصبحوا كلهم على مذهب
امام دار الهجرة ملك من انس لتوحيد المذاهب يومئذ بافريقية دفعا للشبهات
ولمدينة سوسة ينتسب جماعة من اهل العلم منهم الامام يحيى بن عمر
الكناني وعنه اخذ علماء القيروان (راجع كتاب اقتباس الانوار)



ضريح الامام يحيى بن عمر الكناني بالبطحاء البلدية الجديدة بسوسة
اما اليوم فسوسة هي عاصمة البلاد الساحلية جمعا يربو عدد ساكنيها على
٢٥ الف نسمة وهي بلاد تجارة نافقة وغراسة دافقة ارجاءها زاهية واحوازها
زاهرة بغروس الزياتين والعمارات والمصانع وليس عمل من اعمال المملكة
التونسية اكثر من عمل سوسة عمراننا ومدنا وقرى وشونها البلدية يدبرها

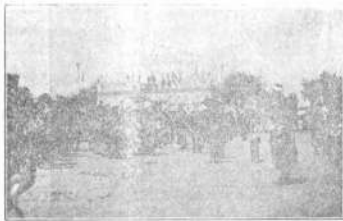
مجلس يديره نخبة من اهاليها المسلمين والفرنساويين تحت اشراف عاملها
 الفيور ورئاسة معتمد فرنساوي تمحض خدفا وحزما وهو الاستاذ غاليني
 الذي سيأتي ذكره في هذا الباب من الرحلة
 فلما دخلها الرئيس قرب زوال يوم الثلاثاء ٢٥ افريل ١٩١١ كان
 الهواء ناعما والغزاة تغشي باشعتها الابصار وكانت الغرس والزرع قد اخذ
 نصيبه من نعمة الغيث فاصبح جماله يسحر الابصار



الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسي اليها
 ولدى نزول فخامته بموقف الحديد تقدم للسلام عليه كل من مسيو
 دوماس المراقب المدني بسوسة وعاملها السيد البشير صفر والاميرال
 ييلوقايد اسطول بنزرت حيث عاد لساحلها باسطول المهيّب

بعد ان قضى اياما في ميلا صفاقس وعاد للاتحاق بفخامة
الرئيس عند قدومه لسوسة ثم للعودة لميلا بنزرت ليكون على اذن جنابه
للرجوع بفخامته لفرنسا يوم ٣٧ افريل ١٩١١

وكانت محطة السمكة بسوسة غاصة بوجوه المستقبلين يتقدمهم الجنرال
ديزورت والمجلس البلدي والمجلس الشرعي والمجلس الافاقي ورجال العدلية
الفرنساوية وسائر الادارات والهيئات الرسمية واصحاب الحشيات من سائر
الطبقات وعندئذ تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته بالاعيان
الحاضرين ثم عرض على جنابه مراسم تهنيتهم واحترامهم جميعا فشكر
فخامته سعيهم وقلد اوسمة من درجات مختلفة منها الصنف الرابع من
الجيون دونور للملازم السيد احمد بن حسين من جيش التريوز



موكب تقليد الاوسمة بسوسة

ثم انتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر على نغمات الموسيقى مارا
بشوارع المدينة وكانت لابسة ثوب الزينة واعلام الفخر خاققة على معالمها
والناس قد غص بهم رحب الفضاء فكان الموكب يسير الهونا لشدة

الازدحام والفرح الذي بلغ بالسكان حد الهيام ولما وصل الركاب الرئيسي لدار المراقبة نزل فخامته والوزراء ورجال الحاشية ودخلوها مع الاعيان المصاحبين لهم احضور مادبة الاكرام واذاك اطلق الاسطول مدافعه اشعارا بالسلام على فخامته

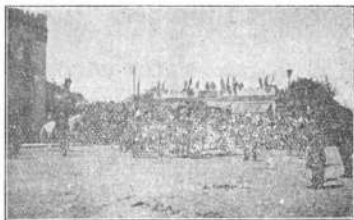
وقد حضر هذا المادبة الفاخرة كل من جناب عامل سوسة ورئيس مجلسها البلدي وكاهيته مسيو غاليني السالف الذكر فلما حضرت ساعة شرب القهوة انتقل فخامته ومعيته لقاعة الاستقبال وتجاذب مع الحاضرين اطراف الحديث واذاك استدنى من فخامته صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة



السيد البشير صفر عامل سوسة

وأنسه بلطيف القول ثم اخذ يساله عن حالة الراحة التي ما انفكت متواصلة
 بجهات الساحل ولما اكده صاحبنا المذكور اخلاص الاهالي للسكون
 والاقبال على شئونهم بفضل العدالة التي مدت رواقها فيما بينهم انجربه
 الحديث للكلام على الجرائم الشاذة التي هي من خصوصيات البدو
 كاختطاف الابكار بداعي العشق والغرام وهنا افاض العامل القول على ما
 يعقب ذلك من الدفاع عن شرف المعارض الذي يؤول في غالب الاحوال
 للطلاق بين العاشقين فاستفهم منه فخامة الرئيس صورة الطلاق في الشرع
 الاسلامي فشرحه له مبتدأ بالاشارة لونه « ابغض الحلال الى الله » ثم بين
 درجات الطلاق الرجعي والبائن وختم كلامه بمعنى الطلاق بالثلاث
 القاضي بالفصل بتاتا بين الزوجين وحينئذ اخذ فخامته يتتبع مجاري
 الحديث بكل تفهم وتمعن فادته قريحته الصقيلة للاستفسار هل من سبيل
 بعد ذلك للجمع بين الزوجين لانه استروح من جواز تكرار النكاح
 والطلاق مرارا السر الخفي الذي ذهب بالشارع للركوب بامته مركب اليسر
 لاستدامة الالفه والمعاشره العائده طبعاً بتنمية اعداد جماعة المؤمنين وصون
 الرجال عن مد عيونهم لنساء الغير

فقص عليه صاحبنا العامل عندئذ حديث المراهق على المذهب الحنفي
 واقفا دون (حديث العسيلة) واذك ادرك فخامته بقية النازلة فضحك كثيراً
 ولما استاذن العامل للانصراف حياء فخامة الرئيس وصافحه مصافحة الكرام
 ثم ان فخامة الرئيس تلقى مراسم المودعة من كبار المامورين
 بسوسة وركب عربته وسار موكبه بعد الظهر معفوفاً بالاقبال

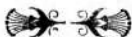


موكب فخامة رئيس الجمهورية عند مبارحته لسوسة

والاجلال قاصدا السكة الحديد حيث ركب الرتل عائدا لحاضرة
تونس فوصلها بسلام

هذا ونختم كلامي على مدينة سوسة بذكر حكاية لطيفة ذكرها
الحميدي في تاريخه قال « اخبرني بعض اصحابنا بالاندلس عن سليمان
ابن محمد الهروي الصقلي قال كان بسوسة افريقية رجل اديب شاعر وكان
يهوى غلاما جيلانا من غلمانها وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه قال
فبينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب
من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قيس نار ويحرق على الغلام دارا لتجنيه
عليه فقام من حينه وجعل ذلك واتفق ان رؤا بعض الجيران فبادروا النار
بالاطفا ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموا فاحضره القاضي وساله عما
فعل فانشا يقول ارتجالا

لما تمادى على بعادي واضرم النار في فوادي
ولم اجد من هو الا بدا ولا معيناً على السهاد
حملت نفسي على وقوفي ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي اقل في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علم ولم يكن ذاك من مرادي
قال فاستظرف ذلك القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا
يعود وقريب من تجاوز هذا القاضي اليبس صنيع الخليفة عبد الملك بن
مروان يقال انه هو الذي ابطال اول حد في الاسلام اذ رجع عن قطع يد
سارق لانه اشده ساعة الحكم عليه بقطع يده
يدي يامير المؤمنين اعينها
بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
اذا ما شمال فارقتها يمينها



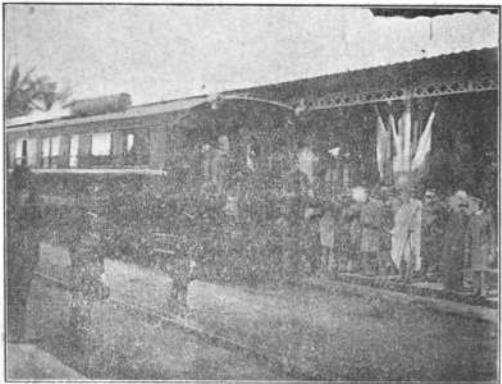
الباب العاشر

في الكلام على زيارة فخامة رئيس الجمهورية للجهات الغربية

ولخرابات دقة ورجوعه لفرنسا

بعد ان قضى رئيس الجمهورية ليلة الاربعاء ٢٦ افريل ١٩١١
بدار السفارة العامة انتظم موكب فخامته صبيحة اليوم المذكور وتحرك
ركابه على الساعة السابعة قاصدا محطة السكة الحديد الجنوبية فمر
موكبه بين اسمطة الجيش الفرنسي اوي على نغمات نشيد المراسياز وكانت
ساحة السفارة واحياء الحارة الاربواوية غاصة بالخلايق والهااتفين بالثناء
لفخامته واذاك اطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة من الحصون واتقلاع اشعارا
بموادعة الحاضرة التونسية لفخامته وبينما كان البارود يتكلم استعرض جناب
الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال تحت انظار فخامته فرقة من العساكر
المسلمين المنخرطين في الجندية الفرنسية اوي جي* بهم للمحطة بقصد ارسالهم
للاتحاق بالجيش الفرنسي العامل بالديار المغربية فاستنشق فخامة
الرئيس بسالتهم واتنى عليهم وعلى قائد جيش الاحتلال بتونس





فخامة رئيس الجمهورية عند ركوبه القطار بالحاضرة

متوجها للجهات الغربية

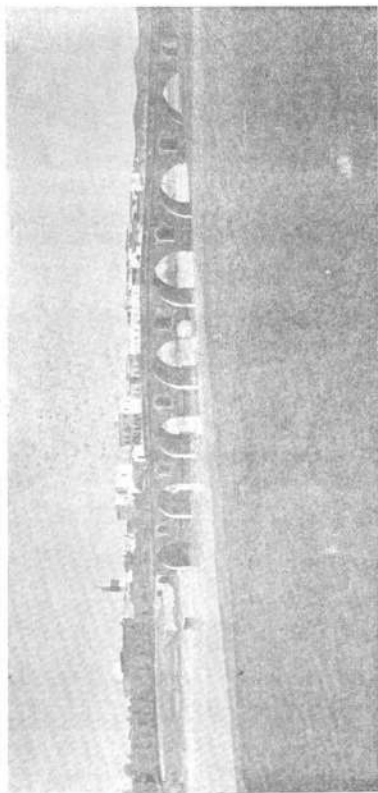
ثم ركب جنبه رتلا مزركشا بابدع اسلوب وهو الرتل الذي كان في خدمة مسيولوبي عند زيارته للمملكة التونسية في ربيع عام ١٣٢٢ فتحرك الراكب قاصدا مجاز الباب يحفه الاقبال والاكرام ولما مريبلد طبرية اوقف سيرا واذاك خرج فخامة الرئيس من غرفته واشرف من برطال العربية على جموع الوافدين للسلام عليه من اعيان النزلاء والاهالي بجهة طبرية فتقدم حينئذ نحو مدرج العربية السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة واعرب لفخامته عن ولائه واحترامه ثم قدم لفخامته المرحوم الشيخ محمد المجابي القاضي الشرعي بطبرية وهو شيخ على جانب

من الوقار اطل على ما وراء التسعين فحيلا جناب الرئيس تحية طيبة ثم تلقى فخامته مراسم السلام والاحترام من المجلس البادي فاعيان النزلاء فبقية الطوائف واذن باستئناف السير فتحرك الرتل نحو بلد مجاز الباب



مدافن قدماء البرابرة بشواط من عمل الاحواز

وهذا البلد كان يسمى عند الرومان « منبريسة » فقضى نحبهم جملة مدنهم التي عفت رسومها بعدهم الى ان جاء الاندلس في جباليتهم الاخيرة سنة ١٠١٧ على عهد عثمان داي فاحيولا كما احيوا واسسوا عدة مدن اخرى قال في كتاب المونس انهم بنوا اكثر من عشرين بلدا بشمال العمالة التونسية وذكر اغلبها وانا انقلها عنه هنا افادة للقاري وتمجيذا لذكر اهل



قنطرة مجاز الباب

تلك الجالية الذين ادخلوا جملة من العوائد الحسنة واسسوا عدة مدائن
واوجدوا نظاما مدنيا للعائلة في البلدان والجهات التي امتزجوا فيها بالعنصر
الاهلي التونسي اما المدن التي اسسوها بالعمالة فهي على ما ذكره المورخ
ابن ابي دينار في كتاب المونس المشار اليه

سليمان

بلي

نيانو

قربالية

تركي

الجديد

زغوان

طبرية

قريش الواد

مجاز الباب

السلوقية

تستور

العالية

قلعة الاندلس



الجسر الروماني بقريش الواد
وباغلب جهات تلك المداين آثار رومانية لم تنزل قائمة الذات تدل
على ما كان لتلك الأرض من الرفعة والشان في فائت الأزمان
وكذلك يوجد بها أيضا آثار للبرابرة كمواجهل توكابر

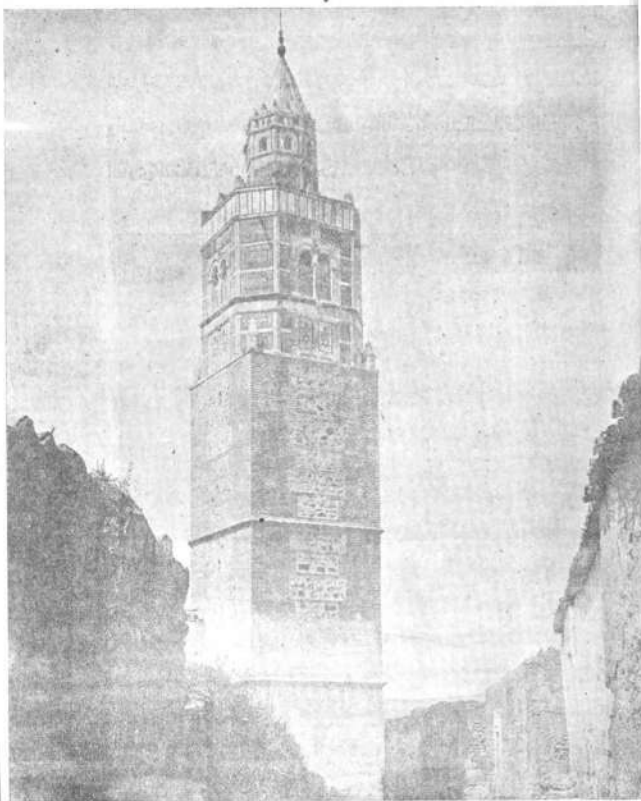


هيكل عطارد بعين طنقة من عمل المجاز
وهو الهة التجارة والفصاحة والتلصص عند الوثنيين



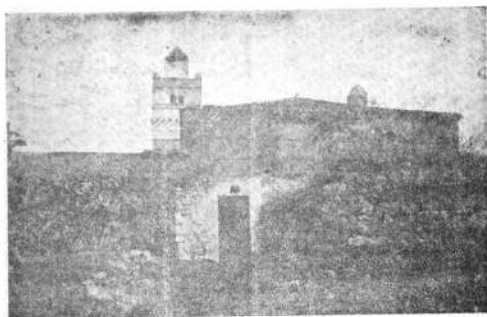
مواجل البرابرة بتوكابر على مقربة من تستور

هذا وبعد ان تلقى فخامة الرئيس مراسم السلام والاحترام من اعيان
 النزلاء ومن وفود الاهالي وكان في مقدمتهم عاملهم الامير الادي السيد محمد
 الدويك ومشايخ الطرق والزوايا والعمد والاعيان انتظم بباب المحطة
 قطار مركب من نحو ثلاثين عربة سيارة في طليعتها السيارة الرئيسية وسار
 الموكب على هذا النظام قاصدا تبرسق فمر بطريقه على بلد تستور ذات
 الصومعة الاندلسية التي تحاكي شكل صومعة جامع اشبيلية على عهد
 السلطة الاسلامية وهنالك التف حول ركابه جموع لا تحصى من الفرسان
 والعربان وكانت بايديهم مباخر الطيب وطفقوا يلهجون بالدعاء لفخامته
 ويخفقون اعلاما مثلثة كانوا قابضين عليها فوق صنيعهم لدى فخامته
 موقع الاستحسان



صومعة جامع تستور الشهيرة وهي من بناءات الاندلس

ولا يسم القاري إلا النظر بعين الاعتبار والاعجاب لهذه الصومعة التي بناها اخواننا الاندلس كما شيدوا بغيرها من الجهات كثيرا من الصوامع والمساجد التي يذكر فيها اسم الله ومنها جامع بلد السلوقية الذي يرى القاري ايضا مثالا من صومعتها هنا



منظر من بلد السلوقية وصومعتها التي احدها الاندلس
في اوائل القرن الحادي عشر

هذا وبعد مبارحة تستور تقدم الموكب الرئيسي قاصدا تبرسق الواقعة بسفح جبل وهي من المدن الاثرية وكانت على عهد الروان طافحة بالعمران واسمها عندهم « تبرسكوم » فلما دخلها الموكب نزل فخامة الرئيس بدار المراقبة المدنية وبها تلقى مراسم السلام والاحترام من المعمرين

الفرنساويين ثم من العامل السيد مصطفى بن عصمان والمجلس الشرعي
واعيان وعمد العمل وتنازل لاشباع الحديث معهم مظهرا عنايته واهتمامه
بشئون ناحيتهم فاستطلع منهم اساليب حراثتهم في تلك الارض التي بطبيعتها
حجرية واستعلم عن درجة خصوبتها وعن حال الزرع والضرع بها الى غير
ذلك من الاستفادات الزراعية وانجربه الحديث معهم لسماع رغائبهم التي منها
طلب توسيع المجال لهم في الاراضي الخصيبة التي ضاق نطاقها لديهم
باقبال شركات الاستعمار على ناحيتهم وبعد انتهاء موكب القبول جلس
فخامة الرئيس للفتور مع وزرائه وحاشيته الدانية

وبعد الزوال بساعة ونصف تحرك الموكب لزيارة اطلال
دقة الواقعة على بعد ستة اميال من تبرسق



جامع بلد تبرسق

وقرية دقة كانت في القديم مدينة رومانية متمصرة وبها الهياكل العظيمة التي منها هيكل « المشتري » الذي اقامه الرومان حين كانوا على الديانة الصائية اكراما للقيصرين مرقوس وفيروس في حدود سنة ٤٥٦ قبل الهجرة فطاف فخامة الرئيس بصحبة مدير الانطكخانة خلال تلك الاطلال وتامل منها بعين العبرة مستوقفا نظرا وفاتحا اذنه للافادات الضافية التي كان المدير المذكور يلقيها بخصوص تلك الديار كانه كان اليها قبل الفتي عام من هذا الزمان وكانت تقريراته بخصوص المسرح والكنيسة والضريح التي هي اهم اطلال دقة محل اعجاب فخامة الرئيس وحزبه لان المسرح كان يحتوي على خمسة وعشرين طبقة من الدرج لصعود المتفرجين ويوجد فيه بالنفس على صفحات الحجر عبارة تدل على انه بني على نفقة احد اهل الثروة من الفلاحين اكراما لآخوانه المزارعين لدرته انه لدرجة الشرف في نظام الدولة الرومانية اما الكنيسة فانها تشبه « الدار المربعة » الرومانية الموجودة الى الآن بنية من اعمال فرنسا سوى ان هذا اصغر من تلك واما الضريح فانه يبلغ لعلو شاهق ويقال ان بناءه متقدم على دولة الرومان وبعد ان اجال فخامة الرئيس نظرا في بقية الاطلال وخصوصا حمامات المياه المعدنية وهيكل الالهة السماوية وواجهل المدينة الرومانية بارح فخامته دقا وركب سيارته وتبعه اهل دائرته وقصد الموكب مدينة الكاف البعيدة من هنالك بنحو سبعين ميلا

والكاف مدينة قديمة وكانت تعرف على عهد الرومان باسم (سيكافناريا) نسبة لكوكب الزهرة التي هي آلهة الجمال والخلاعة عند قدماء اليونان

وهي واقعة في سفح جبل على نسبة ميل ونصف فوق سطح الماء لاجل ذلك كانت لسبب ارتفاعها من اهم المعاقل الحربية

فلما وصل الموكب الرئيسي مدينة الكاف قبيل الغروب كان اهل البلدة باجمعهم في انتظار فخامة الرئيس وكانت معالم المدينة وانهاجها وبطاحها لابسة من الزينة ثوبا قشيبا واقواس النصر متعالية برحابها وشوارعها غاصت بجموع المستقبليين الوافدين من قرب ومن بعد وكانت المزامير العربية تعزف والطبول تقرع بافراط حتى يخال السامع والناظر انه المنام لما حصل للكافيين من الفرح والهيام فمر فخامة مسيو فليار وسط تلك الجموع والوفود الحشيدة ومن جملتهم وفود التلاميذ فحياهم فخامته وخطبهم بقوله « ثابروا ابناي على التعلم فان عيون فرنسا ناظرة اليكم وهي لا تنساكم » ثم سار وعلائم البشربادية على محيلا سيما عند مشاهدته لجملة من الاعراب كانت برانيسهم موشحة بميدالية مراکش اشعارا بانهم كانوا قاتلوا في سبيل المدينة الفرنسية بالمغرب الاقصى ولما وصل ركابه دار المراقبة نزل بها واذن بانتظام موكب القبول

واذاك تقدم مسيو برات المراقب المدني بالمكان وادى لفخامته عبارات التهنية والاحترام ثم تناول فخامته باقة من الزهور من يد اللطيفة ابنة المراقب المذكور ومثلها من يد الماجدة ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين وكليهما في نحو الساعة من عمرها



الماجدة الاصيلة تاج البخت

ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين

وكانت هذلا البنت الجوينية تحمل لبوسا بدوية فاخرة وعايها من
الحلي والحلي قدر وفير فلما حيت فخامة الرئيس بلسان فرنساوي فصيح اعجب
بمنطقها وبزتها ولطفها ولم يتمالك عن حملها وتقبلها

ثم تقدم نحو فخامته لاداء مراسم السلام والتهنئة المعرون فرنساويون
فمتوظفو الادارات فرنساوية فاهالي الكداف يتقدمهم عاملهم السيد احمد
السقاط محوطا بخلفاواته وباهل المجلس الشرعي والمشايع والعمد والاعيان
فالسيد المختار الجويني عامل تاجروين يعصدا خلفاواته وشيوخ وعمد
واعيان العمل

فبقية الطوائف على اختلاف الملل والنحل ومنهم ابناء الجالية الطليانية
وقد حياهم فخامة الرئيس تحية ودية صرح لهم اثناها بانشرحه لوفود

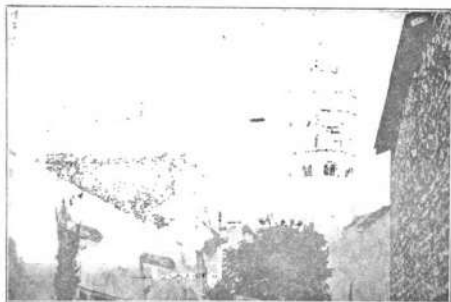
الاسطول الطلياني للسلام عليه بنزرت في هذا الساعة التي تحتفل فيها
الامة الطليانية بعاصمة رومة بتدكار مرور خمسين سنة على تاسيس الوحدة
الطليانية التي اختلطت دماء رجالها مع دماء ابناء فرنسا في وقعة « مجنته »
الشهيرة لتأييد مقصد واحد

ثم لما انتهى موكب القبول اشرف فخامة الرئيس من معارج الدار
على العساكر واستعرض كتيبتين من الادي « الجوايو » وقد اعجب ببسالتهن
وتسابقهن في مضمار الشجاعة ثم استعرض فخامته الخيالة المسلمين وعاد
لداخل المراقبة حيث استراح رده زمن ثم تاهب للعشاء مع الاعيان
الحاضرين

فاقام فخامته مائدة فاخرة بدار المراقبة دعى اليها الوزراء وبعض
الذوات كما اقام ارباب الصحافة الباريسية مائدة حافلة اكراما لجناب مسيو
بلان السكاتب العام ولجناب مسيو بير يال مدير التعليم الصناعي وكاتب السر
بالسفارة الفرنسية

وبعد ان تفسح اولئك الذوات بالمدينة وكانت آية في الزينة
والاسراج بعناية مجلسها البلدي وعاملها النشيط وحضروا الالعب النارية
والشماريخ توجهوا لمراقدهم ونهضوا بكرة الغداة متاهيين للرحيل





الجامع الاعظم بالكاف

فانتظم اذاك الركب الرئيسي وخرج فخامة مسيو فليار من دار المراقبة المدنية محفوظا بوزرائه ورجال حاشيته وبعد ان تلقى مراسم الوداع والاحترام من المراقب المدني وعامل الكاف وبقية الاعيان امتطى سيارته السريعة وتبعه الجمع راكبين ثلاثين سيارة خفيفة وبارح الموكب الكاف مارا بخنقة جبل الدير ومكتشفا من علوشاهق على سهول السرس الخصيبة والبديعة المنظر ثم وقف موكبه لحظة عند وصوله لبلد نبر لمشاهدة الاشغال الجارية لنصب سكة حديدية منها الى ماطر القصد منها تسهيل نقل النتائج المعدنية من الجهات الغربية الى نغر بنزرت ومنها لفرنسا واروبا ثم استأنف فخامته السير وبعد قليل وصل لجندوبة وكانت ارضها كالزبرجد تبشر بصابرة بعد العهد بمثلها فاحي مرها في اذهان فخامته ورجاله تدكار خصوبة دخلة جندوبة في العصور الخالية حتى وقع التعبير عنها في كتب التاريخ بمطمور رومة ولما كانت الساعة العاشرة وصل الركب لمدينة سوق الاربعاء وهي من المدائن المحدثه بعد الحماية الفرنسية



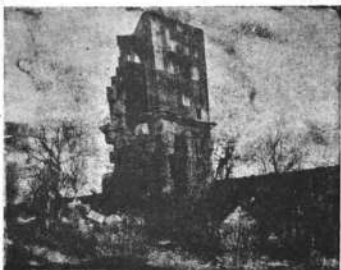
• منظر من بلد سوق الاربعاء

وكانت تلك البلاد مزدانة بالرايات واقواس النصر وعلايم السرور بادية
 على وجه سكانها فدخاها فخامة الرئيس مارا بين اسمطة العسكر الخفيف من
 الاي التريس الثالث وبين هتاف الوف العربان والبدو المتوافدين من اعمال
 الرقة وعين دراهم وجندوبة والشحية واولاد بوسالم وغيرها من الجهات الغربية



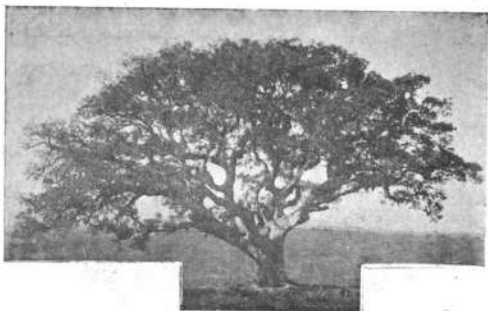
رسم اصلي من عربان دخلة جندوبة

واذاك تقدم الموكب ونزل الرئيس بمحطة السكة الحديد واذن بانتظام
موكب القبول ففتح فخاته المجلس بسماع النشيد الوطني الفرنسي تغنى
به بين يديه تلاميذ المدارس ثم تلقى مراسم السلام واحترام من مراقب
سوق الاربعاء ومن ليف المعمرين والمتوظفين الفرنسيين ثم من السيد
حسونه الزواري عامل جندوبة والسيد الصادق بن خليفه عامل الشبيحة



ضريح روماني بعمل الشبيحة

والسيد احمد الاخولا عامل الرقة والسيد حميدة الحبيب عامل عين دراهم
يمضدهم خلفواتهم ومشايخ وعمد المدائن والقرى والنجوع بالاعمال المذكورة
فأثنى فخامة الرئيس على الجميع واستحسن بزتهم العربية ونظر بوجه خاص
لجمع من اهالي جبل خمير جاءوا مع عاملهم للاعراب لفخامته عن طاعتهم
وجنوحهم للهدوء والراحة وتمتعهم بالعدل والامان في ظل الحماية الفرنسية
بعد ان كانوا قبل قد اخذوا حظا في الفتك والنهب بين الناس اثناء وقائع
الاحتلال لانهم كانوا يعتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح



شجرة الفرنان

التي كان عربان خمير يقدمون اليها النذور وقد احترقت عام ١٣٢٥

ثم ان فخامة الرئيس احسن بالميدالية العسكرية لنفرين من جيش
الجندرمة وتسلم عدة باقات من الزهور من يد تلميذات مسلمات وفرنساويات
وخرج من محطة السكة قاصدا حضور مادبة انيقة اقيمت هنالك تحت
خيام مزركش على نفقة شركة بون قائلة فجلس فخامته وجلس حوله
الوزراء والوزير المقيم والكاتب العام وبقية الدوات وكان مجلس الطعام
موسوما باللطف والظرف وعلايم الفرح والنشاط تتلأعلى جبين الحاضرين
وفي ختام الفطور نهض جناب مسيو الابنيت الوزير المقيم العام والقى خطابا
عظيما هذا نصه



موكب الخطب بسوق الاربعاء

ياسيدي رئيس الجمهورية

المامل من الميسوتريلات الذي هو من اكرم اهل القرا والذي قام
مع من شاركه في ذلك من معاونه بالعجب العجاب مدة اسابيع عديدة
في تهيئة قبولكم بما يليق ان يتفضل بالتنازل لي عن مهمة الخطاب لنعرض
على فضامتكم مراسم الوداع بالنيابة عن العمالة التونسية في هذا الحين الذي

وصلتم فيه لنهاية هذا الرحلة التي ستبقى خالدة بتواريخها ولا ينسى لها
 بعد ذكر لان زيارتكم لم تغفل اي ناحية من النواحي
 هذا وقد امكنكم ان تشاهدوا مقدار ما حصل عليه هذا القطر بسرعة
 من استكمال عدته تحت نظر وصيته فرانس : فهذه طرقاته وهذه سكه
 الحديدية قد استحقت من طرفكم الثناء الذي سنفتخر به كما ستفتخر به
 ادارة الاشغال العمومية - ومعلوم ان هذه الادارة هي التي تولت هندسة
 مجموع خطوطنا الحديدية ولا زالت وفقا لمرغوب المعمرين الفرنسيين
 متواصلة السعي في انجازها اكثر فاكثرا ولا شك ان فخامتكم قد حكمت
 عند فتحها للخط المنسوب بين سوسة وصفاقس بحسن اتقان خدمته
 ذلك الخط

اما السكك الحديدية الشمالية المعدة لتزويد ثغر بنزرت فقد لاقت
 عثرات طبيعية كانت مجهولة في البدء : فصحة المهندسين والنظار الواقفين
 على الاشغال لم تكن باقل اصابة من صحة ملتزمي الاعمال والفعلة بحيث
 انهم لم يتغلبوا على تلك المصاعب إلا باستعمال الاولين منهم لمهارة صناعية
 عالية وايضا لمثابرة ونجدة اخذ الجميع منها نصيبه وليس هنالك شئ
 ينسبهم عبء تلك المامورية اجل من حسن الالتفات الذي قابلتم به صنيعهم
 فلتسمح لي حينئذ فخامتكم بتقديم شعائر شكرهم المزوج
 بشكران المملكة التونسية قاطبة

وان فخامتكم التي لم تفكر لحظة في سبيل الاشفاق على قواكم البدنية
 لم يخطر لها ان تمحو اي حركة متعبة من فصول برنامج الرحلة الذي
 عرض على انظاركم وما ذلك إلا لرغبة منكم في المعاينة والوقوف بداتكم

على كل شئ* مع ان الخطب التي سمعتموها كانت تكرارا محضا - وهذا برهن لكم على وجود احساسات هنا عامة لدى جميع الطبقات وهي احساسات مشتركة عند الجميع مسماها الاخلاص لفرنسا والاحترام العميق مع الاعزاز نحو ذاتكم وقد نال كل أحظه من خطاباتكم حيث اطنبتم القول اينما حلتم بفصاحتكم النضاجة الموهوبة ولطفكم الجامع بين الابداع والبساطة ذلك اللطف الذي سحر بيهائه كل من اقترب منكم لا بطريقة التمييز لان فخامتكم تتنازل ايضا لسماع صوت الضعفاء بل بداعية الفرح والتسابق لتلقي ما يفولا به جنابكم من الكلام

واذا بقي في فتح العمالة التونسية للنفوذ الفرنسي نقص يحتاج الى اتمام فان الفضل في انجازها يكون عائدا لاياديكم البيضاء

واني ارى نفسي بصدد محاولة شئ* مفروغ منه حيث وقفت موقف الترجمة عن احساسات الشعب الذي ما انفك متسابقا منذ عشرة ايام للمثول امام ركايبكم لان كاس فؤادنا قد طفحت بما انا عاجز عن وصفه كما يستحق

هذا واني بمحضر نواب المعمرين الفرنسيين من اهل الفلاحة والتجارة وبمحضر اهالي مراقبة سوق الاربعاء وبمحضر اللطفاء رجال الصحافة الذين لهم يدركهم عياء والوزراء الذين تنمو اجورنا بسرورهم اشرب مع كامل المراعاة المتأصلة بجوارحنا على سلامة فخامة رئيس الجمهورية وعند انتهاء هذا الخطاب الذي تلقاه الحاضرون بمظاهر الاستحسان والتصفيق الطويل قام فخامة الرئيس وارتجل خطابا بديعا اداها بصوت جهوري وبحماسة وقد نقله الصحافيون بطريقة الاختزال في الكتابة وكان سماع الحاضرين اليه وهم وقوف على القدم ونصه بمبارته

ايها السادة

ان العبارات التي سمعتموها تزيد في الاسف الذي حصل لي لاقترب
ساعة مفارقتكم لكن مرادي ان اقول كلمة اخيرة بالعمالة التونسية قبل
افتراقنا من هذه الرحلة - ذلك اني جئت للعمالة لتبليغها سلام الاخوة من
فرنسا وكذلك سابلغ عنها سلام الاخوة لفرنسا

وان ما شهدته وسمعته لم يغير شيئا من الاحساس الذي هو بخلدي نحوكم
من قبل فالاشغال العجيبة التي تم انجازها بهذه الارض تشهد بان مهندسينا
والشركات الحديدية هم الذين مهدوا حقا مشروع المدينة لذلك اشكر
كل الذين شاركوا اي مشاركة كانت في ذلك المشروع ومددوا بالمساعدة
التي من الواجب ان لا تنسى ونعني بهم مدير الاشغال العامة ومهندسيه
والواقفين على الاعمال والمستخدمين والعملة

وبازاء الطرقات الحديدية والاشغال العمومية التي ساعدت على الرفاهية
وتنمية الثروة العامة يوجد ذلك الامر الذي ينقاد قلبي طبعاً نحو جهته ألا
وهو المدارس المفتحة الابواب في وجوه الاطفال الفرنسيين والتونسيين
الذين لا ارى فرقا بينهم لانني لا اطلب الا شيئا واحدا من التونسيين وهو
تعلم اللغة الفرنسية التي هي بكل المعاني لغتنا العالم المتمدن والذي يظهر
يا جناب المقيم العام ان من الواجب صرف عنايتكم الحثيثة نحو هذا
المقصد اذ قد اصبحنا بفضل ادارة الحماية ليس في مقام الاعادي بل
كاحباب يبسط الينا كل الناس ايديهم لنصافحها

ويقول بعضهم اني وديع واني اسط يدي بسهولة للمصافحة نعم انهم قالوا
حقا ولكن لا اسطها الا للذين يعماون لعظمة الوطن - اما الايدي الكثيرة
التي صافحتها هنا فلكوني احسست منها انعطافا مثل الذي احسته مني
ومعلوم ان ضمائرنا لا يوجد وراها مقاصد خفية ولا تحركنا غاية
الفتح اذ لا نرى الا مقصدا واحدا الا وهو فتح القلوب - على انه توجد بين
فرنسا وتونس مشاركة في عوطف شريفة واخرى في الوطنية ولدينا راموز
من ذلك حيث شاهدنا البارحة بفضل قائد جيش الاحتلال استعراض ابناء
القطر التونسي المتوجهين للمغرب الأقصى بقصد اعانة اخوانهم في السلاح
واعلاء مقام العلم الفرنسي ان اقتضى الحال - ولي العلم بان كثيرين
يتجمعون لذلك السفر اعني العساكر الذين بقوا لانه لا يوجد مكان للكل
ثم قال فخامة الرئيس ان رحلته هذلا لا ينساها وشكر اعضاء الصحافة
الفرنساوية والتونسية عن كدهم الذي لم يتطرقه الفشل وسرح لهم باعتماد
على حكمتهم وانصافهم لانارة الراي العام كما شكر الميسومرسيل تريالات
رئيس مجلس ادارة بون قامة عن براعته الغريبة في ادارة الشئون المنوطة بعهدته
اثناء هذلا الرحلة التي ابرز نظامها وتم نجاحها على غاية ما يرام
ثم ختم خطابه قائلا - قد قضينا رحلة عظيمة وجيلة والسادة الوزراء
الذين رافقوني وشاركوني في ابتهاجي يشهدون بي بذلك وانجزنا عملا
للسياسة العمومية بين الدول وجولنا الفكر الفرنسي باصقاعكم التي اشربت
حب العدل والحمية الوطنية المنيرة ونباح هذا القطر معتقدين انه توجد
الأفرسا واحدة وعند شربنا على مجدها وعظمتها نشرب في آن واحد على
مستقبل وسعادة المملكة التونسية

فلما انتهى الرئيس من خطابه قامت ضجة هتاف وتصفيق بلغت عنان السماء
ورطب الحاضرون السنتهم بالدعاء لفخامته وللجمهورية ثم انتهى الموكب
واذن مسيو فليار بالرحيل واذاك بارح فخامته باد سوق الاربعاء

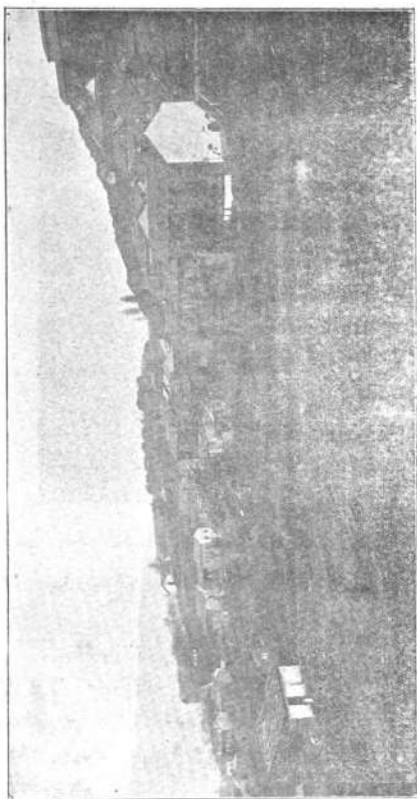


جامع سوق الاربعاء الذي احدث سنة ١٩٠٩
وقبل ان نختم الكلام على حديث الرحلة الرئيسية بسوق الاربعاء قاعدة
عمل جندوبة ينبغي ان اشير لماضى هذا الجهة اوما كانت اعليه من
السعادة والعمران على عهد الدولة الرومانية ويكفى في ذلك ان ننقل هنا
للقاري راموزا من مدينة تلك البلاد الناطقة ارضها حتى اليوم بانثار حضرية
ومجد لم يحه كره الدهور وتعاقب السنين والشهور



مساكن اهل الكهوف في القديم
بجبة ربيعة المعروفة عند علماء الآثار باسم بولاريجا

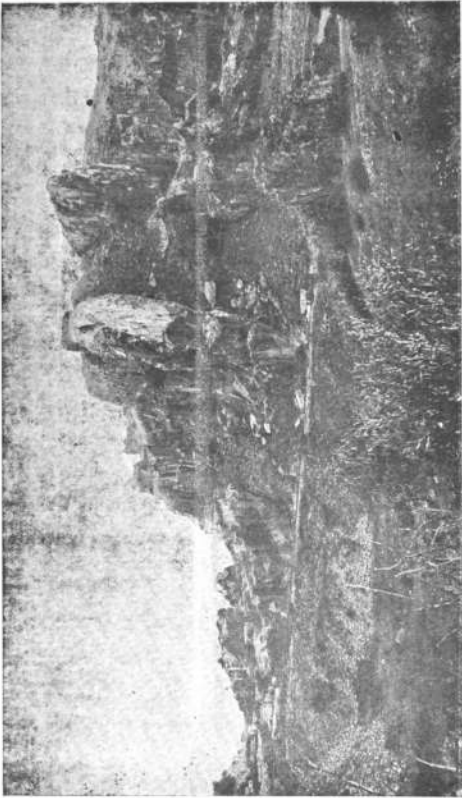
كذلك يرى القاري تلو هذا من مناظر التمدن الروماني ومن ثروة المقاطع المعدنية والمرمية ومن الغيب الملتفة ما يدل على اهمية مناخ تلك الجهات التي اصبحت اليوم مقصدا للسواحين ومصيفا للاروباويين ناهيك ان الدولة التونسية اقامت بمزرعة السردوك على مقربة من عين دراهم خانا كبيرا لمن يرغب من مستخدميها ومتوظفيها تبديل الهواء عوض السفر لفرنسا



بیلد سین دراهم

وهذا جبل شمتو من عمل الرقبة وهو حجة ناطقة بشروة مقاطع
 المرمرية التي زينت الواحها بيوت الاغنياء والكبراء سواء ذلك بتونس وباروبا
 وكل من نظر لانهواع رخامه من اللون القرمزي والبنفسجي والاحمر الناصع
 والاصفر الفاقع والاخضر والابيض والازرق الالوان عجب بجمال ذلك المرمر
 النادر الوجود





مقطع الرمر بشتو

هذا ولما بارح صاحب الفخامة مسيو فليار بلد سوق الاربعاء ركب
 رتله الرئيسي وسار على طريق السكة الحديد قاصدا واد باجة ويعرف اليوم
 باسم قنطرة « طراجان » نسبة لانراطور روماني كان من الرجال المصلحين
 على راس المائة الثانية للميلاد





منظر مدينة باجة

وباجة كانت تسمى على عهد الرومان « فاسكا » وكانت على عهدهم
بلاد زرع وضرع كما هو شأنها ايضا في دولة الاسلام ناهيك انها تسمى في
المعجمات الجغرافية العربية باسم « باجة القمح » قال ياقوت « سميت بذلك
لكثرة حنطتها » وامتنح اهلها في اواسط المائة الرابعة في ايام مغلد بن
يزيد بالقتل والسبي والحريق قال الراجز في ذلك

وبعدها باجة ايضا افسدا واهلها اجلى ومنها شردا
وهدم الاسوار والمعمورا والدور قد فتش والقصورا

وباجة انبتت غير واحد من العلماء الفحول منهم الشيخ صالح المفرائي
ذكره العبدري في رحلته واثنى عليه ولا زال له عقب بها ليومنا هذا
فلما وصل رئيس الجمهورية لمحطة واد باجة كان في استقباله مسيو
كلييار المراقب المدني والمتوظفون ولفيف المعمرين والمجلس البلدي واعيان
اهالي العمل يتقدمهم عاملهم السيد محمد الصالح البكوش فالسيد عثمان
ابن عبد الرحمن العضو النائب عن مدينة باجة بالمجلس الشوري فالخلفاوات
والمشايخ والعمد بقبية اصحاب الحشيات والمظاهر الرسمية واذاك دخل فخامة
الرئيس قاعة الاستقبال وانتظم الموكب لقبول مراسم التهنئة والاحترام فافتتح
المراقب المذكور تلك المراسم بادا سلامه واحترامه لجناب الرئيس وتشرف
بعدها بادا نظير تلك المراسم بقبية الذوات الحاضرين ولما آلت نوبة الكلام
للسيد عثمان بن عبد الرحمن العضو بمجلس الشوري التقى على الاسماع
الرئيسية اياتا جاء فيها قوله

لنا ثلث قرن في السعادة والهنا ومنكم هذا العزيز يقي ويكمل
نبدنا سلاح الاولين لعلنا بدولتكم هي السلاح الموفل
واهديت تدكارا لكم بنديتي وسيفا على اليمن المويد يقبل

ثم قدم لفخامته هذا السلاح الذي اشار اليه في الايات المذكورة
معرفا اياه انه سلاح الباء والاجداد وان الاهالي اصبحوا في غنى عنه بفضل
العدل والامان الذي مد عليهم رواقه في ظل الحماية الفرنسية فاخذ منه
فخامة الرئيس تلك الهدية واجابه بشهامة قائلا

« نبقى هذا الاسلحة باعمادها كما فعلنا منذ ثلاثين سنة ونستعد
مع ذلك لحفظ الراحة اما في زماننا هذا فسلح الانسان ذكالا وعلمه »
ثم ان فخامة الرئيس استحضر السيد محمد الصالح البكوش واثني عليه
ومجد ذكره وقلده بيده وسام الشرف الفرنسية وهنالا به تهنئة فائقة بين
تصفيق المستحسان من كافة المعمرين والاهالي الحاضرين





السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

وبعد ان جامل فخامته اعيان الذوات تحدث مع مسيو فوردير العضو
 بمجلس الشوري ورئيس الجمعية الاستعمارية بباجة وافاض معه القول
 في الشئون الزراعية وتربية البقر ثم وعدا بانه سيرسل له باسم الجمعية
 المذكورة على وجه التنشيط راسين من البقر الضخام المشهورة ببلاد «الجيرس»
 من اعمال فرنسا لتنسيل جنسها بالعمالة التونسية فشكر مسيو فوردير هذا
 العناية العالية الدالة على مزيد اعتناء فخامته بشئون الزراعة التونسية
 وانجز فخامة الرئيس وعدا اذ وجه له في شهر فراير سنة ١٩١٢ فحلا
 من الثيران وعجلة فاخرة من الجنس المذكور اعلا

ثم ان جناب الرئيس مر بصف البنات من تلميذات المدرسة الاسلامية وقصد العربية فصطحن وراى بالولوة الكثيرة ورشما ارتقى رتله توادع مع الحاضرين واذن بالسفر فتحرك القطار قاصدا ترسخانة سيدي عبد الله ببجيرة بنزرت

واذاك كان في انتظاره برصيف الترسخانة اهل الحل والعقد والمجلس البلدي بمدينة فريفل فتقدم كاهية هذا المجلس والقى على مسامع فخامته الخطاب الاتي نصه

ياسيدي رئيس الجمهورية

اقدم لكم التحية والاحترام بلسان المجلس البلدي والمدينة واعرب لفخامتكم مع ذلك عن شعائر تعلقنا السدي لا ينفصم حبله نحو فرنسا الجمهورية

انكم قد لقيتم اثناء هذا السفر الطويل المتعب ترحابا شائقا ومتكررا من اجناس سكان الايالة على اختلافهم إلا انه لم يحصل ببلد مثل ما حصل ببلدنا من الشعور بالنخوة الوطنية والفرح والتشرف بزيارة نائب فرنسا الموقر وذلك لان بلدنا كاد ان يكون فرنساويا بحتا فقد نشا وتكون بارض لم يكن بها شي فكانه قد شيدته يد ساحرة

ان هذا البلد احدث منذ عشرة سنين لخاصة خدمة الترسخانة وهو اليوم ياوي طائفة من النوبة والعمامة وحسن مستقبله مقيد بحسن حظ بحريتنا الوطنية

وحيث كدا ولدنا وكذا نشانا كذلك كنا نطمح لزيارتكم وكذلك صرنا سعداء الحظ بتمكننا من رد السلام عليكم اعني على وطننا الجميل نفسه

وعند ركوبكم البحر في هذه الساعة للاتحاق بالارض التي هي
مسقط راس جميعنا حيث ستبلغون لمسامع اخواننا بام الوطن تحيتنا ورجائنا
نستمع منكم يا فخامة الرئيس مع الدعاء لكم بسفر ميمون وسعيد ان
نصعد مرة زائدة بالديار التونسية قائلين « لتعش فرنسا ولتعش الجمهورية
وليحش فليار !

وقد اجابه فخامة الرئيس بهذه العبارات

اني لم اقف هنا في اليوم الآخر حيث كنت اعلم اني راجع ولكن
مما لا ريب فيه عندكم اني لا امرينكم من دون ان احبكم واصفحكم
وحيث اعرفكم فرفساوين عريقين وجمهوريين مخلصين فكيف لا اجد
من نفسي انبساطا عظيما للمحادثة معكم بعض دقائق

هذا واني لاعلم كما بدأ غيري بفرنسا معرفته قيمة المشروع البهيج
الذي وقع القيام به هنا وشاركتكم في انجازها باخلاص وكيف لا تكونون
فرنساوين وجمهوريين وانتم سكان بلد منسوب لغيري

انكم طليعة المدنية في هذا القطر الانيس الذي كنت اتجول به
واني ابارحكم ومعني ذكر لا يمحي من جميع ما شاهدته واني لا اقول
لكم « في الوديعة » بل اقول لكم « الى عودة الملائكة ان شاء الله »
واصفحكم كلكم مصافحة الوداد

وفلا فانه شوهده وشعران المصافحات عندئذ من مسيو فليار لاعضاء

المجلس البلدي كانت ودادية قلبية

وفي تلك الاثناء حضرت ثلاث بنات لابسات ثيابا بيضا و متمنطقات
باوشحة مثلثة الالوان وبايديهن ثلاث باقات من الزهر دفعنها لفخامة

الرئيس وهن الابكار بنات لرنيو ورنديو واذاك نطقت كبيرتهن البكر
جرمان لرنيو بالخطاب اللطيف الاتي
يا سيدي الرئيس

حيث انا نحب الزهور وكنا ظريفات تقدم لكم من صميم الفؤاد هاته
الباقية اللطيفة مع ابتسامات نفورنا لانكم على وشك الارتحال فعاها
تكون تدكارا لطيفا من بلدنا الواقع تحت هذه القبة الزرقاء الصاحبة
التي ترى شمسها في عيوننا النجل والمرجوان تقولوا لآخواتنا اللطيفات
بفرنسا اننا نحبهن ونتذكرهن وان تبلغوهن من طرفنا قبلاروحية لاننا
نحن ايضا فرنساويات ونحب وطننا وجمهوريتنا

يا سيدي الرئيس تصاحبكم السلامة ولتعش فرنسا وليعش فليار!
هذا وكان في زمرة المشيعين برصيف المرسى رفيع الشان البرنس
سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية وبصحبه الفاريق فلنسي



المرقع شانه سيدي المنصف باي

فلما التقى مقام الرئيس العظيم والبرنس الكريم تصافحا مصافحة الكرام وقال سموه لفخامته (ان الحضرة العلية كلفته بالمجيء نيابة عنها لاهداء سلامها العالي لجناب رئيس الجمهورية قبل سفره وسوال فخامته هل رجع مسرورا من رحلته) واجابه فخامة الرئيس عن هذا الاحداث الشريفة قائلا (انه لمسرور جدا من رحلته كلها وانه يرغب من سموه ان ينهي للحضرة العلية شكراته الفاتقة عن العناية التي اظهرها كافة المامورين الاهلين بجنابه)

ثم سلم فخامة مسيو فليار للبرنس سيدي المنصف باي وسام الكمندور الاعلى من نيشان الزراعة برسم الحضرة الملكية والصنف الثاني من الوسام الموما اليه بعنوان البرنس نفسه فشكر سمو البرنس فخامة الرئيس عن هذا العواطف السامية وتقدم مع فخامته والوزراء وبقية الذوات لرصيف البحر واذاك ادت العساكر السلام وتصافح فخامته مع سيدي المنصف باي والجنرال يستور وجناب الوزير مسيوروا وجناب مسيو بلان وبقية الذوات وامتنطى مع جناب الوزير المقيم متن الطرادة المسماة (المجتاز) فتحركت بفخامته نحو الدارعة الرئيسية (الحق) وهنالك توادع فخامته والوزراء مع المقيم العام ورفع العلم الرئيسي فوق اعالي المدرعة واقلع الاسطول عند الغروب بفخامته ووزرائه وحاشيته من ميلا بنزرت على طنين المدافع من كافة القلاع والشكنات البرية فسار به مع اليمن والسلامة الى ان عاد بفخامته لثغر طولون الحربي الذي ركب منه فخامته قبل عشرة ايام بقصد القدوم لتونس

﴿ الخاتمة ﴾

الفصل الاول

في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا والمملكة التونسية
يظهر من عبارة التواريخ ان مبادي العلايق بين تونس واروبا كانت
على عهد الحروب الصليبية اي بعد انتصار السلطان صلاح الدين
الايوبي ورجوع النصارى من البلاد السورية يدلك عليه وجود الفاظ
كثيرة قديمة جدا في الاصطلاح التونسي كقولهم « هذا رجل يتكلم
ويلبس بالسوري » كناية على انه يحسن الالسنه واللبسه الفرنجية وما
ذلك إلا لظنا منهم في البدء ان الشئ السوري هو الفرنجي بعينه ويا بعد
ما بين المشرق والمغرب وانما انجرلهم هذا الوهم من طريق اهل اروبا
الذين وفدوا على افريقيا بعد اقامتهم اجبالا متعاقبة بالديار الشامية
فانت ترى ان اختلاط البلاد التونسية باروبا يرتقي في سلم القرون
الخالية الى اواسط المائة السابعة للهجرة وهو العصر الذي كانت فيه اذاك
سوق العلم بهذه الديار نافقة وبحور فنوننا بالتاليف التونسية طافحة دافقة
قال في كتاب المسامرات الادارية الذي الفه رؤساء دولة الحماية باذن
العلامة الخطيب المصقع مسيو ملي الوزير المقيم السابق
« ان موقع الولاية التونسية بحوض البحر المتوسط من احسن المواقع
الجغرافية ووجودها باقصى شمال افريقيا جمعها مع عمالة الجزائر متاخمة

للقسم الغربي من حوض البحر المذكور الذي تحيط به اراضي اروباوية
يعني اسبانيا وفرنسا وايطاليا - على ان سكان القطر التونسي اهالي المدن
واهالي قرى السواحل كانت لهم في كل العصور علاقة متبعة بالاروباويين
ومن دون احتياج للنظر في صحيفة الازمان السالفة اي في عهد ازهر
عصورها الماضية فان تونس الاسلامية انما امتزجت ضمن المحفل
الاروباوي الغربي بعلايق تجارية وسياسية لذلك كانت هي ملتقى
العلماء في كل حين وآت فالقروان والمهدية وتونس كانت مراکز راقية
للاداب العالية نعم ان صبح هذه المدائن العلمية اظلمته غيوم الفتن في
القرون الاخيرة إلا انه بقي على كل حال للتونسيين ذوق عميق وحب
في العلم وثيق ولنا ان نرى في عصر الحماية الفرنسية نوع حركة
وهضة سيبقى اثرها خالدا بتاريخ هذه امة الراقية »

ولقد قال صاحب هذه العبارات حقاً لان ارتقاء الافكار الاسلامية
في تلك العصور كان بالغاً حدداً يدل على مسالة اختلاف المذاهب
بهذه الديار عند ظهور دولة الشيعة اي الدولة العبيدية اذ كمل بظهورها
اجتماع اشهر المذاهب الاسلامية الاعتقادية بهذه البلاد حيث جمعت اهل
السنة بقسميهم « السلفية » الذين كانت عقيدتهم كعقيدة اهل السلف
مبنية على ظواهر القرآن والسنة و « المنكلمين » الذين كانت عقيدتهم
موسسة على الفوص في حقايق معاني الكتاب والاحاديث النبوية وجمعت
« الشيعة » اي انصار سيدنا علي بن ابي طالب بقسميهم الاصليين قسم

« المتغالين » في الانتصار لمذهبهم المبني على ظواهر ضعيفة وقسم « المتفلسفين » وهو منشأ طائفة الصوفية في تلك العصور ومذهب « الخوارج » المبني على ابطال الحكومة في الاسلام وعلى التغالي في التحاشي من مخالفة اوامر الله وعلى تكفير من حاد عن عقيدتهم واستحلال دمه وماله الذين يجوز ان نعتهم بانهم « باء طائفة الفوضيين المعروفة في هذه العصور

تلك الحالة الراقية التي كانت عليها المملكة التونسية في القرون الوسطى وما قبلها وهي حالة اعقبها الفشل والضعف لسوء الحظ في الثلاثة القرون الاخيرة حتى آل امرها للانحطاط الدفعي وسقوطها في حجر فرنسا التي مدت لها يد المساعدة حتى اصبحت تونس متعلقة بها تعلق البنت البارة بامها الحنية

ولم يكن استقرار فرنسا بتونس بالسهل عليها لانها كانت تمنعها ذلك دول اوروبا اعني الدول التي اصبحت فيما بعد بفضل سداد التدبير الفرنسي احياء لفرنسا وليكن القاري على بينة من ذلك ننقل له ملخص مقالة سياسية نشرتها في هذا الموضوع جريدة الطان المعتبرة - وهي اسان حال السياسة الخارجية لدولة الجمهورية - اثر اختتام زيارة مسيو فليار لتونس

قال - لابد لمن له الملم بالتاريخ ان يستغرب كون الميلا التونسية اصبحت اليوم مسرحا لهذه المظاهرات الودية وذلك ان بريطانيا العظمى وايطاليا كانتا على التناوب اشد الدول معا كسمة لمشروع فرنسا بالمملكة اولا ثم

اكثرهن مجادلة فيه . فلا شيء اعظم قيمة اليوم للفرنسيين من ان يروا
 تينك الدولتين مشاركتين لهم بحسن طوية في الابتهاج بانجاز مشروعاتهم
 ثم من يوم استيلاء فرنسا على القطر الجزائري اضطرت الحكومة
 الفرنسية للاهتمام بمراقبة الحوادث الواقعة بتونس وقد اعرب جول فري
 عن حقيقة لا تقبل النزاع اذ قال يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ بمجلس نواب الامة
 « ان المسألة التونسية لا تقل قدما عن المسألة الجزائرية بل انهما
 متعاصرتان ولا يمكن ان يخطر على بال فرنسوي مخلص لبلاد ترك
 اكتساب وطن هو مفتاح دارنا باتم معنى الكلمة لغير دولة ضعيفة اوحشية
 او راضخة لسلطتنا »

فجول فري لما نطق بهذه العبارات ذكر بتدقيق قضية مقررة منذ
 زمن طويل وذلك ان الاميرال الفرنسي هوكون كان منع في سنة ١٨٣٥
 الاسطول العثماني من انزال جيش الاحتلال تونس وفي سنة ١٨٤٥ رفض
 الباي بايعاز من القنصل الفرنسي الولاية التي كان يروم الباب العالي الزامه
 بقبولها ثم في سنة ١٨٥٤ تعرض المقيم سفير فرنسا بالاستماتة لتدخل
 الاتراك وفي سنة ١٨٦٤ رامت الحكومة العثمانية ان تتدخل من جديد
 ولكنها لاقت من حكومة باريس مثل المعارضة الاولى بحيث ان جميع
 الحوادث التي حدثت في ذلك الوقت اثبتت صحة الملاحظة التي كان
 ابداهها القنصل الفرنسي بتونس يوم ٢٨ ديسمبر ١٨٧١ حيث قال :
 « لست اعتقد بان يمكن اجتناب احتلال المملكة التونسية في المستقبل »

ومن المعلوم ان مسألة الاحتلال كانت عرضت لأول مرة في محادثة سياسية دارت بمؤتمر برلين وبيانه ان اللورد ساليز بوري سال في ٧ جويليه سنة ١٨٧٨ سفيرنا المسيو وادينطون عن الشروط التي تشترطها فرنسا للموافقة على الاتفاق الانكليزي التركي المتعلق بقبرص ولكن حيث ان السفير الفرنسي الموما اليه لم يجبه بجواب قطعي فان اللورد ساليز بوري هو الذي قال له من تلقاء نفسه : « اعملوا بالمملكة التونسية ما تريدون . » فاستغرب المسيو وادينطون هذا الكلام اولاً ولكنه لما عاد الى باريس قال لبعض خواصه : « اننى اتيت بالمملكة التونسية هنا » ووضع يده على جيبه .

ولقد كان المسيو وادينطون على الصواب غير ان الامور جرت باقل سرعة مما كان ينتظر وذلك ان اللورد ساليز بوري اظهر الاحتراز في المسألة منذ ٧ اوت ١٨٧٨ حيث كتب للورد ليونس ما معناه :

انه يوجد بون عظيم بين الموافقة على امر وقع ونزل والتسليم للضرورة الناشئة عن الظروف السياسية فليس في امكان انكلترا ان تتجاوز هذا الحد ومن جهة اخرى فان الحادث الذي يشيرون اليه لم يزل بلا شك بعيدا جدا .

وفي الوقت نفسه كذب السير لازار بالاستانة ما كان شاع بان بريطانيا العظمى اباحت احتلال المملكة التونسية

ثم لما كانت فرنسا يوم ٢٦ افريل ١٨٨١ غازمة على العمل فان وزارة صان جامس (الوزارة الانكليزية) عزمت على ايقافها ولكنها لم تخف

ايضا اغتياضها من ذلك وبهذا المناسبة ابلى اللورد ساليز بوري الباب العالي ما معناه :

« انني آسف كثيرا لكون فرنسا رات من واجبها ان تثير مسألة شرقية شديدة لفائدتها الشخصية » ومع ذلك فقد اقترح كبير وزراء انكلترا على فرنسا بنوع استياء في الحقيقة ان يتوسط بينها وبين الحكومة العثمانية في المسألة التونسية . ثم لما وقع امضاء معاهدة باردو بعد بضعة اسابيع قال اللورد غرانفيل للمسيو شاميل لاكور :

« من اخفاء الحقيقة ان اترككم تعتقدون بان عمل فرنسا في المملكة التونسية احدث تأثيرا حسنا بانكلترا وقد كنا ننتظر وقوع عمليات عسكرية ولكنكم اتيتمونا بمعاهدة حماية حقيقة . »

ومن جهة اخرى فان اللورد ليونس اعتنى تسليم لائحة الى وزير خارجيتنا المسيو برتيلمي صانت هيلير احتج فيها سلفا عن فكرة جعل بنزرت قلعة حربية وبالجملاء فان استياء بريطانيا العظمى في المسألة التونسية كان جليا بقدر الامكان

١٠ ايطاليا فان حنقها كان اشد وذلك انها ما كادت ان تتحقق حصول وحدتها حتى صارت تعلم بنشر سلطتها على البحر المتوسط حسبما كان يعدها بذلك ادباؤها وفي هذا المقام قال متزيني في سنة ١٨٣٨ ان افريقيا الشمالية راجعة الى ايطاليا وفي سنة ١٨٦٦ كتب يزمارك لتزيني نفسه بانها لا يمكن فرنسا وايطاليا ان تشتركا في البحر المتوسط لفائدتهما المشتركة وان ذلك البحر ارث تستحيل قسمته بين اقرباء . ثم ان مملكة

البحر المتوسط ملك من املاك ايطاليا بلا نزاع لان لهذا الدولة من السواحل فيه ضعفي ما لفرنسا . فمن الواجب اذن ان تكون مملكة البحر المتوسط موضوع اهتمام ايطاليا على الدوام والاستمرار والغاية التي يسعى لها وزراؤها والمقصد الاصلي لوزارة فيرنسة (ايطاليا) . وبالجملة فان المؤلف الطلياني فيروزو كان يطلب في كتابه الذي سماه « ابل بريماتو ايطاليانو » مصر وطرابلس الغرب والمملكة التونسية والقطر الجزائري بصفة مستعمرات طبيعية لايطاليا فهل يمكن المرء والحالة هذه ان يستغرب هذا الامر وهو حدوث استياء شديد بايطاليا من العمل الذي قامت به فرنسا في سنة ١٨٨١ وقد التى ذلك الاستياء بعد بضعة اشهر بايطاليا في حجر المحالفة الثلاثية بحماسة عدوانية اشتد بسببها الخطر الذي كانت تتوقعه فرنسا من تلك المحالفة

فاذا امكن اليوم اعادة ذكرى تلك المقاومة بدون خطر وفي يوم عيد وسرور فما ذاك إلا لكون الحالة باروبا تغيرت كثيرا ولكون فرنسا وايطاليا وانكلترا رات ان لكل واحدة منهما مكانا رحبا في البحر المتوسط وان بريطانيا العظمى اولاهم ايطاليا اعترفتا بمركز فرنسا بتونس . ثم ان رئيس الجمهورية لما ذكر الارقام التي تسدل على ترقى المملكة التونسية لم يتكبد غناء عظيما في اثبات هذا الامر وهو ان مساعينا خدمت الايالة التونسية واروبا معا ولقد مضت ثلاثون سنة على امضاء معاهدة باردو وبعد هذه المعاهدة باقل من عشرين سنة تمت المصالحة بين فرنسا وانكلترا وايطاليا اه
فهذه النبذة التاريخية التي قراها المطالع تدله على كنه سياسة فرنسا

بتونس من حيث العلائق الخارجية واما من حيث سياسة الحماية اعني السياسة الداخلية التي نسمع بها ونراها فعنوانها الخطاب السفيري الذي وقع به تنصيب سمو الحضرة العلية على اريكتة اسلافها المكرمين والجواب عنه بلسانها الشريف وهما خطابان يبرهنان عن شدة الوثوق واستحكام روابط الالفّة وعلائق الود بين الامة الحامية والامة المحمية وقد تقدم نقاهما بمقدمة هذه الرحلة الانيسة فليرجع لهما من شاء الوقوف على الخبر اليقين

الفصل الثاني

في الكلام على هدايا الاكرام وشعائر الوداد والاحترام
اهدى جناب رئيس الجمهورية الفرنسية للحضرة العلية يوم زيارة فخامته لسموها بسراية باردو المعمور مقطفا فضيا للزهور حجمه ضخيم ونقشه جميل وفخيم وهذا المحمل الثمين النفيس كتب فوق قاعدته بالحرف الذهبي العبارة الاتية «من ارمان فليار رئيس الجمهورية الفرنسية لسمو سيدي محمد الناصر باي - تفكرا زيارته لتونس في افريل ١٩١١ »
كما اهدى فخامته لمقامها الملوكي عند مبارحته للميلا التونسية وسام الكمندور الاكبر من النيشان الزراعي
واهدى الجناب الملوكي لفخامته مسيو فليار عند تلقي زيارته بسراية باردو نيشان آل البيت الحسيني السني كما اهدى فخامته يوم سفره عائدا للديار الفرنسية سفرا جميلا مموها بالذهب الوهاج مطرز الحواشي ووشح الصفحات بمناظر ابنية ومعاهد ومعالم الحاضرة التونسية

وعند تمام زيارة فخامته ومبارحته لميلا بنزرت ارسل مقامه العالي
 لسمو الحضرة الملكية التلغراف الاتي نصه
 الى حضرة سيدى محمد الناصر باي - بتونس

في هذا الوقت الذي بارحت فيه ارض الايالة التونسية اعرب لحضرتكم
 العلية عن كامل امتناني من اجل الاكرام الذي تفضلتم به نحوي
 وشاركتكم فيه الامة مشاركتة فائقة كما اعرب لسموكم عن الابتهاج الذي
 حصل لي بما شاهدت في القطر التونسي من الاتحاد والوفاق المبشر
 بالسعادة والعمران

الامضاء - فليار

واجاب المقام الملوكي عن تلك الرسالة البرقية بتلغراف نصه
 الى فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية بطولون
 ان زيارة فخامتكم ستبقى محفوظة بذهني الى ما شاء الله ومرادي
 ان اكرر لكم عن تلك الزيارة عبارات الشكر في حق نفسي وبالنيابة
 عن الامة واني لسعيد الحظ من كون فخامتكم شاهدت بالذات مقدار ما
 لبلادي من التعلق بفرنسا وهو تعلق مبنلا اعتراف القطر بما لفرنسا عليه من
 مزية تحقيق سعادته وعمرانه

الامضاء - محمد الناصر باي

واصدر جناب المولى الوزير الاكبر بالدولة التونسية منشورا لكافة
 العمال يعرب فيه عن رضاه عما قاموا به من اظهار الاحتفال والاحتراف
 بفخامة الرئيس الكريم اثناء رحلته بالعمالة وهذا نص المنشور بمد فاتحته

اما بعد فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية اعرب لجناب المقيم العام عن شدة التأثير الحسن الذي حصل مما شاهدته من مظاهر الاخلاص والصدقة نحو الدولة الجمهورية الفرنسية ومما اظهره اهالي العمالة التونسية من الاعتناء والاحترام الذي تلقوا به فخامة الرئيس وقد رغب جناب المقيم العام في تعريفكم بذلك وعليه فبمجرد اتصالكم بهذا تبادرون بجمع خلفاوات ومشايخ واعيان ترابكم وتعرفونهم بما اظهره فخامة رئيس الجمهورية من الانتباه التام بذلك كما نعرفكم بثناء الحضرة العلية على ١٠ وقع من جميعكم مما ذكر ودمتم بخير والسلام من الفقير الى ربه تعالى امير الامراء يوسف جعط الوزير الاكبر وفقه الله

الفصل الثالث

في عطايا الكرام

احسن فخامة رئيس الجمهورية على جهات البر والفقراء بتونس عند	
مبارحته للحاضرة بخمسة الاف فرنك وقع توزيعها على الوجه الاتي	
المستشفى الفرنسي	فرنكات ١٠٠٠
المستشفى الصادقي	» ١٠٠٠
المستشفى الاسرائيلي	» ٥٠٠
المستشفى الطلياني	» ٥٠٠
الجمعية الخيرية الاسلامية	» ٥٠٠
الجمعية الخيرية الفرنسية	» ١٠٠٠

الجمعية الخيرية الاسرائيلية فرنكات ٢٥٠

مستشفى الابيت ٢٥٠

كما ان الكتابة العامة احسنت بتلك المناسبة لارامل فقرا المسلمين بالفين من
الفرنكات وزعتها عليهم توزيعا عادلا انطقهم بالشكر الجميل والثناء الجزيل
وكما ان فخامة الرئيس احسن بمبالغ اخرى للجمعيات الخيرات
والفقراء بالمدن الاتي بيانها

فلمدينة القيروان بمبلغ قدره فرنكات ١٠٠٠

ولمدينة سوسة بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة صفاقس بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة بنزرت بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة الكاف بفرنكات ٥٠٠

ولمدينة قابس بمثل ذلك ٥٠٠

الفصل الرابع

في مصاريف الرحلة الرئيسية

في الخامس عشر من جمادى الاخرة سنة ١٣٢٩ اصدرت الحضرة
العلية امرا في تخصيص المال اللازم لدفع المصاريف الناتجة عن زيارة
فخامة رئيس الجمهورية للمملكة التونسية وهذا نص محل الحاجة منه

الفصل الاول

زيادة على المبالغ المرسدة بالا را انورخ في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢٨
وفي ٣١ ديسمبر ١٩١٠ يرسم لادارة الاشغال العامة تحت عنوان

« المصاريف الغير اعتيادية بميزانية سنة ١٩١١ » مبلغ قدره ما ٢١٠ الف فرنك وخمسون الف فرنك ويكون ترسيمه بالبواب ٧ من القسم الثاني من ميزان سنة ١٩١١ تحت الفصل ٢٩ المراد فتحه بعنوان (رحلة جناب رئيس الجمهورية الفرنسية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وكما اصدرت امرا ثانيا بعنوان ملحق للامر المذكور في تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٢٩ ونص : حل الحاجة . منه

(زيادة على المبالغ التي عينت يرسم لادارة الاشغال العامة مبلغ قدره ثمانية وثلاثون الف فرنك بعنوان سفر جناب رئيس الجمهورية الفرنسية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وزيادة على ذلك فان المجالس البلدية شاركت في مصاريف رحلة الضيف الكريم بالمبالغ الآتية

٥٠٠٠٠	فمدينة تونس اغدت لذلك مبلغا قدره فرنكات
٢٠٠٠٠	ومدينة سوسة . مبلغا قدره
٢٠٠٠٠	ومدينة صفاقس مبلغا قدره ايضا
١٥٠٠٠	ومدينة بنزرت مبلغا قدره
٥٠٠٠	ومدينة القيروان مبلغا قدره
٥٠٠٠	ومدينة قابس مثلها
٣٠٠٠	ومدينة الكاف . مبلغا قدره
٢٠٠٠	ومدينة قفصة . مبلغا قدره
٢٠٠٠	ومدينة مجاز الباب . مثلها
٢٠٠٠	ومدينة سوق الاربعاء مثلها

الفصل الخامس

في عرايض التهاني وقصايد المديح

كان في مقدمة المهنيين بمقدم فخامة رئيس الجمهورية جناب والي عموم الجزائر اذ ارسل لفخامته تلغرافا في التهئة بقدم جنابه العالي لزيارة المملكة التونسية اعرب فيه عن عظيم احترامه وعن تعلق المستعمرة الجزائرية بالدولة الجمهورية وختمه باستدعاء فخامته لزيارة البلاد الجزائرية وقد اجابه المقام الرئيسي متشكرا عن تلك الاحساسات وواعدا ايالا بزيارة العمالة الجزائرية خلال هذا العام

أما المجالس البلدية بالمملكة التونسية فقد اجتمع اعضاء كل مجلس بلدي بمحل ادارته وقرروا باجماع الاصوات فرحهم واعربوا عن تهنيتهم لمقام الرئيس العظيم والضيف الكريم

كما كتب مجلس الجمعية الخلدونية في تقرير جاساته عبارة تشكراته وامتنانه وهنائه لفخامة مسيو فليار الذي احسن للجمعية بعطية قدرها الف فرنك على وجه التنشيط كما سبقت الاشارة لذلك بالباب الثاني من الرحلة وكما قدم اعيان الجزائريين والوهرانيين عريضة لجناب السفارة في الاعراب عن ولائهم واخلاصهم لفخامة رئيس الجمهورية

وقدمت الجمعية العلمية الفرنسية بموسسة عريضة هناء من قلم رئيسها كما قدمت فتيات قابس الفرنسية نظما حماسيا من قام المسعود برجون في تهئة فخامته وكما قدم نادي قربالية باسان التلغراف تهئة لجنابه على طريق جناب الوزير المقيم وهذا نصها

ان النادي التونسي بقرنالية الذي يمثل اهالي هذا البلد وناحيته
يرجو منكم يا جناب الوزير ان تبلغوا فخامة رئيس الجمهورية عند حلوله
بالبلاد التونسية مراسم الترحيب المقرونة بالاحترام ولما للتونسيين من
التشبث بحكومة الحماية فانهم بتحيتهم لفخامته لا يحبون رئيس الدولة
العظيم فقط بل ويحبون معه فرنسا ذات المبادئ الكريمة الخيرية التي
ملأت اشعتها العالم

الامضاء : ادارة النادي

ونشرت الجرائد العربية التونسية وفي مقدمتها الحاضرة والزهرة
والصواب ومرشد الامة والمشير عبارات الهناء لفخامة الرئيس مكتوبة بقلم
السرور ومشعرة بما حصل للبلاد التونسية من الفخر والعناية بزيارته
الكريمة

كما قدمت صحيفة « صباح » الاسرائيلية التي تطبع بالحاضرة
لفخامته قصيدة في التهئة والمديح من انشاء المويستي بنيني شمامه معلم
النقر على البيانو

هذا ما وصل لعلنا في هذا الباب نقلنا هنا اساما للفائدة وجمعنا
للطارف والشاردة

واما قصائد المديح التي قيلت في فخامة الرئيس فتذكر منها ما وقفنا
عليه بالجرائد تنويها بشأن تلك الخرائد

فمن ذلك قصيدة انشاها الشاعر الكبير الشيخ محمد الحشايشي الشريف
متفقد الكتب بجامع الزيتونة قدمها لفخامة الممدوح على طريق الكتابة
العامة ونصها

رئيس القوم يصحبك السلام اضاء القطر وجهك يا همام
 ولما ان قدمت قدوم غيث لتونسنا وزان بك النظام
 تباشرت البلاد ومن عليها وثغر القطر راق له ابتسام
 ونادى البشر بشرى الناس طرا بفليير وتصحبه العظام
 تطلع بدر باريس بارض حمت اقطارها قوم فخام
 وشرفها فلننا به افتخارا وامنا للبلاد فلا تضام
 الست رئيس جمهور الفرنسي وزورة ذاتك العظمى اغتنام
 وسعد مقبل لا ريب فيه وعز ليس يخلقه الدوام
 وشمس تونس منها استنارت وادبر عن معالمها الظلام
 فاهلا ثم سهلا ثم رجبا بيدر لا يفارقه التمام
 فيا فليير انت رئيس قوم لهم في العلم مرتبة تقام
 لهم تعزى المعارف كل يوم كما يعزى الى البحر الغمام
 ودمت مطوقا بنظام عز وبدرك لا يفارقه الدوام
 وكما قدم ايضا لفخامته على الطريق المذكور الفاضل الاديب السيد
 علي الورداني احد كبار المترجمين بالدولة التونسية قصيدة هذا نصها
 قدوم سموكم للقطر فخر ويبقى للايالة منه ذكر
 ولا عجب اذا شرفتمونا وبان على الوجوه لديك بشر
 فان ودادنا للعرش منكم عليه قد انطوى قلب وصدر
 وتنجذب النفوس الى مثال له في الكون والارواح سر
 وهذا العبد قد ود اقترابا فقربه الى الاعتبار شعر
 ومعترف بعجز عن مديح لامتك الجليلة وهو فخر

فان الجمهورية لا يساوي مزاياها الجميلة منا شكر
 وامتك الفخيمة قد تعالت كثيرا والعلوم بها تقر
 وهاتيك الديار ديار امن وانصاف ونعم المستقر
 وكم نزل الغريب بها فالقى لحسن الحظ ما يرجوا خر
 جمالها قد كسا الاقطار حسنا واهلها كالنجوم وانت بدر
 بهمتها استتب الامن فينا وزالت كل منقصة وذعر
 واصبحت البلاد تيه عجبا تشد لها الرحال وتشمخر
 وقد نال التمدن ساكنوها وزاد شعورهم وتعالى فكر
 وبالاصلاح قد كسبوا الرتياحا وحفظا للجسوم فطال عمر
 واصبح نسلهم ريان علما وخف الجهل عنهم واستقروا
 وكلمهم يدين بذاك شكرا وذاكر فضلهم في الناس غمر
 اما زال الشقاء ببعيد دار وحاكى قربهم في الحين نشر
 وسار الرتل يخترق الثنايا يقربها ولم يرتد شفر
 ونال نظام مال القطر عدلا وعين للمصالح وهي كثر
 وفاز العدل عما كان قبلا ونال الخصم ما يهوا فكر
 واستت المحاكم بانتظام فاذهب بيننا ظلم وجور
 وهل يخفى الضيا لدى صباح وبعد الجهل فينا بان فجر
 نعم ارجو الاعانة من علاكم لاحياء فان الموت فقر
 وليس المال إلا بعد جهد ومعرفة بها فوز وظفر
 وقد ماتت صنائعنا وارجو يعيد حياتها طلب وذكر
 وان تجري السياسة باشتراك يفوز بئله بدو وحضر

وتشترك المنافع بين كل وتحصل الفة وينال خير
 ودونكم مقالا من ضعيف يقدم كالمديّة وهو شعر
 يرجي ان يرى ثمرا نفيسا يفوز بنيلها اهل وقطر
 وداست دولة الجمهور ترقى مراقبي العز لا ياتيها ضير
 وها انا قلت غب الختم ارخ قدوم ريسنا فخر يقر
 ٣١٠ ٨٨٠ ٥٧١ ١٥٠

سنة ١٩١١

وقدم الفاضل الاديب الشيخ صالح سويسى الشريف من بيوت
 المجد القيرواني قصيدة لفخامته يوم زيارة جنابه للقيروان وهذا نصها
 عظيم الناس من نفع العباد واسعد من فضائله البلاد
 واكبر في نفوس القوم طرا همام بالمعارف قد افاد
 فمن غرس المصالح نال خيرا واضحى في حياته لا يعادى
 وكم في الدهر من دول عظام بسر العدل قد بلغوا المراد
 وكم في الشورى من امر عظيم وفخر ما رايناله نفاذ
 بها كل الممالك راقيات ومن ايجادها سلكوا الرشاد
 لقد وافى (الرئيس) بكل خير الى قـطر به غرس الوداد
 فاسفر باليهالة صبح عدل بها تهوى نفوس القوم جاد
 وحل (القيروان) بكل بشر واسلائار شاهد ما افاد
 ورحب اهلها بقدم شهم بسر العدل والاصلاح ساد
 فيا اهل (الحماية) انقذونا من الجهل الذي عم السواد

وانواع (الم ارف) عمومها فداء الجهل فيلقم تماذى
ومن علم (الصنائع) نورونا فقد الفت صنائعنا الكساد
واحمال (الضرائب) خففوها فان الفقر قد هلك العباد
لقد عرضت مطالبنا لذيكم وانتم خير من رفع العماد
الستم من بني الاحرار حقا وكل منكم بالحق نادى
فخير المنصفين فتى ايلبي نداء مطالب القى القياد
وقدم الوجيه التاجر السيد نداء علان لفخامته سفرا جميلا متقن الوضع
والطبع يحتوي على مناظر ومواقع قابس ونخيلها ضمنه القسيده الاتية
لقد نال هذا السفر فخرا موبدا ونال احترامنا فائقا لن يحددا
بلثم يد المولى المعظم من غدا بأرائه صدرا وملجا وسيدا
يشار اليه بالبنان مهابة وقد مدت الدنيا لحضرته يدا
فقال بها (فليير) عزا ورفعته واضحى بها بين الملوك ممجدا
وقاد بها شعبا كريما الى العلى فعاش سعيدا ذلك الشعب واهتدا
فكل عظيم حين يلقي رئيسه يطاطىء راسا ثم ينكب ساجدا
فتما ايها القطر العزيز بزورة ستسمو بها يا قطر مادمت سرمدا
الا وتيقن ان سعدك قد بدا بما سترامن مكارم ذي الندى
تقدم هذا السفر مناهدية ونرجو قبولا بالمسرات عائدا
ولا ريب عندي ان تمن به على عبيدك يا من طببت فرعا ومعتدا
فمش ايها المولى الرئيس مبجلا وعش ايها الشعب العزيز مؤبدا



﴿ ذيل ﴾

يحتوي على اسماء الذوات والاعيان التونسيين الذين امكنني الوقوف
على اسمائهم ممن احسن لهم فخامة رئيس الجمهورية بالنياشين والامتيازات
بمناسبة زيارته للعمالة التونسية

(الصنف الثالث من اللجيون دونور)

السيد محمد القروي رئيس الخزنة العامة

السيد مصطفى دنقرلي عامل احواز الحاضرة

السيد احمد اللوثو عامل الجريد

(الصنف الرابع من اللجيون دونور)

السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى

السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة

السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى

السيد محمد الفوراتي مثله

المسيو فيتوسي مثله

السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي

السيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط

السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

السيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى

السيد مسعود بن العربي عامل ورغة

(الصنف الاول من نشان العلوم)

السيد محمد العزيز الحيوني رئيس قسم الاشهاد بادارة الفلاحة والتجارة

« محمد الزعفراني رئيس قسم الاشهاد بادارة الاشغال العامة

الصنف الثاني من نشان العلوم

السيد محمد بوسن رئيس المجلس الجنائي بمحكمة الوزارة

« العربي بن عبد الله رئيس الترجمة بالقسم الاول من الوزارة الكبرى

« عبد العزيز البكوش كاهية قسم الترجمة بالكتابة العامة

١ علي الورداني المترجم بالكتابة العامة

« محمد المقداد الورتاني نائب جمعية الاوقاف بالقيروان

« صالح سويس من ادباء القيروان

« احمد المحمودي معلم بمدرسة المرسى

« احمد داود معلم بالمدرسة العالوية

« محمد عظوم العضو بجمعية الزرية بالقيروان

« الحكيم حسين بوحاجب طبيب بالمستشفى الصادقي

« علي ثامر عضو بالمجلس البلدي بتونس

٢ محمد علان تاجر بقابس

« حسن حسني عبد الوهاب رئيس قسم بادارة الغابة

« الهادي بن عمار وكيل الكتب بالمدرسة الخلدونية

٣ الهادي الصنادلي معلم بمدرسة الحدادين

« هارون صفار محتسب بجريدة الديش تونزيان

الصنف الثالث من نيشان اللياقة الزراعي

السيد محمد بن خليفة عامل الاعراض

الصنف الرابع من نيشان اللياقة الزراعي

السيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت

١ عبد الرحمن الزمام العضو بمجلس الشورى

٢ الحبيب بن رجب مثله

٣ عبد الله كاهية مترجم المراقبة المدنية بقابس

٤ علي بن القروي خليفة تربية بعميل صفاقس



✧ عبارة الختم ✧

هدا ما وصل اليه جهد المقل في تدوين اخبار هذه الرحلة الحافلة
التي اذنت بتحريرها من طرف الدولة التونسية وقد توخيت في كتابتها
الاعتدال حتى لا يعمل من قراءتها المطالع . وحتى يستفيد منها الناظر
والسامع . واعتمدت في تكميل اقاصها على فطنه القاري . راجيا منه الصفح
عما عسى ان يجد بها من الغلط الذي ستبدد سحابتها بطلوع نجوم
الساري . والله المسؤول ان يغفر ذلات الجميع . وان يلهم الكل لما فيه حسن
الصنيع . والحمد لله رب العلمين

